

حِكْمَةُ الْعِبَادَاتِ

العلامة الشيخ عبد الله الجواد الطبري الأملی



دار الإستیلاء للطباعة والنشر

حِكْمَةُ الْعِبَادَاتِ

العلامة الشيخ عبد الله الجواد الطبري الآملي

دار الأمل للطباعة والنشر





- اسم الكتاب:حكمة العبادات
- تأليف :العلامة الشيخ عبد الله الجوادى الأملى
- الطبعة :الثانية
- سنة الطبع :١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م بيروت

﴿ جميع الحقوق محفوظة للناشر ﴾

﴿ دار الإسرائء للطباعة والنشر ﴾
لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكاش
بنابة الحسين ط ١. تلفون : ٠٠٩٦١١٢٧١٩٠٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس الموضوعات

١٥.....	مقدمة الناشر
١٩.....	المقدمة
١٩.....	حكمة العبادة وثمرتها
٢٩.....	شكر و تقدير

الفصل الأول:

العبادات و حكمها

٣١.....	الإنسان و حكمة العبادات
٣٢.....	حكمة ألقاب المعصومين عليه السلام و أوصافهم
٣٣.....	الإمام السجاد و حكمة العبادة
٣٤.....	عنصر العشق و المحبة في حكمة العبادات
٣٥.....	العشق و الشوق
٣٧.....	أولياء الله و دار العبدة
٣٨.....	عنصر اليقين في حكمة العبادات
٤٠.....	حيرة الكافر و المنافق
٤١.....	العبادة سلم الترقى
٤٣.....	نعمة المعرفة و الشهود



- ٤٥..... الأنبياء و باطن العالم
- ٤٦..... أولياء الله و باطن الدنيا
- ٤٨..... الفرق بين المدرستين
- ٤٩..... عالم الملك و الملكوت
- ٥٠..... الحرمان من رؤية الملكوت
- ٥١..... محاسبة النفس
- ٥٣..... الوصية بالتوحيد
- ٥٥..... الدار الباقية و اشتياق اللقاء
- ٥٦..... النبي ﷺ و أسرار القيامة
- ٥٧..... ضغطة الموت و عارضة النسيان
- ٦٠..... طريق الوصول إلى حكمة العبادات و أسرار العالم

الفصل الثاني: النية و حكمها

- ٦٣..... أفضلية النية على العمل
- ٦٤..... حقيقة النية
- ٦٥..... تأثير الإنسان بالنية
- ٦٦..... الإخلاص و الرياء
- ٦٩..... الملائكة و استشمام النية
- ٧١..... يوم تبلى السرائر
- ٧٢..... المنافق و سوء النية

الفصل الثالث: الطهارة و حكمها

- ٧٥..... الله يحب الطهارة



٧٦.....	الله يحب الطاهرين
٧٧.....	حكمة الطهارة في الرؤية القرآنية
٧٨.....	حكم الوضوء في كلام النبي ﷺ
٧٩.....	حكم الوضوء في بيان الإمام الثامن عليه السلام
٨٠.....	الطهارة من الرجاسة و النجاسة

الفصل الرابع:

الصلاة و حكمها

٨٣.....	اطمئنان القلب
٨٤.....	المواظبة على الصلاة و الإنفاق
٨٦.....	زهد النبي ﷺ
٨٧.....	الصلاة و الإيمان بيوم القيامة
٨٨.....	المصلّي و العهد و الشهادة
٨٩.....	المحافظة على أوقات الصلاة
٨٩.....	إكرام الله المصلّين
٩٠.....	الحشر مع الملائكة
٩٢.....	تواضع الإنسان في السجود
٩٤.....	حكمة سلام المصلي
٩٥.....	أدب الصلاة
٩٥.....	الباطن المثالي للصلاة
٩٧.....	النيران المتقدة و كوثر الصلاة
٩٨.....	بركات صلاة النبي زكريا
٩٩.....	الصلاة و طهارة الروح
١٠١.....	حكمة صلاة الليل

- ١٠١..... وصية الأنبياء بالصلاة
- ١٠٢..... صلاة الظهر ورحمة الله الواسعة
- ١٠٤..... الإنسان السماوي
- ١٠٥..... الميل إلى الطبيعة
- ١٠٧..... حبّ باطن الصلاة

الفصل الخامس: الصوم و حكمته

- ١١١..... ذمّ البطنة
- ١١٢..... قيمة الحرية في الإسلام
- ١١٥..... الصوم و جزاء الصائم
- ١١٦..... كيفية الجزاء
- ١١٧..... درجات التقوى و لقاء الله
- ١٢٠..... قيمة الإنسان
- ١٢١..... دور الصوم في حلّ الصعاب
- ١٢٢..... الملائكة و الدعاء للصائم
- ١٢٤..... طيب فم الصائم
- ١٢٥..... رمضان شهر الله
- ١٢٧..... شهر رمضان و التخلّق بأخلاق الله
- ١٢٩..... شهر رمضان و طلب كرامة
- ١٣١..... قبول العمل و تقبّل الصالح
- ١٣٢..... الصوم و الإيمان بيوم القيامة
- ١٣٣..... التصدّق و الإطعام
- ١٣٤..... توقير الكبار و العطف على الصغار



١٣٥	حفظ اللسان
١٣٦	قيمة اكتساب العلم
١٣٨	الابتعاد عن النظر المحرّم و التوجّه إلى الدعاء
١٣٩	المفتاح و المغلاق
١٤١	أسباب تعزيز أسس الدين
١٤٢	موقع الشيطان في شهر رمضان
١٤٤	الورع
١٤٥	وداع شهر الله
١٤٧	أفضل ما يُتّفع من شهر الله
١٤٨	أنين الفراق
١٤٩	رمضان و تعليم الدعاء
١٥٠	الوداع من صفاء الباطن و النشاط
١٥٠	القلوب الرقيقة و الأفكار الصافية
١٥١	شهر السيطرة على الشيطان
١٥٢	التحرّر من قيد الشهور و نيل السعادة
١٥٣	المنافسة مع سائر الشهور
١٥٣	التطهير و التغميل لا التعب و النصب
١٥٤	الوداعات الأخيرة

(الفصل العاشر):

الاعتكاف و حكمته

١٥٧	من شؤون العبادة
١٥٨	أبرز مصداق للعبادة
١٥٨	مسألتان مهمتان في الاعتكاف

- ١٦٠ الاعتكاف الباطل
- ١٦١ الاعتكاف عبادة مستقلة
- ١٦١ اعتكاف الصالحين
- ١٦٢ الاعتكاف وقضاء حاجة المؤمن
- ١٦٣ الدعاء والمناجاة في حال الاعتكاف

الفصل السابع:

تلاوة القرآن وحكمته

- ١٦٧ مع القرآن
- ١٦٨ ضياء البيت
- ١٦٩ ظلمة غير المؤمن
- ١٧١ تحلي الله سبحانه
- ١٧٣ معنى تحلي القرآن
- ١٧٤ تحلي ملك الموت
- ١٧٤ فضل حَمَلَة القرآن
- ١٧٥ تعليم القرآن وتعلّمه
- ١٧٧ الاعتصام بالعهد الإلهي
- ١٧٩ فهم وشعور الكائنات
- ١٨١ لسان أهل الجنة

الفصل الثامن:

الدعاء وحكمته

- ١٨٣ آداب الدعاء
- ١٨٤ القرب الإلهي
- ١٨٦ النداء أم النجوى؟



١٨٧	هدية العجز و الذل
١٨٨	الدعاء و القضاء و القدر
١٩٠	التسليم و الإخلاص في الدعاء
١٩١	الدعاء في أرض منى
١٩٢	نماذج من أدعية أولياء الله
١٩٤	العلو و الرفعة في الدعاء
١٩٤	عظمة النبي ﷺ
١٩٥	علو الهمة في الدعاء
١٩٧	التوسع في الدعاء
١٩٨	الدعاء المستجاب
٢٠٠	صفاء الباطن
٢٠١	فضيحة الشرك
٢٠٢	المضطر و المجيب
٢٠٣	حقيقة الدعاء
٢٠٤	الشاهد و المشهود

الفصل التاسع:

التولي و التبيري و حكمتهما

٢٠٧	الجازبة و الدافعة في المخلوقات
٢٠٨	حرم الله
٢٠٩	تولي رسول الله ﷺ
٢١٠	معنى الصلاة على النبي ﷺ
٢١٢	الصورة البهية للولاية
٢١٣	أفضل دخر في الحياة

- ٢١٤..... حكمة المحبة
- ٢١٥..... حديث بين الوالد و ولده
- ٢١٧..... تقبّل الولاية من أعماق القلب
- ٢١٨..... المظهر الأتم للولاية المطلقة
- ٢١٩..... صاحب الجنة
- ٢١٩..... مدينة الحكمة
- ٢٢٠..... فضائل علي عليه السلام في كلام سعد بن أبي وقاص
- ٢٢٠..... ١- علي من النبي و النبي من علي
- ٢٢١..... ٢- سدّ الأبواب إلى باب علي عليه السلام
- ٢٢٢..... ٣- حامل الراية في خير
- ٢٢٣..... ٤- حبيب قلب النبي ﷺ
- ٢٢٤..... شريك القرآن
- ٢٢٥..... ٥- خليفة النبي ﷺ
- ٢٢٥..... بيان المقام الرفيع للإمام عليه السلام
- ٢٢٧..... الأئمة و المتخرجون من مدرستهم

الفصل العاشر:

الذكر و حكمته

- ٢٣١..... ذكر الله
- ٢٣٢..... الذكر اللساني
- ٢٣٣..... أقسام الذكر
- ٢٣٤..... العناصر المحورية للذكر
- ٢٣٥..... جوهر الذكر و الدعاء و السؤال
- ٢٣٦..... الفصل الأول: الذكر و العقل النظري و العملي



٢٣٩	الفصل الثاني: الذكر حياة
٢٤١	ملاحظة: الاقتصاد على الذكر المأثور
٢٤١	الفصل الثالث: مراتب الذكر و درجات الذاكر
٢٤٣	ملاحظة: اختلاف الخطاب في اختلاف المخاطب
٢٤٤	تنبيه: مراتب المذكور الأربعة للذاكر
٢٤٥	ملاحظة: نصوص التكبير
٢٤٥	الفصل الرابع: مراتب ذكر الله
٢٤٦	ملاحظة: ذكر الذاكر محفوف بذكرين من الله
٢٤٧	السكوت الإيجابي و السكوت السلبي
٢٤٨	الفصل الخامس: آثار ذكر الله
٢٥٠	أثر الإخلاص الخالص
٢٥١	ملاحظة: أثر ذكر مظاهر الله و آياته
٢٥٣	خطر نسيان الله
٢٥٤	الفصل السادس: أفضل ذاكر و مذكور
٢٥٥	استدامة الذكر
٢٥٦	أكمل صفات الذكر
٢٥٧	ملاحظة: كيفية الذكر
٢٥٧	تنبيه: سكينه السالك الذاكر في نهاية الأمر
٢٥٨	ملاحظة: الخوف البدوي للقاسي و الساهي
٢٥٩	ملاحظة: أثر ذكر الله في القلب
٢٦٠	ذكر ما في المتون الدينية
٢٦١	التأثير المتبادل بين ذكر الحق و نسيان الباطل
٢٦٢	الفصل السابع: مصاديق الذكر



٢٦٢.....	١- الإنسان الكامل
٢٦٤.....	٢- ذكر الله التدويني
٢٦٥.....	٣- الصلاة
٢٦٦.....	ملاحظة: الفرق بين الإمساك و التمسك
٢٦٧.....	ملاحظة: كثير الذكر كثير الصلاة
٢٦٨.....	تنبيه: صعوبة الذكر الكثير
٢٦٩.....	الفصل الثامن: طريق الوصول إلى علو الذكر
٢٧٠.....	الفصل التاسع: ذكر الله شفاء
٢٧١.....	دليل توقيفية الذكر
٢٧٢.....	الفصل العاشر: شمولية الذكر
٢٧٣.....	تنبيه: دائرة ذكر الله
٢٧٤.....	ملاحظة: الانسجام بين ذكر الله و التفكير العلمي
٢٧٥.....	الفهارس

مقدمة الناشر

بسمه تعالى شأنه

«الحمد لله الذي لبس العزّ والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه»^١ والحمد لله الذي ألبس أهل العالم جلباب العبودية ورداء الفقر والمسكنة ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^٢ لكي يتم إثر تلاقي الفقر والغنى والعزّ والافتقار ردّ السؤال بالعتاء واستبدال الفقر بالاستغناء ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^٣ ويكون الناتج من هذا التلاقي والحاصل من هذا الترابط زوال الفقر وازدياد الغنى وانصواء العالم تحت ظلّ عزة الله وظهوره وكبرياء الإله وحضوره.

وإنّ الذي يبدو مهماً في هذه الصنعة وضرورياً في هذه الدراية هو نقطة الالتقاء و حلقة اللقاء، ألا وهو العبادة التي تمثل نقطة الوصل و حلقة الربط.

فهي مذاق الروح و موطن اشتياق النفس و هي السّلم للراقي و التعالي و هي الطريق للوصول إلى الجلال و الجمال، بيد أن لهذه الرقيقة السماوية أسرار و حكم و

١ . نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

٢ . سورة مريم، الآية ٩٣.

٣ . سورة الرحمن، الآية ٢٩.

لطائف و طرائف إن أدركها واستنار بها أحد لما ترك حلاوة طعمها و طراوة عطرها و لما فتأ عن القنوت داعياً «اللهم أذقنا حلاوة عبادتك».

وإن أركان العبودية و أضلاع عبادة الله سبحانه و تعالى كما وردت في الحديث ثلاثة أشياء: «أن لا يرى العبد لنفسه مآخولاً لله ملكاً، لأن العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به، و لا يدبر العبد لنفسه تدبيراً، و جملة اشتغاله فيما أمره الله به و نهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن يتفق فيه، و إذا فوّض العبد تدبير نفسه على مدبره هان عليه مصائب الدنيا، و إذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى و نهاه لا يتفرغ منهما إلى المراء و المباهاة، و لا يطلب ما عند الناس عزّاً و علوّاً، و لا يدع آيامه باطلاً»^١.

فأيما عبد عبد الله سبحانه و تعالى بهذه الرؤية يكون و كأنه يشهد جماله و جلاله من خلال هذه العبودية أو أنه يشعر على الأقل بأنه يقوم و يعقد و يركع و يسجد و يسلم و يقنت بمرأى و مشهد من الله عز اسمه فيهب له هذا الحضور حياة قلب جديدة. قال النبي ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه، و إن كنت لا تراه فإنه يراك»^٢.

و مما لا شك فيه أنه لا يذوق حلاوة العبادة و طراوتها إلا من أبعد حلاوة الذنب الكاذبة و لذة الفجور الزائفة عن نفسه. «كيف يجد لذة العبادة من لا يصوم عن الهوى»^٣.

و علاوة على الأسرار و الحكم الكامنة في أصل العبودية و حقيقتها، فإن لكل من مظاهرها و رموزها طرائف و ظرائف تؤمن بعداً من أبعاد وجود الإنسان.

١. مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٠٨٩.

٢. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٧٤.

٣. شرح غرر الحكم، ج ٤، ص ٥٦١.



وإنّ هذا الكتاب القيم الذي ترشّح عن يراع مؤلفه الحكيم، سماحة آية الله الأستاذ جوادى الأملى (دام ظله)، الموسوم بحكمة العبادات و المرتب في عشرة أقسام قد تناول كلّ واحد منه نوعاً خاصاً من العبادة و قام ببيان أسرارها و حكمها.

فجرئى الكلام في القسم الأول عن العبادة و حكمتها، و في القسم الثاني عن النية و أسرارها، و في القسم الثالث عن حكمة الطهارة (الوضوء و التيمم)، و في القسم الرابع عن باطن الصلاة و أسرارها و حكمها، و في القسم الخامس عن أسرار الصوم، و في القسم السادس عن عبادة الاعتكاف، و في القسم السابع عن حكمة تلاوة القرآن و رموزها، و في القسم الثامن عن أسرار الدعاء و آدابه و حكمه، و في القسم التاسع عن روح العبادات و هو التولي و التبري، و في القسم الأخير عن الذكر و حكمته و محوره و أقسامه.

جدير بالذكر أنّ المؤلف قد أفرد لمسألة الحج كتاباً خاصاً تحت عنوان صهبائ حج و تناول بحث الصلاة بالتفصيل في كتاب أسرار الصلاة.

هذا و إنّ معظم أبحاث الكتاب التي ألفت في شهر رمضان المبارك على جمع خاص من المخاطبين كانت قد طبعت من قبل منشورات الزهراء بعد أن تم تنظيم كلّ واحدة من هذه الجلسات على شكل دروس بواسطة حجة الإسلام الشيخ حسين رضواني و بعد أن أعاد سماحة الأستاذ (دام ظله) النظر فيها تحت عنوان «أسرار العبادات» فشكر الله مساعيهم. و لكن بالنظر إلى الفترة الزمنية البعيدة نسبياً التي مضت على طبعه و إلقاء بعض المباحث الجديدة و التي كان لبعضها دور المتمم لمسائل الكتاب و كذا لما يبدو من ضرورة تنظيمه و تقويمه و ترتيب تبويبه و تركيبته من جديد تمت إعادة صياغته و وضع بين يدي الراغبين و المتعطشين للمعارف و الحكم الإلهية بالصورة الفعلية. آمليّن أن يقع موقع رضا الله سبحانه و قبوله.

و قد قمنا في هذه الطبعة بالفرز بين مباحث الكتاب و ترتيبها في عشرة أقسام منفصلة و تنقيح العبارات و وضع عناوين خاصة و إسناد الروايات إلى مصادرها و عمل فهرس فنية و دقيقة لكل واحد منها لما في ذلك من دور كبير في إغناء الكتاب و إعداده لانتفاع القراء منه بشكل أمثل.

علماً بأن ما أورده المؤلف في نهاية الكتاب من آراء متممة و أفكار رائعة إضافة إلى كلّ تلك المحاسن قد أضفت على ثراء الكتاب و غنائه و هذا ما سيجد آثاره و بركاته الباحثون في هذا الأثر النفيس.

و في الختام، نتقدّم بالشكر الجزيل لكلّ من ساهم في نشر هذا الأثر، و نخصّ منهم حجج الإسلام السيد عباس سالاري و محمد تقي سعيدي و كذا حجة الإسلام حسين شفيعي الذي بذل جهده في كلّ هذه المراحل المذكورة بدقة لإنهاء العمل و الذين ساهموا أيضاً في طباعة هذا الكتاب و إعداد صفحاته و أموره الجانبية.

سائلين العليّ القدير أن يرفع درجات الشهداء العالية و المقام الشامخ للإمام الخميني قدس سرّه و أن يوفقنا أجمعين لخدمة الإسلام و الجمهورية الإسلامية و المجتمع الإسلامي العزيز تحت ظلّ ولاية قائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله السيد الخامنئي (دام ظلّه العالي).

المقدمة

حكمة العبادة وثمرتها

١- إنَّ كلَّ معلول في نظام التكوين عبد لعلته و تابع لها في حدوده و بقاءه و مطيع لها في ذاته و صفاته و أفعاله؛ و لا سبيل لانفصام سلسلة العلية، فلا نكوص في العلة عن الإشراف و الإفاضة و لا تنصّل للمعلول عن الانقياد و الخضوع. و إنَّ استغناء المعلول المفتقر إلى العلة من الأساس، عن علته التي يعدّ اللازم الضروري لها هو عين الإفاضة على المعلول لا ينسجم مع أساس العلية و المعلولية؛ و من هنا فإنَّ عالم الإمكان بأسره الذي هو معلول لله سبحانه إنما هو عبد محض للحق و لا يتمرد عن امتثال أوامره التكوينية طرفة عين: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^١، و إنَّ عناوين الإسلام^٢، و التسبيح^٣، و السجدة^٤، و العبودية^٥، و الإطاعة^٦، الواردة في

١ . سورة يس، الآية ٨٢.

٢ . سورة آل عمران، الآية ٨٣.

٣ . سورة الإسراء، الآية ٤٤.

٤ . سورة النحل، الآية ٤٩.

٥ . سورة مريم، الآية ٩٣.

٦ . سورة فصلت، الآية ١١.

القرآن الكريم ناظرة إلى هذه المسألة، فلا يُعقل الكفر التكويني ولا يُتصور النفاق أو العصيان الطبيعي، وهذا هو الجبر العلي الذي أذعن به كل علماء العقل ما عدا الأشاعرة الجبرية حيث رفضوه في نظام التكوين استناداً إلى زعم الأولوية ونفي ضرورة العلية، لأنهم استبدلوا أصل العلية الفلسفية بجبر العادة وأنكروا الربط الضروري. ولو تم إرجاع العلية إلى الشأنية، لانتضحت مسألة اتباع المظهر للظاهر وكذا الإسلام والتسبيح والسجدة والعبودية وإطاعة جميع المظاهر لظواهرها بشكل جلي؛ لأن الصورة المرآتية لا مقام لها سوى الخضوع أمام صاحب الصورة.

٢- لا سبيل لأي نوع من الجبر والتفويض في نظام التشريع الذي هو الأساس لكل ضرب من ضروب الامتحان والتكامل الاختياري وإن الوجود المفكر المختار الخاضع للقانون حرّ في اختيار طريقه ومختار في مواصلته و طليقي قبوله ونكوله ومختر في التنسيق بين تطابق الباطن والظاهر أو عدم التنسيق بينهما باسم الإيمان أو النفاق؛ إذ لا معنى للامتحان ولا سبيل للتكامل من دون وجود الحرية. ثم إن نطاق نظام التشريع أضيق من دائرة التكوين، إذ لا سبيل للتشريع إلى غير الموجود الواع، بيد أن حدود الانقياد أو التمرد في قارة التشريع أكبر؛ ولذا فقد وقعت بعض القوانين التشريعية في طي النسيان فتورّط البعض في مزالق العصيان وتلوّث بعض بلوث النفاق وآخرون بشائبة الرياء وبالتالي فقد نال البعض مقام الخلوص وتحققوا بحقيقة الأصالة والطهارة. ولذا فإن الإسلام والكفر، والإيمان والنفاق، والطاعة والعصيان، والصواب والخطأ وما يجمعهم وهو الحق والباطل مختصة بنظام التشريع في ثقافة القرآن الكريم ولا يوجد في نظام التكوين سوى الإسلام والطاعة والصواب وما يجمعهم وهو الحق؛ لأن زمام كلّ موجود في نظام التكوين بيد الله سبحانه وتعالى وعمله أيضاً على صراط مستقيم^١، وإن دار الحديث عن الضلالة و



البطلان و أمثالهما بشأن بعض مخلوقات عالم الطبيعة فهو إما ناظر إلى نظام التشريع و إما أن يكون أمراً نسبياً لا نفسياً؛ لأن الوجود العيني إنما هو عين الحق و الصواب و بالنسبة لمبدئه الفاعلي مطيع محض.

٣- إن لكل اسم من أسماء الله الحسنى اقتضاء يمكن جعله باللغة البرهانية حداً وسطاً و الخروج منه بنتيجة معينة. و إن الله سبحانه لحكمته لا يصدر منه فعل عبث، لأنه حكيم و الحكيم لا يقوم بفعل إلا و من ورائه هدف يبيغيه و لذا فإن فعل الله فعل هادف^١، و لغنائه الذاتي لا يتأتى لأي شيء أن يكون هدفاً لله سبحانه^٢، إذ لا ستلزم أن يكون الله ناقصاً من دون هذا الهدف و لا يكمل إلا عبر الوصول إليه مع أن واجب الوجود هو عين الكمال المحض و لا يُحدّ بحدود، و لا يمكن فرض كمال خارج عن ذاته. و الجمع بين هذين الاقتضاءين هو أن باري عالم الإمكان منزّه عن الهدف لأنه عين الهدف لكل موجود كما هو عين المبدأ لكل وجود، بيد أن للعالم هدف وجودي يناله و إن كان البعض منهم قد ينحرف عن الجادة في وسط الطريق. ثم إن هدف الإنس و الجن في نظام التشريع هو تكاملهم في العبادة، و لو أن الإنسان الذي له روح عقلية مجردة قام بتربيتها و سبق أصحابه لأصبح هدفاً لكثير من المخلوقات التي دونه في المرتبة و إن كان الهدف الأخير للجميع هو الله سبحانه و تعالى؛ و لكن كما أن الصادر الأول في قوس النزول هو جوهر العقل فإن الراجع و العائد الأكمل في قوس الصعود هو جوهر العاقل، و إن مدار الإمكان يبتدأ بالعقل و ينتهي بالعاقل، و هذه المسألة لا تستند إلى تصوّر العقول العشرة و أمثالها التي لم تعدّها الحكمة «المشائية» من مسائلها الفلسفية القطعية و إنما ذكرتها على حدّ الاحتمال بل تعتمد على أساس تشكيك الظهور أو الوجود التي تدركها الحكمة المتعالية أو يشهدها العرفان.

١ . سورة المؤمنون، الآية ١١٥ .

٢ . سورة إبراهيم، الآية ٨ .

٤- إنَّ للعبادة درجات كثيرة بعضها هدف أوسط و بعضها الآخر هدف أخير. و بما أنَّ العمل محدود و الشهود غير محدود فإنَّ العبادات العملية أهداف محدودة و العبادات الشهودية أهداف غير محدودة. و السرّ في محدودية العبادات العملية هو أنَّ التكليف ينقطع بالانتقال من الدنيا إلى الآخرة بيد أنَّ الشهود مستمر على الدوام، و إنَّ التكامل العملي الناتج عن الفعل الاختياري للإنسان ليس له ظهور في القيامة؛ و لكنَّ التكامل العلمي النابع من إفاضة الله سبحانه متوافر على الدوام فتُكشف الكثير من حجب الغيب بعد الموت و يتأتى شهود ما كان مغيباً عن الأبصار. و من هنا يعتبر القرآن الكريم الهدف من خلق العالم هو معرفة الإنسان بقدرة الله و علمه المطلق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾^١. ثم إنَّ العلم الحسولي و اليقين الاستدلالي و إنَّ عُدَّ في حدِّ ذاته كمال علمي و جُعل هدف، إلاَّ أنَّه يعتبر وسيلة بالنسبة للعلم الحسوري و اليقين الشهودي: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوْهَا غَيْرَ الْيَقِينِ﴾^٢، أي يمكن الوصول إلى عين اليقين من خلال علم اليقين. و على هذا يمكن اعتبار الهدف النهائي من الخلقة هو اليقين الشهودي بالمعارف المتكسبة دوماً على العبادة، و إن كان اعتماده عليها في كلِّ نشأة يتناسب مع تلك النشأة (فيستند في الدنيا إلى العبادات التشريعية و يعتمد في الآخرة على باطنها التي يظهر فيها)، و لو فُقدت العبادة لحظة واحدة لُسُتر المشهود و حُجب الشاهد؛ لأن الوسيلة الوحيدة لشهود السالك و ظهور الغيب هي العبادة: ﴿وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^٣ لا أن تسقط العبادة بعد اليقين، لأنَّ زوال العبادة يستلزم زوال اليقين، حيث أنَّ أسوء

١ . سورة الطلاق، الآية ١٢ .

٢ . سورة التكاثر، الآية ٥ - ٧ .

٣ . سورة الحجر، الآية ٩٩ .



حجاب هو العصيان. وإنّ الذي يظهر من آية سورة «الطلاق» هو أنّ الهدف من خلق العالم الذي يمثّل ظهور الحقّ في مرآة الخلق هو معرفة الإنسان السالك بعلم الله و قدرته فيؤدّي هذا العلم الشهودي بالعارف الواصل إلى أن يكون مظهرًا لـ «العليم» و «القدير» و يكون قادراً بإذن الله سبحانه و بواسطة «بسم الله الرحمن الرحيم» أن يقوم في الدنيا بنفس ما يقوم به يوم القيامة بمجرد الإرادة و أن يشهد كلّ ما يريد الإحاطة به. و هذا ما يمكن استنباطه من الحديث القدسي المعروف الذي جعل ثمرة ظهور الذات (و المراد بظهور الذات هو نفس تجلّي الحق في مرآة الخلق) التي كانت كنزاً مخفياً هو معرفة الإنسان السالك بالغيب المطلق بمقدار وسعه. و لو كان هناك كلام في سند الحديث المذكور فإنّ آية سورة «الطلاق» تؤيّد دلالته؛ لأنّ الآية المذكورة تعتبر العلم و القدرة كليهما هدفاً للخلقة و بما أنّ قدرة الله هي عين علمه فإنّ قدرة الإنسان العارف أيضاً تصبّ في مجرى علمه؛ لأنّ العقل العملي و النظري متحدان في السالك الواصل.

٥- إنّ الذي يظهر من خلال عمل الجوارح أو خواطر الجوانح، إنّما هو من أحكام العبادة أو آدابها و لا يعتبر من أسرارها؛ و الذي يظهر عبر شهود عقل النظر و انبعاث عقل العمل قد يدخل في عداد حكمة العبادة؛ لأنّ مجرد خطور القلب اليسير تحصيله و المستخدم في الفقه الأصغر و إن كان «نية» بالحمل الأولي إلا أنه «غفلة» بالحمل الشائع، و لذا فهو لا يكفي لاستدامة حضور القلب بل و ينسجم منذ البداية مع أية خاطرة أخرى. و إنّ ذلك التوحيد المتصوّر الذي ينسجم مع أيّ ضرب من الشرك إنّما هو شرك في لباس التوحيد؛ و العارف الأصيل، هو ذلك السالك الواصل الذي لا يردعه شهود الكثرة عن شهود الوحدة بل و لا يحجبه شهود الوحدة عن شهود الكثرة أيضاً ليكون جامعاً لكلا الأمرين، و لكن بشهود الحق لا بعرفان الخلق كما هو نتيجة قرب الفرائض. و كما أنّ مراعاة أحكام الفقه الأصغر واجبة و لكنها غير كافية لنيل حكم العبادات، كذلك مراعاة تعاليم الفقه الأوسط و هو الفن الشريف

للأخلاق المستدلة لازمة ولكنها غير وافية؛ بل لابد من اللجوء إلى إرشادات الفقه الأكبر وهو العرفان النظري والعملي ليتأتى الوصول إلى مصدر نزول العبادة بضمير شاهد و سر طاهر والقيام بها عبر مجاري المعبود المدركة والمحرّكة، كما يشير حديث «قرب النوافل»^١، إلى جانب من ذلك. فيصل السالك الواصل بعد ذلك إلى حكمة العبادة بل ويصبح موضع سر المعبود و عيبة علمه: «هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ وَ لَجَأُ أَمْرِهِ وَ عَيْبَةُ عِلْمِهِ وَ مَوْئِلُ حُكْمِهِ وَ كَهُوفُ كُتُبِهِ وَ جِبَالُ دِينِهِ بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءُ ظَهْرِهِ وَ أَذْهَبَ ارْتِعَادُ فَرَائِصِهِ»^٢. وبما أن سر العبادة تعتبر بمثابة روحها وحكمها وأدائها بمثابة بدنها، لذا تجد القرآن الكريم دوماً ما يقدم ذكر الإنفاق السري على الإنفاق الجهري كما وغالباً ما يقدم في هذا المضمار ذكر الليل على النهار^٣، وإن السبب في تقدّم السر على الجهر والليل على النهار هو أن شهود الحق سيكون أشدّ جلاءً و صفاءً في نشأة الخلوة والابتعاد عن الأغيار. ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾^٤. علماً بأن السالك الواصل إن أصبح مظهر آل «لا يشغله شأن عن شأن»^٥، فيسكون ليله ونهاره متحدان و سرّه وجهه متساويان؛ إذ نال مرتبة لا سبيل للصباح والمساء ولا مجال للسرّ والجهر الوصول إليها، لأنها اجتازت دائرة القياس وتعدّت حدود النسبة؛ ولو قضى سالك طوال الليل بذكر آية خاصة فهو إما من باب تعليم الغير أو أنه لريصل بعد إلى الهدف النهائي كما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قضى لثلي ليلة بتلاوة ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفِيرُ الْحَكِيمُ﴾^٦، و كرّر ﴿بِسْمِ اللَّهِ

١. بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٢٢، ح ٢١.

٢. نهج البلاغة، الخطبة الثانية.

٣. سورة البقرة، الآية ٢٧٤. سورة الرعد، الآية ٢٢. سورة إبراهيم، الآية ٣١. سورة النحل، الآية ٧٥.

٤. سورة المزمل، الآية ٦.

٥. من فقرات دعاء الجوشن الكبير وكذلك: بحار الأنوار، ج ٨٧، ص ١٥٤.

٦. سورة المائدة، الآية ١١٨.



الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿عشرين مرة١﴾، كما وقضى سعيد بن جبير ليلة كاملة في هذه الآية: ﴿وَ
اِفْتَارُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾^٢.

٦- هناك ثمة علامات للوصول إلى أسرار العبادة منها ما هو شرط طولي لا
عرضي لصحة العبادة وقبولها كالطهارة التي تعدّ شرطاً لصحة الصلاة: «لا صلاة إلا
بطهور»^٣؛ كما أنّ «فاتحة الكتاب» تعتبر جزءاً قطعياً منها: «لا صلاة إلا بفاتحة
الكتاب»^٤؛ بيد أنّ مثل هذا الاشتراط والتوقّف وإن كان متصفاً بالتقدم الرتبي و
لكنّه يقع من حيث معرفة الأسرار في عرض العبادة المشروطة والموقوفة لا في طولها؛
لأن الشرط الطولي لقبول الطهارة والصلاة أيضاً هو التقوى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مَنَ
الْمُتَّقِينَ﴾^٥.

وقبول التقوى أيضاً رهن ولاية الإنسان الكامل حيث لا تقبل أية عبادة وحتى
التقوى من دون تولي المعصومين (عليه السلام)، بل ولا تقبل أيضاً مع عدم الاعتقاد بولايتهم
التكوينية حتى مع قبول كونهم ولاية أمر؛ لأن الولاية التكوينية هي سرّ ولايتهم و
قيادتهم للمجتمعات البشرية، ومعنى ذلك أنّ قبول ولايتهم كالصلاة والصوم و
الزكاة والحج وما إلى ذلك تعتبر من فروع الدين^٦، ولكل فرع أصل يعدّ سرّاً لذلك
الفرع، فالذي يدخل في عداد فروع الدين هو قبول ولايتهم والذي يعتبر من أصول
الدين هو الإيمان بضرورة تنصيبهم من قبل الله سبحانه وتعالى و كونهم مظاهر لله عزّ
وجلّ.

١. أسرار القرآن للغزالي، ص ٢٦.

٢. نفس المصدر.

٣. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٢٣٧، ح ١١.

٤. مستدرک الوسائل، ج ٤، ص ١٥٨، ح ٤٣٦٥.

٥. سورة المائدة، الآية ٢٧.

٦. وسائل الشريعة، ج ١، ص ١٣ و ١١٨، الباب ١ و ٢٩ من أبواب مقدمة العبادات.

و يتّضح من هذا المنطلق أنّ حقيقة الإنسان الكامل هي الحكمة لكلّ ضرب من ضروب العبادة و كلّ سالك يصل إلى سرّ العبادة بمقدار ما ناله من الكمال الإنساني و إنّ أكملهم و هم المعصومون عليهم السلام قد حازوا على أعلى مراتب أسرار العبادة و لذلك فهم الصراط المستقيم و ميزان الأعمال و

٧- للوصول إلى هذا المقام الرفيع و الانتصار على المنافس الذي لا تدوم مآشاته و الذي سيؤول أمره إلى الخسران لا مفرّ من التعقّل و اليقظة في الحفاظ على حرم القلب الآمن و لا يحيص للحكمة من التدبّر و التعمّق و لا منال للاجتهاد من دون طهارة الضمير و صيانة السرّ: «الظفر بالحزم و الحزم بإجالة الرأي و الرأي بتحسين الأسرار»^١.

٨- هناك و بعناية الله رسالة أخرى قيد التدوين تعني ببيان أسرار العبادة و لذا من الأنسب أن يدور الكلام عن الكتاب الحاضر. يحتوي هذا الكتاب على مجموعة من المحاضرات التي ألقيت في شهر رمضان المبارك سنة ١٤٠٥ هـ على جمع من الأخوة في حرس الثورة الإسلامية بقم و تناولت البحث في حجّم الصوم أكثر من حجّم سائر العبادات و ذلك لمناسبة شهر رمضان و كذا جانباً من حجّم القرآن حيث أنّ هذا الشهر هو ظرف لنزول الكثير من صحف الأنبياء عليهم السلام، كما و تمّ التعرّض لنبذة من مباحث ليلة القدر و طائفة من كلمات الإمام المجتبي عليه السلام حيث ولادته في النصف من شهر رمضان، و لوقوع فتح بدر و فتح مكة في هذا الشهر المبارك و من جانب آخر فقد توافقت تلك الأيام مع قصف المناطق السكنية و الهجوم الصاروخي و الكيماوي من قبل حزب البعث العراقي بأمر صدام اللعين، جرى الحديث عن جانب من الجهاد و الإيثار و التضحية للشعب الإيراني المسلم، و لتعظيم هذا الشهر المبارك و تعريفه



استعين بخطبة الرسول الأكرم ﷺ في آخر جمعة من شهر شعبان وكذا دعاء الوداع للإمام السجاد عليه السلام، كما وتم بيان سر تسمية هذا الشهر بشهر الله في خطبة النبي ﷺ ودعاء الإمام السجاد عليه السلام.

ثم إن السر في سرعة انقضاء هذا الشهر المبارك على المؤمنين وكثرة طوله على المجرمين كما جاء في دعاء الوداع: «ما كان أطولك على المجرمين» هو نفسه بالنسبة ليوم القيامة حيث أنه للمؤمنين الصادقين بمقدار صلاة الفريضة وللآخرين بمقدار خمسين ألف سنة^١! و دليل ذلك هو أن المؤمن نور يمثل يسير في مراحل النور، و سير النور سهل و سريع لأنه يخرق كل حجاب؛ وإن ما هو مشهود من النور الحسي إنما هو غيض من فيض ذلك النور العقلي. يروي الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه المعصومين عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «المؤمن يتقلب في خمسة من النور، مدخله نور و مخرجه نور و علمه نور و كلامه نور و منظره يوم القيامة نور»^٢.

١ . سورة المعارج، الآية ٤ ورواية في تفسير هذه الآية.

٢ . الحاصل، ج ١، ص ٢٧٧.

شكر وتقدير

لا يمكن تصوّر أيّ إحسان و لطف من قبل غير الله سبحانه بالاستناد إلى التوحيد الأفعالي: ﴿وَمَا يَكُنْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^١، بيد أنّ المؤمنين الربانيين مظاهر فضل الله، ولذلك فإنّ شكرهم هو حمد لوليّ النعمة الذي ظهر في مقام الفعل في كسوتهم^٢، ومن هنا قال صاحب المقام المحمود: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^٣، كما أنّ المبدأ الفاعلي لأيّ حمد و شكر هو ذات الله القدسية أيضاً، لأنّ الله عزّ اسمه حامد محض و محمود صرف كذلك و لذا فإنّ الحمد المطلق سواء كان بمعنى الحامد أو بمعنى المحمود مختص بالله. و بما أنّ ساحة حجة الإسلام الشيخ حسين رضواني - هداة الله إلى مقام الرضا - قام بخلوص نية و علوّ همة بنقل جميع المحاضرات من الأشرطة و استخراج مصادرها، لذلك نتقدم إلى سماحته بالشكر و التقدير سائلين العليّ القدير مزيد علم و عمل له و لسائر الفضلاء الكرام و كذا صيانة الحوزة المقدسة بقم و سلامة قائد الثورة الإسلامية. قم، جمادى الثاني ١٤٠٩

جوادى الآملی

١ . سورة النحل، الآية ٥٣ .

٢ . من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٨١ .

٣ . نفس المصدر .

القسم الأول:

العبادات وحكمتها

الإنسان وحكمة العبادات

إن لكل ما في عالم الدنيا باطن لأنها المنزل الأدنى للعوالم الأعلى، وكل ما في عالم الدنيا مثال لما في عالم المعنى. والأحكام والقوانين الإلهية التي ظهرت في الدنيا على صورة دين وتعاليم عبادية تحمل في مكنونها أسرار وباطن.

وإن للعبادة التي تمثل الهدف من خلق الإنسان حكمة وهي غير الآداب والأحكام المختصة بها. فإن أحكامها هي الواجبات المبينة في الكتب الفقهية. من قبيل كيفية أداء الوضوء وكيفية الصلاة وما هي واجباتها وأركانها....

وللعبادات آداب أيضاً منها ما هو مذكور في الكتب الفقهية باسم المستحبات ومنها ما هو مذكور في الكتب الأخلاقية. والقسم الثالث حكمة العبادات، فإن الإنسان يُحشر مع سرّ العبادة. وهي التي لا ترد في الكتب الفقهية ولا في الكتب الأخلاقية تمثل روح العبادة وباطنها المرتبطة بباطن الإنسان الذي سيكون حشره معها أيضاً.

فقد كتب الشهيد الأول واجبات الصلاة في كتاب موسوم بـ «الألفية»، و

مستحباتها البالغ عددها نحو ثلاثة آلاف في كتاب مدعوب «النفلية»؛ وأما المرحوم القاضي سعيد القمي وآخرون كسباحة الإمام الخميني عليه السلام فقد ألفوا في أسرار الصلاة، ومن الواضح أن حكم الصلاة و أسرارها غير آدابها. وقد أمرونا بتعلم الحكمة والعمل بها. فإن الصلاة والصوم والوضوء وسائر التكاليف من الأحكام الإلهية ويتحتم علينا إضافة إلى العمل بكل واحد من هذه الأحكام السعي لمعرفة حكمها النهائية أيضاً.

حكمة ألقاب المعصومين عليهم السلام و أوصافهم

لا تقتصر هذه الحقيقة على العبادات بل إن لألقاب المعصومين عليهم السلام و أوصافهم حكم تختلف عن معانيها الظاهرية. فيجب علينا التفوه بهذه الكلمات والسعي أيضاً لمعرفة باطنها وحكمها.

سأل شخص الرضا أبا الحسن عليه السلام: لو كنتي النبي ﷺ بأبي القاسم؟ فقال: لأنه كان له ابن يقال له «قاسم» فكنتي به. قال له: يا ابن رسول الله فهل تراني أهلاً للزيادة؟ فقال: نعم،... أما علمت أن علياً قاسم الجنة والنار؟ قال: بلى، قال: فقيل له أبو القاسم لأنه أبو قاسم الجنة والنار^١. ومعنى ذلك أن علياً يوم القيامة يدعو أهل النجاة إلى الجنة ويرسل أهل الحجيم إلى النار - بإذن الله - فهو القاسم، وبما أن الله سبحانه نقل علياً في طفولته إلى أحضان النبي وصار عندها تلميذاً عنده، وأن كل طالب بمثابة الإبن لمعلمه، فعلي ابن النبي.

فإن هذا المعنى والتفسير لأبي القاسم هو من حكمة هذه الكنية. وهذا ما لا يتأتى لأي أحد معرفته وتفسيره.

نقل المرحوم الحاج الشيخ محمد تقي الأملي رحمته - ذلك الإنسان الكامل في العلم والعمل - هذا الحديث يوماً بعد درسه ثم قال: لو كان لهذا الشخص مزيد من شرح الصدر وكرر سؤاله لذكر له الإمام بياناً آخر.

ولذا فإنّ ما ورد في كلمات المعصومين عليهم السلام من ألفاظ للعبادات إنّما هو من باب أنهم يكلموننا على قدر عقولنا لا أن تكون هذه الألفاظ التي نقرأها هي حكمة الصلاة وحقيقتها؛ بل إنّ من وراء هذه الألفاظ والمعاني والمفاهيم حقائق. فإنّ وسّعنا فكرنا سنقف على شيء مما وراء هذه الألفاظ من مسائل أخرى. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»^١، وكلّ يفهم بمقدار فكره.

الإمام السجاد وحكمة العبادة

إنّ خطبة الإمام السجاد عليه السلام التي ألّفها على منبر الشام تدلّ على أنّ المعصومين عليهم السلام قد وصلوا إلى حكمة العبادات، حيث يقول في مقطع من كلامه: «أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء»^٢، ومعنى ذلك أنّي قد وصلت إلى تلك العبادة التي لا بد من أدائها في مكة ومنى وأنها هي التي ساقنتني إلى هذا المكان، وليس المراد بها أنني ابن أرض مكة ومنى. فساكن منى وأهلها ليسوا أبناء منى وإنما أبناؤها هم الذين ضحّوا من أجل بقاء الدين على حياته مصوناً من الزوال والاضمحلال. على الرغم من أنّ الحسين بن علي عليه السلام في هذا السفر رجع من مكة ولم يذهب إلى المشعر ومنى وعرفات ولم يضحّ في منى، وقبل العاشر من ذي الحجة توجه من مكة إلى الكوفة وكان الإمام السجاد عليه السلام أيضاً بصحبته ولكنه يقول رغم ذلك: «أنا ابن مكة ومنى».

١. الكافي، ج ١، ص ٢٣، ح ١٥.

٢. خطبة الإمام السجاد عليه السلام في جامع دمشق (بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٣٨؛ تذكرة الخواص، ص ١٤٩).

فمن كان موطناً نفسه لتقديم أفضل الشهداء و التضحية بهم لصيانة دين الله قد نال حقيقة التضحية؛ و هو ابن منى و إن لر يشهدا.

و قد ذكر الله سبحانه و تعالى مبيناً حكمة التضحية بأن لها ظاهراً و باطناً؛ ظاهرها لا يصعد إلى الله و باطنها يصل إليه: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى﴾، أي لن يصعد إلى الله لحم الأضحية و دمه، و إنما الذي يصعد إليه هو التقوى المقترنة بعملية التضحية و ذبح الغنم و الإبل التي تمثل روح العبادة و باطنها و حكمتها.

فقد كان أهل الجاهلية إذا ذبحوا القرابين، علقوا على جدار الكعبة شيئاً من لحومها و لطفوه بشيء من دمائها لكي تقبل! فجاء الإسلام و حكم على هذا العمل بالبطلان. إذن فالإنسان المتقي الذي نال في الواقع باطن العبادة و يسعى إلى نيل حكمتها النهائية هو الذي يصل إلى الله.

عنصر العشق و المحبة في حكمة العبادات

إنّ السبيل للوصول إلى حكمة العبادات هي أن لا يرى العابد إلا المعبود. و الركن الأساسي لذلك هو اختصاص محبة الإنسان بالله و ثمرتها زوال التشويش و الاضطراب؛ لأنّ الفاني ليرى محبوباً له و محبوه باقي لا يعتريه الفناء. و لذا تجد العارف لا ينتابه الحزن و لا يغمره الغم.

فإنّ الإنسان قد يغتم على ما مضى و يقلق على ما سيأتي. بيد أنّ الذي نجا من الماضي و المستقبل لا يعبأ بهما و قد جاء من زمن يفوق هذا الزمان و اجتاز الماضي و المستقبل. فلم يفقد قبل هذا شيئاً حتى يعتريه الغم و لن يفقد بعد ذلك شيئاً حتى ينتابه القلق من الآن. و على حدّ تعبير ابن سينا:



العارف هَشَّ بِشَّ بَسَام، يُبَجِّل الصغير من تواضعه كما يُبَجِّل الكبير و ينسبط من الحامل مثل ما ينسبط من النبيه و كيف لا يهَشَّ و هو فرحان بالحق و بكل شيء فإنه يرى فيه الحق^١.

و هذه هي علامة الوقوف على حكمة العبادات.

العشق و الشوق

قال الإمام الصادق عليه السلام: «هل الدين إلا الحب؟»^٢. و قد كان الأئمة المعصومون عليه السلام يعبدون الله لأنهم أحبّوه و جدّوه أهلاً للعبادة، «بمحبتك يا أمل المشتاقين»^٣، و الشوق هو الذي يسوق الإنسان إلى الله، لا أن تكون الجنة هي الهدف، و «الأمل» هو الأمنية التي تحبّر الإنسان إلى الملح و تسوقه إلى الولع، فقد يكون الإنسان راجياً و قد يكون آملاً. و الشوق الذي يكون متعلّقه باطلاً إنسا هو شوق كاذب، و الشوق الصادق هو المتّجه نحو الله سبحانه و تعالى، بحيث يكون الإنسان بادئ الأمر مشتاقاً إلى الله و بالتالي عاشقاً له.

و الفرق بين الشوق و العشق هو أنّه يُطلق «الشائق» على من يطلب الشيء و هو فاقد له و «العاشق» على من وصل إلى مقصوده فيحفظه. إذ يقال للظمآن الذي يُفَتِّش عن العين بأنه: مشتاق للعين، و يقال للذي وصل إلى الماء بأنه: عاشق للعين.

قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَشِقَ الْعِبَادَةَ فَعَانَقَهَا وَ أَحَبَّهَا بِقَلْبِهِ وَ بَاسَرَهَا بِجَسَدِهِ وَ تَفَرَّغَ لَهَا فَهُوَ لَا يُبَالِي عَلَى مَا أَصْبَحَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى عُسْرِ أَمٍّ عَلَى يُسْرِ»^٤.

١ . الإشارات و التنبيهات، ج ٣، ص ٣٩١.

٢ . بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٢٣٧.

٣ . مفاتيح الجنان، مقطع من دعاء اليوم التاسع من شهر رمضان المبارك.

٤ . الكافي، ج ٢، ص ٨٣، ح ٣.

إذن فأفضل الناس هو من يعشق العبادة و قد حرّصنا هذا الحديث على اشتياق العبادة بادئ الأمر و بالتالي عشقها.

و قد قيل: إنّ كلمة «عشق» مشتقة من نبات خاص اسمه «عشقة» و هو نبات إذا التصق بجذع الشجرة لا ينفك عنها و يقطع عليها طريق نفسها حتى يصفّر لونها شيئاً فشيئاً فتساقط أوراقها و تيبس في آخر المطاف، فيقال عند ذلك: هذه الشجرة قد أخذتها «العشقة». و يُطلق العاشق على مثل هذا الإنسان.

فإنّ العبادة ليست بالأمر المهم؛ و إنما المهم هو عشق العبادة و حبّ الصلاة و باطنها. كما أنّ الحرب ليست مهمة و المهم أن يكون الإنسان محباً للجهاد في سبيل الله. حيث نجد أنّ جميع المحاربين في عالم الطبيعة قد ضمّر ذكّهم و أما أسماء المجاهدين المسلمين فقد بقي ذكرها في العالم و سيبقى إلى الأبد. فهل كان القتل الغاشم قليلاً في هجوم المغول؟ فكم من الذين قلعوا جلود رؤوسهم و ملأوها بالتبن و وضعوها على القصب! فلمْ دُفنْ ذكّهم في كتب التاريخ؟ و لمْ لربيق لهذا الكلام أثر؟ كما و قام المغول أيضاً بتقطيع البعض إرباً إرباً و تقسيم أعضائهم من الرؤوس و الأيادي و الأرجل ما بين بغداد و تبريز و شیراز ليشّوا الرعب و الوحشة في قلوب سكّان تلك المناطق فيلجؤون إلى الجمود و الركود!

إلا أنّ هذه الوقائع دُفنت و لربيق لها أثر سوى في كتب التاريخ و ذلك لتجردها من الروح و الباطن.

و أما المجاهدون المسلمون فهم يستجلّبون أنظار التاريخ؛ لأنّ في حربهم روح و لم تكن طلباً للدنيا و الجاه و من أجل النفس. فمن يقاتل من أجل التراب ستكون قيمة دمه بمقدار التراب أيضاً و من يقاتل في سبيل الله فإنّ دمه «ثار الله» و مدعاة لذكر الله. فإنّ المحب للجهاد في سبيل الله يحیی إلى الأبد و المصلي و الصائم يقی خالداً أيضاً. و كم هناك فرق بين القاتل: إني أصلي و قول سيد الشهداء عليه السلام: إني أحب الصلاة.



روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا يجمع الله لمؤمن الورع والزهد في الدنيا إلا رجوت له الجنة وإني لأحب للرجل المؤمن منكم إذا قام في صلاته أن يقبل بقلبه إلى الله تعالى ولا يشغله بأمر الدنيا فليس من مؤمن يقبل بقلبه في صلاته إلى الله إلا أقبل الله إليه بوجهه وأقبل بقلوب المؤمنين إليه بالمحبة له بعد حب الله إياه»^١.

أولياء الله ودار العبادة

يصف الله البعض في القرآن الكريم بأن له نوراً قائلاً: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^٢، فيتشعشع منه النور حين يمشي بين الناس؛ ومشيه وكلامه وعمله وسلوكه نور. إذا جالسه المرء يتذكر الله سبحانه؛ إذ لا يتكلم عن المتاع والمأكّل بل يتحدث عن الآيات والروايات.

فإن أولياء الله يتكلمون لا أنهم يسكتون ولكنهم في الخلوة يلزمون الصمت و يتفكرون. و تراهم بين الناس يتحدثون ما بين جواب سؤال أو طرح مسألة. كما أن مجلس رسول الله ﷺ لم يكن مجلساً بارداً حيث كان يجيب على الأسئلة إذا سألوا أو يبتدأ بالكلام إذا سكتوا.

فإن أولياء الله إذا نظروا إلى العالم اقترن نظرهم هذا بالنظرية التوحيدية؛ فيعتبرون واعتبارهم هو العبور من الصفات الرذيلة إلى الصفات الحميدة^٣. فمن لم يعبر من الرذائل إلى الفضائل حين مواجهة الأحداث ليس بمعتبر وإنما هو ناظر. ومن عبر من السيئة إلى الحسنة فهو معتبر، وتكون نظرفته نظرة اعتبار، فهؤلاء هم أهل الذكر ولسانهم يلهج بذكر الله و كما أن الله سبحانه قد وصف القرآن الحكيم من أوله إلى آخره

١. الأمالي للمفيد، ص ١٦٥، المجلس ١٨، ح ٧.

٢. سورة الأنعام، الآية ١٢٢.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٢٣٧، ح ٢٥.

بـ «الذكر»، فإن إرشاد هؤلاء و تعليمهم مقترن بالحكمة و حركتهم بين الناس توجب البركة و تعلمهم طريقة الحياة و هي مجرى لفيض الحق أيضاً. فبهم تحل بركات الله على الأمة الإسلامية و حياتهم و طريقتهم مباركة. و يقابلهم الذين يمشون على بطونهم ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾^١، و يصبّون همهم كالزواحف للعمل من أجل البطن.

كانت مدينة قم موطناً لبعض أصحاب الإمام الرضا عليه السلام و منهم «زكريا بن آدم» الذي كتب رسالة للإمام يقول فيها: إني أريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السفهاء. فقال الإمام: لا تفعل فإن أهل قم يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن عليه السلام^٢. و هذا هو مقام العلماء و أولياء الله حيث أن مشيهم و حياتهم و قرارهم بركة.

عنصر اليقين في حكمة العبادات

إنّ للمحقق الطوسي رحمته الله رسالة موسومة بـ «آغاز و انجام» تعنى بمباحث المبدأ و المعاد من أنّ الإنسان من أين و إلى أين و في أين. يقول فيها بعد بيان المعاد و معنى الصراط: المراد بهذه المقولة و هي أنّ الصراط أدقّ من الشعرة و أحدّ من السيف هو أنّ تشخيص التكليف و العمل به أمر عسير. فإنّ معرفة التكليف بمنزلة العبور من طريق أحدّ من السيف و أدقّ من الشعرة. و العمل بهذا التكليف بشكل صحيح بعد تشخيصه كذلك بمثابة العبور من طريق أدقّ من الشعرة و أحدّ من السيف^٣.

١. سورة النور، الآية ٤٥.

٢. زكريا بن آدم من كبار أصحاب الإمامين الكاظم و الرضا عليه السلام، و اعتبره البعض كالشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق أيضاً.

له كتاب في الحديث. (راجع: الاختصاص، ص ٨٧؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٥١).

٣. آغاز و انجام، ص ٣٣.

فإن الوصول إلى حكمة العبادات ليس بالأمر الهين، وهناك صعاب كثيرة تواجه الإنسان في تشخيص الطريق وفي سلوكه كذلك. وعلى حدّ تعبير المرحوم العلامة الطباطبائي رحمته فقد يعيش المرء طيلة حياته تحت ولاية الشيطان وهو لا يعلم. ولذا لابد من محاسبة النفس في كلّ يوم.

وإن الصراط المستقيم الذي نطلبه من الله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف، علماً بأنّ الإنسان إذا شخّص الطريق وسلّكه سيجتاز مرتبة الملائكة وستخضع بأسرها لخدمته فتفتح أبواب الجنة وتأتي لاستقبال المؤمن قائلة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^١. فإنّ مجيء الملائكة لاستقبال المؤمن وخدمتهم له لا يتم بلا ثمن.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شيء أعزّ من اليقين»^٢، فهو الأثر المهم للعبادة. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^٣، وهذا هو السرّ لكلّ العبادات، فإنّ الوصول إلى اليقين هو ذروة العبادة ونيل الكمال. ولا يُراد به الكفّ عن العبادة بعد الوصول إلى اليقين لكي تكون بمعنى الغاية وإنما المقصود منه هو الفائدة والمنفعة. ومعنى ذلك أنّه لا سبيل لليقين بوجود مبدأ ومعاد ومسیر للعالم وللمعرفة مصير الإنسان إلّا من خلال العبادة، فمن دونها لا يتيسر لأحد الوصول إلى اليقين بالمبدأ والمعاد بل يبقى في شكّ دائم.

١. سورة الزمر، الآية ٧٣.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٥١، ح ٤١؛ قال الإمام الرضا عليه السلام أيضاً: «لربيع بنو آدم أفضل من اليقين» (بحار الأنوار، ج ٥، ص ٧٥، ص ٣٣٨).

٣. سورة الحجر، الآية ٩٩.

حيرة الكافر والمنافق

إنّ الكافر والمنافق في تردد مستمر و لا يوجد عذاب أشدّ من أن يكون الإنسان في تبه و حيرة. يقول الله سبحانه في بيان عذاب المنافقين و الكفار: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾^١، و يسIRON دوماً في دائرة مغلقة.

فمن يعرف الطريق لا يتردد و يعود من حيث أتى، و الجاهل بالطريق ينحرف عن الجادة و يعود ثم يسير ثانية و هذا الردّ المكرّر يطلق عليه بالتردد. و هو يحصل إثر العمى فالكافر و المنافق لا يشهدون الطريق و لذا تجدهم يسIRON دوماً في دائرة الشك و يقضون أعمارهم في عذاب التردد، يتحرّكون في نفس هذه الدائرة المغلقة للشك المكرر من جهة إلى أخرى و لا يجدون مخرجاً.

و قد عبّر عنهم القرآن الكريم ببيان آخر قائلاً: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾^٢، فإنّ هذه القلوب مقفلة جاهلة تائهة إلا أن تُقَطَّع قطعة قطعة. و إنّ قلب الكافر و المنافق في عذاب أليم على الدوام، لا يدري على من يعتمد؛ و من هنا قال الله سبحانه و تعالى عن لسان رسوله الكريم: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾^٣، لقد أضعت الطريق. فتدلّ هذه الآية على أنّ للإنسان العابد هدف و هو يعرف الطريق و يصل إلى المقصد. و الإنسان التارك للعبادة لا يعرف الطريق و ليس له هدف و لا يدري بأيّ اتجاه يسير؛ و لذا يقول لهم رسول الله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾.

و قد مدح الله سبحانه رسوله قائلاً بأنّي قد بعثت إليكم رسولاً يسير نحو هدف و يعرف الطريق: ﴿وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا عَوَىٰ﴾^٤، لأن الضلالة

١. سورة التوبة، الآية ٤٥.

٢. سورة التوبة، الآية ١١٠.

٣. سورة التكوين، الآية ٢٦.

٤. سورة النجم، الآية ١ و ٢.



هي إضاعة الطريق. فمن لا يعرف ماذا يفعل أضاع الهدف ومن يعرف ماذا يصنع و لكنه أضاع الطريق فهو ضالّ. ومثله مثل المسافر الذي يعلم أنّ مقصده هو مكة و هدفه زيارة الكعبة و لكنه لا يعرف الطريق. و على دليله أن يكون واقفاً على هدفه و عارفاً بالطريق الذي يؤدي إلى هذا الهدف. فالإنسان كالمسافر الذي طوى بعض العوالم و أمامه عوالم أخرى؛ و هدفه و طريقه معيّنان. و الإنسان الكامل هو الذي يعرف الهدف و الطريق كذلك و هو ليس إلا الإمام و النبي الذي يتولى قيادة الناس. و بها أنّ للإنسان المؤمن هدف و طريق محدّدان فهو مطمئن و مستقر من دون أن تتابه الحيرة. و قد مدح القرآن المؤمنين حين يذكرهم إبان الحروب قائلاً: ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^١، أو ﴿أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٢، و بهذا يمدح النبي و المؤمنين بالسكينة و الطمأنينة و القرار. إذن فالمؤمن في سكينة و قرار و الكافر في شك و تردّد. و الإنسان المرّد لا يقرّ له قرار و لا يصل إلى المقصد.

العبادة سلّم الترقّي

ليس المراد بهذه المقولة: أعبد حتى يأتيك اليقين هو ترك العبادة بعد الوصول إلى اليقين. و ذلك كأن يقال للإنسان إن أردت الوصول إلى السقف لرؤية السطح استخدم المرقاة و اصعد درجاته لرؤية السطح، فلا يعني ذلك إذا رأيت السطح أن تقول لا حاجة بعدئذ إلى المرقاة. لأنك تنظر إلى السطح عبر الاتكاء على هذا المرقاة. و كذلك حال العارف فهو يصل إلى اليقين باتكائه على العبادة و تركه للعبادة بعد نيل مرتبة اليقين يستلزم السقوط، إذ لا يمكن الاستغناء عن العبادة في مرحلة من المراحل.

١ . سورة الفتح، الآية ١٨ .

٢ . سورة الفتح، الآية ٤ .

و إنّ العبادة أمر ذاتي للعبد في الدنيا أو الآخرة. بيد أنّ للعبادة في الآخرة ظهور بنوع آخر. فتظهر في الدنيا على شكل صلاة وصوم وفي يوم القيامة يُقال له: «اقرأ و ارقه»^١، فالدار الآخرة ليست بدار عمل وإنما هي دار ظهور نتائج الأعمال. وما يقرأ الإنسان من آيات في الدنيا تظهر في يوم القيامة واحدة تلو الأخرى ويرقى كلّ واحدة منها.

وليس المقصود من «اقرأ و ارقه» هو أن تقرأ و ترق في الآخرة لأن خطاب اقرأ أولاً يُخاطب به المرء في دار الدنيا، و إنّ آيات القرآن خزائن إلهية، فيقرأ العبد ويرقى و يحصل بكلّ درجة على مرقاة تسوقه إلى الرقي أعلى و تُحرّكه لا أن يبقى واقفاً. و ثانياً يقال للإنسان في الدار الآخرة: هذه الدرجات التي تشاهدها هي وليدة أعمالك في دار الدنيا. و ظهور أعمال الدنيا في يوم القيامة بأن تظهر لك ما قرأته هنا على نحو الرقيّ و التكامل في يوم القيامة. و لذا فإن العبادة مرقاة. بيد أنّ الإنسان قد يستخدم هذا المرقاة للنزول إلى قعر البئر كالذي يعبد عن نفاق و رياء. فلو أعطيت هذا المرقاة حافر الآبار لنزل به إلى البئر و لو أعطيته مهندس الكهرباء لصعد به إلى الأعلى. و هذا يتعلق بالذي تسلّمه هذا المرقاة. فالمنافقون يعبدون لينزلوا و المؤمنون يعبدون ليرتقوا و دور العبادة للمؤمنين هو ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^٢ و دورها للمنافقين هو ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾^٣.

و كلّما ازدادت درجات هذا المرقاة كلما زادت المنافق نزولاً في قعر البئر و كثرة عبادته لا تزيده إلا شقاءً. و من جانب آخر كلّما ازدادت درجات إيمان الإنسان كلما أدرك باطن العبادة و أدّى إلى وصوله مرتبة لا يرى فيها سوى الله.

١. الكافي، ج ٢، ص ٦٠١، ح ١٢؛ كنز العمال، ج ١، ص ٥٢٠، ح ٢٣٣.

٢. سورة الحجر، الآية ٩٩.

٣. سورة التوبة، الآية ٤٥.



و إن شعر الإنسان بالطمأنينة فقد وصل إلى حكمة العبادة و لا يُخيفه بعد ذلك أمر و لا يُقلقه حادث. و هذا هو اليقين الذي لا يتأتى للإنسان من دون العبادة. فقد يصبح الإنسان عالماً و يعبد الله عبادة صورية و لكن ما لم يصل إلى سرّ العبادة لم يكن من أهل اليقين.

ثم إن «الرب» هو المالك و المدبّر. و ربّ الإنسان هو مبدأ الوجود الذي بيده تقدير الإنسان و تدبيره و هو الذي لا يستطيع الإنسان من دونه سدّ احتياجاته. فإنّ الله هو المدبّر لا محالة، و العبادة هي أن يستفيد الإنسان من نفع المعبود و كماله؛ و لذا فإن تعليق الحكم على هذا الوصف حيث قال ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ﴾ ناظر إلى هذا الاستدلال، أي أنك اعبدّه لأنه ربك.

و لكن ما هو الهدف من العبادة؟ هل لأنها تُؤمّن رزق الإنسان؟ فإنّ الله رازق و لكن لا تنبغي عبادته لتأمين الرزق، و هو رحيم و لكن لا تتجنّب عبادته لعدم دخول النار. بل على المرء أن يكون عالي الهمة فلا يعبد ربه لعدم دخول النار بل و لا لدخول الجنة أيضاً لأنه سيُدخل عبده الجنة و الأفضل أن يرى الإنسان نفسه أسمى من ذلك و يبعد الله لأنه يحبّه كما هو حال الإمام الصادق عليه السلام.

فلا تعبد ربّك كالمستجدي للأجر لأنّ الله يعرف كيف يغمر عبده باللطف و الرحمة^١.

نعمة المعرفة و الشهود

لا توجد نعمة أعلى من نعمة المعرفة و الشهود و اليقين. فلو شاهد الإنسان حكمة العالم لما اعتبر لذات العالم لذّة. و من وصل إلى مرتبة اليقين سيشهد باطن العالم

١. بيت بالفارسية و هذا نصه:

تو بندگانې چو گدايان به شرط مزد مکن که خواجه خود روش بنده پروري داند

و باطن نفسه و باطن نفوس الآخرين و لذا تراه لا يستند إلى نفسه و لا يعتمد على الغير و لا يستمدّ منهم المعونة؛ لأنه يعلم بعدم وجود شيء في باطن الإنسان و غيره، و من وصل إلى هذا المقام لا يترك محبوه الحقيقي بتاتاً و يعبده لذاته.

و إنّ القرآن الكريم يذكر المتمتعين بنعمة اليقين بإجلال و إكبار و منهم إبراهيم الخليل الذي يقول القرآن في شأنه: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^١، فوصل إبراهيم إلى مقام اليقين و حين قالوا رداً على تحطيمه للأصنام: ﴿حَرِّقُوهُ وَ انصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾^٢، لم يستند و لم يلجأ إلى أحد لأنه كان من أهل اليقين.

فإنّ لرؤية الملكوت هذه منافع منها الوصول إلى اليقين. و كما يتأتى لإبراهيم رؤية ملكوت العالم يتسنى لغيره أيضاً الوصول إلى هذا المقام. علماً بأنّ هذا المقام لا يناله كلّ أحد. و حاله حال المكتبة العامة الحاوية لكتب متوفرة لدئ الجميع إلا أن فيها كتباً خطية و نسخاً فريدة لم توضع بين يدي الجميع و لا تُسلّم مفاتيح هذه الخزانة لأي أحد. قال الله سبحانه و تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾^٣، فقد شاهد إبراهيم خزائن كتاب التكوين هذا و باطنه و بإمكان غيره مشاهدته أيضاً.

و بحث على ذلك في موضع آخر قائلاً: ﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾^٤، لماذا حبسوا أنفسهم على عالم الملك و اكتفوا بالتعاليم الظاهرية الجافة؟ لم ينظروا في باطن العالم و ملكوته؟ و لم يفتحوا هذه الخزانة ليطلعوا النسخ الخطية الأم و الأصيلة؟ فإنّ لسان هذه الآية الكريمة هو الحثّ على الخير.

١ . سورة الأنعام، الآية ٧٥.

٢ . سورة الأنبياء، الآية ٦٨.

٣ . سورة المنافقون، الآية ٧.

٤ . سورة الأعراف، الآية ١٨٥.



وإنّ النظر غير الرؤية وإنّما يكون طريقاً لها. فقد ينظر الإنسان ولكنه لا يرى و قد ينظر و يرى. ومثله مثل الذي يصعد إلى السطح لرؤية الهلال و عينه ضعيفة فيقول: «نظرت فلم أَر الهلال». بيد أن البعض ينظرون و يرون الهلال في نفس الوقت؛ و يصل نظرهم إلى الرؤية.

فقد قام الله سبحانه في هذه الآية الكريمة بحث بعض و تأنيب آخرين بأنهم لم يذهبوا إلى باطن العالم؟ ولم يروا في ملكوته؟ فلو تعدّرت الرؤية لما دعانا الله إليها.

الأنبياء و باطن العالم

لريكن الأنبياء كسائر الساسة يتركون الساحة عبر التهديد أو التطميع أو أنهم يفقدون الحزم و العزم. و لم ترد أي إشارة على تطميع الأنبياء في التاريخ؛ بأن يجبروهم على السكوت بتسليمهم مقداراً من الأموال أو عبر بعض الأعمال و الغرائز الجنسية. و إنّ الحظ الأوفر من حياة الأنبياء كان بين الناس و كانوا في الأغلب يصلون إلى المقام الشامخ للنبوّة في سنّ الأربعين و إنهم لم يرتدعوا عن ارتكاب المحرمات فحسب بل كانوا يجتنبون بعض المحللات أيضاً و قد انصبّ سعيهم لتسليم كل ما بأيديهم إلى الناس. و إنّ الذي حدث في الحجاز أيضاً لم يتعدّ الاحتمال حين قالوا لأبي طالب: ماذا يطلب ابن أخيك... فقال النبي: «يا عم! و الله لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله، أو أهلك دونه»^١.

ثم إنّ الرسول ﷺ قد تزوّج في الخامسة و العشرين من عمره بامرأة تبلغ من العمر أربعين سنة^٢، و لذا لم يخطر ببال أحد أن يتمكّن من تطميع النبي عبر إرضاء

١. سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٦٦.

٢. بحار الأنوار، ج ١٦، ص ١٢.

الغريزة الجنسية، و كان سائر الأنبياء أيضاً كذلك.

و هذا هو قائد الثورة الإسلامية الكبير المتخرج من مدرسة الأنبياء الذي لم يجرأ أحد على تطميعة و أما تهديدات الأعداء فقد عاش بطريقة وقف من خلالها كال موج المنبثق من بحر الإمامة و النبوة أمام كل تلك التهديدات.

و يقول القرآن حول النبي صالح عليه السلام عن لسان المفسدين حينما خاطبوا قومه: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللّٰهِ لَنُبَيِّتَنَّهٗ وَ اَهْلَهٗ ثُمَّ لَنَقُوْلَنَّ لِوَلِيِّهٖ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ اَهْلِهٖۙ﴾^١.

و هكذا فقد وردت مثل هذه التهديدات بشأن سائر الأنبياء أيضاً و لكن لم يكن تطميع في البين. لأن الأنبياء عاشوا بحيث كانوا باطن العالم و من يشهد باطن العالم لا يتعلق بالميتة؛ إذ أنّ باطن الدنيا ميتة. و من وقف عبر مراعاة الأحكام و آداب العبادة على جانب من أسرار العبادة فإنه سيشهد جانباً من أسرار الدنيا أيضاً و هي ليست إلا جيفة. و إنّ الدنيا ليست هي الأرض و الصحراء و البحر فإن هذه الظواهر آيات إلهية، كما أنّ الأكل و الشرب و النوم و ما إلى ذلك ليست بدنيا بل هي جزء من قوانين نظام الخلق، و إنها الدنيا هي كلّ ما يحجب الإنسان عن الله، و هي الأوهام و التخييلات الباطلة، و التعلقات بأن يقول الإنسان أن هذه الأموال مختصة بي و لابد أن أحصل عليها أكثر من الآخرين، فهذه هي الدنيا و باطنها جيفة.

أولياء الله و باطن الدنيا

قال علي عليه السلام: «الدنيا جيفة و طلابها كلاب»^٢، و قال أيضاً: «... هيهات غري غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها»^٣، و لا يعني بهذا الكلام أنه

١ . سورة النمل، الآية ٤٩.

٢ . بحار الأنوار، ج ٨٧، ص ٢٨٩.

٣ . نهج البلاغة، الحكمة ٧٧.



قد طلق الأكل والشرب والنوم والزراعة وإدارة أمور المسلمين على أساس العدالة بل الذي طلقه ثلاثاً هو حب الجاه وطلب الحرام والتجاوز والتعدي وأشباه ذلك. وفي واقعة الجمل حينما احتل طلحة والزبير بزعمهم البصرة فتحوا بادئ الأمر باب بيت المال فلما رأوا ما حواه من الذهب والفضة قالوا: هذه الغنائم التي وعدنا الله بها وأخبرنا أنه يجعلها لنا! ولما هجم جيش أمير المؤمنين عليه السلام واستعادوا البصرة، دخل علي عليه السلام بيت مال البصرة فلما رأى ما فيه قال: «يا صفراء يا بيضاء غري غيري»، لأنه قد طلق الدنيا ثلاثاً فما بال الذهب والفضة.

ولم يكن مراد الإمام بذلك الحكومة فإنه كان يسعى للحفاظ عليها وإن الخلافة التي تقام لتطبيق الحق والعدالة ليست بدنيا، فقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾^١ وذلك لأنهم لا يفكرون إلا بالدنيا.

و روي في أمير المؤمنين عليه السلام أنه سأله أعرابي شيئاً فأمر له بألف، فقال الوكيل: من ذهب أو فضة، فقال: كلاهما عندي حجران فأعط الأعرابي أنفعهما له^٢.

وقال علي عليه السلام بعد ذكره قضية أخيه عقيل حين طلب منه المعونة وأحمى له حديدة ثم أدناها من جسمه ليعتبر بها:

«وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقُ طَرْقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وَعَائِهَا وَمَعْجُونَةٍ شَبْتَتْهَا كَأَنَّمَا عُمِنَتْ بِرَبْقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَسَلَّةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَقَالَ لَا ذَا وَلَا ذَاكَ وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ، فَقُلْتُ: هِبَتِكَ الْهَبُولُ، أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَحْدَعَنِي، أَمْ تَحْتَبِطُ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ، وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبَهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ»^٤.

١. الغارات، ج ١، ص ٥٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٣٣٣.

٢. سورة الملك، الآية ٢٠.

٣. بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٣٢.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.

فأظهر الإمام لنا في هذا الحديث جانباً من باطن الدنيا وشبّهه بالمعجون الناتج من قيء الحية أو بصاقها! وفي قبال ذلك باطن العبادة الذي ليس إلا الروح والريحان والجنة والنعيم ولو استطعنا رفع الستار لشاهدنا ما وراءه. وقد قيل لنا: لا تستلزم مشاهدة ما وراء العالم سلوك طريق الدرس والبحث والمدرسة، فإنّ النفحة الإلهية هي التي ترفع الستار عبر التهذيب وتوقف المهذب على أسرار العالم؛ ومن المؤسف أن يموت الإنسان ولا يشاهد الأسرار فإنّ لمشاهدتها من اللذة والعذوبة ما يعجز البيان عن وصفه! والواقف على ما وراء عالم الطبيعة لا يشغله شاغل ولا يردعه التهديد والتطميع عن مواصلة هدفه ولا يتعلق بشيء ولا يخاف من شيء.

الفرق بين المدرستين

جاء جمع من المستشرقين من روسية (السابقة) إلى إيران عبر وزارة الخارجية وطلبوا أيضاً اللقاء ببعض رجال الدولة، فجاءوا مع عدد من المسؤولين في تلك الوزارة إلى هيئة القضاء العليا. وكان عددهم ثلاثة ومعهم مترجم، فقالوا بأن الشيوعية تنسجم مع الإسلام! فقلنا لهم: لا يوجد أي قاسم مشترك بين ذلك الحزب وبين الإسلام، لأنكم تعتقدون أن الإنسان كالثمرة على الشجرة، يسقط منها بانتهااء عمره ويفسد ويتبدّل إلى تراب ولا يوجد من وراء ذلك شيء، ونحن نرى أن الإنسان كالطير في القفص، يكسر القفص إذا انتهى عمره ويطير إلى عالم الخلود وله حياة خالدة إلى الأبد، إذن لا يوجد وجه اشتراك بين هاتين المدرستين على الإطلاق. فباتوا ينظر بعضهم إلى الآخر بأن الإسلام ماذا يقول ونحن ماذا نقول!

وقد كان المجاهدون في صدر الإسلام يتتابههم الرعب والخوف في الحروب غير العادلة، ولكن بعد أن اتّضحت آيات الشهادة وعظمة الروح وخلود الإنسان طيرانه من الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة، باتوا يُقَطِّعون أغلال الخوف ولا يتقاعسون عن الحرب ويزدنون قصارى جهدهم لإزالة الغبار عن الطريق ومشاهدة الحقيقة.



فإن جمال الحبيب لم يحجب حجاب و لكن على المرء أن يشقّ غبار الطريق لينظر إليه.

و لا يستطيع المرء أن يبذل مهجته فيه إلا إذا استنار قلبه بنور الهداية^١.
و إن الطرق الانحرافية تربية تثير الغبار و هو يحجب عن رؤية المناظر الطبيعية، و أما الصراط المستقيم فهو صاف لا غبار فيه و أمامه إطلالة واسعة جذابة.
يقول البعض: افتح عينيك لترى، و لكن يقول أهل المعنى، أطبق عينيك لترى، فعلى المرء أن يغض طرفه عن كثير من الأشياء لتُفتح عين قلبه، و عليه أن يسدّ أذنيه عن الكلام المحرّم ليسمع بأذن قلبه صوت الملكوت المنعش، و من أراد الاستماع إلى صوت قارئ الجنة عليه أن يراقب أذناه في دار الدنيا؛ يقول علي عليه السلام: «داود عليه السلام قارئ أهل الجنة»^٢.

عالم الملك و الملكوت

«الملكوت» هو الباطن و «الملك» هو الظاهر. فحيثما دار الكلام عن الملكوت جاءت سبحان ﴿قَسْبُحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^٣، و حيثما جرى الحديث عن الملك ظهرت تبارك ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾^٤. و الفرق بين الملك و الملكوت كالفرق بين الظاهر و الباطن. و قد دعانا الله بأجمعنا إلى أن نطلع على باطن العالو و أن لا نبيع أنفسنا بثمن بخس و لا نعتمد عليها و لا على الآخرين. و قد بيّن طريق

١. بيتان بالفارسية و هذا نصهما:

جمال یار ندادد نقاب و پرده ولی غبار ره بفشان تا نظر توانی کرد
دلا ز نور هدایت گر آگهی یابی چو شمع خنده کتان ترک سر توانی کرد

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.

٣. سورة يس، الآية ٨٣.

٤. سورة الملك، الآية ١.

الوصول إلى باطن العالم من سلكه و وصل إلى المقصد.

روى الشيخ المفيد رحمته عن الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليهما السلام أنه قال: «ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. و قال: من قال لا إله إلا الله فلن يلج ملكوت السماء حتى يتم قوله بعمل صالح، و لا دين لمن دان الله بتقوية باطل و لا دين لمن دان الله بطاعة الظالم^١، ألا يدعونا هذا إلى حكمة العبادة؟ و ألا يهدينا إلى حكمة «لا إله إلا الله»؟ و هل يتأتى لكل امرء الوصول إلى ملكوت العالم؟ بيد أن من يطّلع على ملكوت العالم و الملكوت يستجلب اليقين، سيبتعد عن التردّد و لا يشكّ في أيّ أمر.

الحرمان من رؤية الملكوت

قال عمار بن ياسر: و الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا أننا على الحق و أنهم على الباطل. و قال أيضاً و هو مع علي عليه السلام: اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك أن أضع ظبة سيفي في بطني ثم أنحني عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت.

و روي في نهج البلاغة عن علي عليه السلام أنه قال: «ما شككت في الحق مذ أريته»^٢. فمن كان ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾^٣ لا يدخل الشكّ في قلبه. و الشاك هو الذي لم يجد سبيلاً إلى الملكوت و لم تتعدّ عبادته الصورة و الظاهر و لم يصل إلى حكمة العبادة. و إن حكمة العبادة هي الوصول إلى الملكوت و مشاهدة الملكوت مقرونة باليقين و لا يوجد في العالم شيء أسمئ و أعلى من اليقين الذي وهبه الله لخاصة أوليائه.

١. الأسامي للشيخ المفيد، ص ٢٠٣، المجلس ٢٣، ح ٧.

٢. نهج البلاغة، الحكمة ١٨٤.

٣. سورة هود، الآية ١٧.

ولو كان إبراهيم الخليل عليه السلام حاضراً في هذا الزمان أليرقل لنا نفس ما قاله لعباد الأوثان في زمانه؟ ﴿أَفْ لَكُمْ وَلَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^١ وذلك لما نعبد ما صنعناه من أصنام في أنفسنا؛ حيث اتبعنا أهواءنا وبتنا نفرح إذا ما مدحونا ونستاء إذا ما نقدونا نقداً ببناءً سالماً ونحب أنفسنا حباً عاماً كاذباً، فهل نحن عباد أنفسنا أم لا؟ ولو كان إبراهيم الخليل عليه السلام فيما بيننا لما قال لنا: أف لكم ولما تعبدون من أهوائكم؟ وأما إذا وصلنا إلى الملكوت فنشاهد باطن أنفسنا ولو شهدنا باطن أنفسنا وباطن الآخرين لما اعتمدنا على غير الله لحظة واحدة وسنكون عند ذاك من شيعة إبراهيم الخليل: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾^٢ محمد ﷺ. وحينئذ سيستجيب الإنسان دعوة ربه حيث يقول: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٣ ويصل إلى ملكوت العالم.

محاسبة النفس

على المرء أن لا يغفل عن محاسبة نفسه في كل حين. ولو قام بحركة ولو كانت بسيطة تؤدي إلى تعزيز الباطل سيبعد بنفس ذلك المقدار عن دين الله. فقد قال الله سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^٤، حيث استند إلى حركة شفاهاً بأن لا تتحرك بحيث تؤدي أحداً أو تستحقره. كما ويتحدث عن حركة العين وكيفية النظر قائلاً: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾^٥، فلا ينبغي أن يغفل الإنسان عن محاسبة نفسه. وإذا ما قام بما يعين

١. سورة الأنبياء، الآية ٦٧.

٢. سورة آل عمران، الآية ٦٨.

٣. سورة الأعراف، الآية ١٨٥.

٤. سورة الهمة، الآية ١.

٥. سورة غافر، الآية ١٩.

الباطل فهو في تلك اللحظة غافل عن دين الله، لأنّ دين الله لا ينسجم مع أيّ باطل
﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَما يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَما يُعِيدُ﴾^١ أي لا يبقى مجال للباطل بمجيء الحق.

ثم إنّ الشيطان يخادع الإنسان عبر حباله الخاصة بالتكاثر. و أما الذي يصل إلى
الكوثر لا يركن إلى التكاثر وهذا ما لا يناله إلا القليل من الناس.

إن كنت ما تحمله شوكاً فأنت الذي زرعت أو حريراً فأنت الذي غزلته^٢.

فإنّ الإنسان يعمل ليلاً ونهاراً؛ إما أن يكون مشغولاً بسقي الشجر الشائك أو
بغزل أقمشة الحرير والإستبرق. وإذا ما لاقى العذاب بعد الموت فلائه تجشّم العناء
طيلة حياته و قام بسقي شجرة شائكة، إذ أنّ سوء اللسان و سوء البيان و سوء البنان و
أذى الإخوان كلها شوك. و إنّ الذنب الذي يقترفه و الظلم الذي يرتكبه كالماء الذي
يصبّه على أشجاره الشائكة. و لا يعرف الحقّ إلا بعد أن تهاجمه أشواك هذه الشجرة. و
عندما يضعونه في القبر فكأنّما يضعوه على فراش مليء بالشوك و الحسك. و لا يقرّ له
قرار حتى و إن تقلّب يميناً و شمالاً؛ لأنّه لم يزرع طيلة حياته سوى الشوك.

لا يهدأ من يتقلّب متملماً على فراش حاكه من نسيج الأشواك^٣.

يبد أنّ الإنسان إن دأب في حسن الخلق و الإحسان إلى المسلمين و أصبح مصداقاً
لقوله: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ بعد أن كان ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾^٤، فمثله مثل الذي يغزل
حريراً.

١. سورة سبأ، الآية ٤٩.

٢. بيت بالفارسية في مثوي معنوي، الكتاب الثالث، و هذا نصه:

اگر بار خار است خود کشته ای وگر پرنیان است خود رشته ای

٣. بيت بالفارسية و هذا نصه:

چه آساید به هر پهلوی بغلطد هر او کز خار سازد او نهالین

٤. سورة الفتح، الآية ٢٩.



يقول الإمام الرضا عليه السلام في سجوده: «لك الحمد إن أطعته، ولا حجة لي إن عصيتك، ولا صنع لي ولا لغيري في إحسانك، ولا عذر لي إن أسأت، ما أصابني من حسنة فممنك يا كريم...»^١، فعلينا أن نرى بأننا مبتلون بالتكاثر أم متذوقون من الكوثر الذي هو باطن هذا العالم؟

وقد جاء في كلام رسول الله ﷺ واصفاً «الورع» بأنه أفضل الأعمال^٢، وهو أن يبتعد المرء عما حرم الله فيكون بذلك ورعاً متقياً.

وروي عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال في «الورع»: «من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس، ومن اجتنب عما حرم الله عليه فهو من أعبد الناس ومن أروع الناس، ومن قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس»^٣. وذلك لأن إقرار الذنب قيام على المحبوب، وعلى الإنسان أن يتجنبه لا لعدم دخول النار فإنها عبادة العبيد الذين يجتنبون الذنب خوفاً من النار. بل إن باطن الذنب ليس إلا النار وحقيقته ليست إلا الدنس.

الوصية بالتوحيد

أوصى أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن ضرب على رأسه الشريف الحسن والحسين عليهما السلام بل وكل المسلمين لما جاء في هذه الوصية: أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي؛ قائلاً: «وصيتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئاً»^٤، أي أن لا تجعلوا شيئاً شريكاً لله ولا تنسبوا عملاً هو لله إلى غيره.

١. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١١٧.

٢. الخطبة الشعبانية، أربعين الشيخ البهائي، ص ٧٣، ح ٩.

٣. الأمالي للشيخ المفيد، ص ٢٠٤، المجلس ٢٣، ح ٩.

٤. نهج البلاغة، الكتاب ٢٣.

حيث إنّ المشركين ينسبون فعل الله إلى غيره، لا أنهم يشاركون الله في أعمالهم فيجعلون جزءاً منه له و جزءاً لغيره فإن ذلك ليس بالشرك المعهود وإنما هو الرياء. بل إنّ العمل الذي لابدّ وأن يُنسب إلى الله ينسبه المشركون في الأغلب إلى غير الله. و يعبدون الأصنام بدلاً من عبادة الله و يعتقدون على سبيل المثال في باب الشرك في العبادة بأن هناك مبدءان؛ أحدهما خالق للعالم و هو الله و الآخر مدير و مدبّر له.

و الوصية بالتوحيد هي أن لا ينسب الإنسان العمل لنفسه و لا لغيره بل ينسبه لله وحده و يعلم أن لا مدبّر في العالم إلا الله. فلا توجد نعمة أعلى من نعمة التوحيد و لا ذنب أسوأ من الشرك ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^١. فهل من السائغ أن يجلس الإنسان في جميع حالات الوجود على مائدة الله الواحد و يعتبر غير الله مبدأً للآثر بوصفه ربّ؟ و هذا ما سيتبعه العار و الشنار في هذا العالم.

ثم يقول الإمام في تمة وصيته: «و محمداً ﷺ فلا تضيّعوا سنته»، أي احفظوا بعد التوحيد رسالة النبي و احترموا الوحي و النبوة و قدّروا أخلاق النبي و آدابه و أكرموا ما نقل عن النبي و لا تضيّعوا سنته و دينه.

ثم قال بعد وصيته بأصل التوحيد و النبوة و دين الله: «أقيموا هذين العمودين و أوقدوا هذين المصباحين».

و قال بعد ذلك: «أنا بالأمس صاحبكم و اليوم عبرة لكم و غداً مفارقكم». فانظروا إليّ لتعرفوا بأن القدرة و الصحة و الثروة لا تدوم و لا يبقى أحد في العالم إلى الأبد. و قد كنت أترقّب الموت لسنوات مديدة «تالله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه»^٢.

١ . سورة لقمان، الآية ١٣ .

٢ . نهج البلاغة، الخطبة ٥ .



الدار الباقية و اشتياق اللقاء

قال علي عليه السلام لأم كلثوم في مرضه الذي قبض فيه: ما يبكيك يا بنية... لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت. قالت: وما الذي ترى يا أمير المؤمنين؟ فقال: أرى ملائكة السماوات والنبين بعضهم في أثر بعض وقوفاً إلى أن يتلقوني.

و كلام الإمام الحسين عليه السلام في سفره التاريخي إلى كربلاء يؤيد هذا المضمون: «ما أوهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف»^١. فأراد الإمام بهذا البيان أن يقول بأننا لانهاب الموت لأننا نترك الطالحين ونرد على الصالحين وهم الأنبياء.

وهناك في الحالات التي طرأت على رسول الله ﷺ في أواخر حياته حكّم قد ظهر جانب منها في الحديث الذي قاله لأمر المؤمنين عليه السلام: «يا علي إذا أنا مت فغسلني وكفني ثم أقعدني وسائلني و اكتب»^٢.

فهل تنقطع علومهم بالموت؟ أم هل تعلّموا من مدرسة البشر حتى يتعدّد تعليمهم بعد الموت؟ وإنّ الذي تنهمر علومه على كثيرين بإشارة واحدة، يكون بعد الموت أيضاً كذلك. ثم قال النبي: «ثم سلني أخبرك بما هو كائن إلى يوم القيامة»، أي سلني عما حدث حين نزوع الروح و حين الورود إلى ذلك العالم و حين ترك الدنيا، فهذه ليست من العلوم المتواجدة في المدرسة البشرية.

ولكنه قال لطائفة من الناس الذين كانوا يبكون حوله: «أنتم المقهورون والمستضعفون من بعدي»^٣.

١ . بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٦٦.

٢ . بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٢.

٣ . الأمالي للشيخ المفيد، ص ٢٣٤، ح ٢.

النبي ﷺ وأسرار القيامة

قال رسول الله ﷺ: «أنا والساعة كهاتين» ثم ضم السباحتين^١. وكان إذا ذكر الساعة احمر وجهه حتى وكأنه يخبر عن خطر مخرب قريب الوقوع، فإن من يُبلغ خبراً مريراً ثقيلًا يتغير وجهه في الأغلب، ثم أقبل على الناس بوجهه فقال: أنا والساعة كهاتين. أي لا يوجد بيني وبين القيامة فاصل ولا تأتي بعدي شريعة ولا دين ولا كتاب. (وهذا هو المعنى المتوسط الذي ذكره بعض شراح أصول الكافي) وقال بأني أعرف حقيقة يوم القيامة. وإنما يحمر وجه النبي لأنه كان بمعينة يوم القيامة وليس ببعيد عنها.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»^٢، فلا فرق عندي بين خلف الغطاء وأمامه وكأني أنظر إلى يوم القيامة. بيد أن النبي فاق هذا الكلام بقوله: أنا والساعة كهاتين. فإن الإصبعين المتقاربين يعرف كل منهما خبر الآخر، ويشعر كل منهما بحرارة الآخر وبرودته: أنا أعرف ماذا يحدث في يوم القيامة وأنتم ما زلتم في غفلة.

فإن بعض الناس يُحشر في يوم القيامة أعمى، لأن عينيه اعتادت على رؤية ما لا يوجد في يوم القيامة، وما هو موجود فيها يتطلب عيناً مناسبة لميئتها ولذا لا يرى شيئاً ويكون أعمى وأبكم وأصم. فإن نظامها نظام آخر وتجارها تجارة أخرى والناس في راحة ودعة!

وإن الذي يأتي من منطقة تعرضت لقصف صاروخي من قبل الصهاينة الكفار، يستطيع القول: أنا والحرب كهاذين الإصبعين؛ وأنا أعرف أخبارها ولكنهم لا تعرفون شيئاً عنها.

١. الأمالي للشيخ المفيد، ص ٢٠٧، المجلس ٢٣، ح ١٤.

٢. إرشاد القلوب، ج ٢، ص ١٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٣.



ثم قال النبي: «يا معشر الناس! إن أفضل الهدى هدى محمد ﷺ»، وهو الطريق الذي بلغه الله سبحانه بواسطتي لأني لا أخبركم عن مكان بعيد وإنما أخبر عن قرب وكتب. فإن الإخبار عن النار والجنة وبيان خصائص يوم القيامة لا يتيسر إلا من يخبر عن قرب.

علماً بأننا نستطيع الوصول إلى مرتبة يمكننا القول فيها: «أنا والساعة كهاتين»، إلا أن رسول الله هو الرائد في معيته ليوم القيامة كالإصبعين ونحن بإمكاننا مشاهدة جانب من أحوال يوم القيامة تبعاً للنبي ﷺ.

يقول المرحوم المولى عبد الرزاق الكاشاني رحمه الله: «وقد شاهدناهم يأكلونها (غسلين) عياناً»^١ والغسلين هو القيح، وهذا كلام عظيم للغاية! فقد قال الله سبحانه: ﴿وَلَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غَسْلَيْنِ﴾ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُنَ^٢، فإن باطن الأكل الحرام هو الظلمة وباطن العبادة هو النور.

و يقول المرحوم صدر المتألهين بأن هناك أشخاص يشاهدون من يخرج من فمه نار حين التكلم وكأنه جالس في التنور عند السكوت. لأن المعصية والسباب والغيبة والتهمة والإهانة وسوء الكلام والمهاترة والكلام الجارح والأذى كلها نار يخرج من الفم وهذا هو باطن الذنب. فلو تعذر علينا الوصول إلى مرتبة يمكننا القول فيها نحن والقيامة متقاربين، يمكننا القول على الأقل بأننا وبعض أسرار القيامة متقاربين.

ضغط الموت و عارضة النسيان

إن لحادثة الموت من الشدة بمكان تبعث الإنسان على نسيان علومه ومقروءاته.

١. تفسير محيي الدين بن عربي، ج ٢، ص ٦٩٥. جدير بالذكر أن المشهور باسم تفسير محيي الدين بن عربي هو نفسه تأويلات المولى عبد الرزاق الكاشاني.

٢. سورة الحاقة، الآية ٣٦ - ٣٧.

فتارة نحفظ الكثير من الباحث و نعلم بها ولكن نُسأل عن أبسط المسائل الإسلامية فننسى الإجابة عليها.

و السؤال في يوم القيامة لا يرد في المسائل الإسلامية المعقدة كأن يقال لنا ما هو المعراج؟ وما هو التفويض و القضاء و القدر؟ وما هو لوح المحو و الإثبات؟ وما هو اللوح و القلم؟ وما هو شق القمر؟ بل يتم السؤال منا من ربك؟ وما دينك و كتابك؟ و من أي جهة قبلتك؟ فيسألوننا عن أبسط الأسئلة التي نُعلّم بها أطفالنا. بيد أن الكثير من الناس يصابون بالنسيان. لأن ضغطة الموت لا تذر ذاكرة لأحد. و ذلك كالمبتلى بمرض الحصبة أو العوارض الدماغية الذي ينسى كل ما قرأه لمدة طويلة. و إنّ الكثير من العلماء و المفكرين عندما يصاب بالدماغ و يبرأ من مرضه ينسى ما تلقاه من معلومات. فإنّ الإنسان يرى إثر ضغطة الموت فجأة أنه انتقل من الظاهر إلى الباطن و من الملك إلى الملكوت و هاجر من عالم إلى آخر. فيُسال و هو في هذا التحول العميق من ربك؟ من نبيك؟ ما دينك؟ و قد نسي الجواب. و إذا قيل لنا اذكروا الله على الدوام: ﴿وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ وَ لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^١، فلأن ذكر الله لا يتحدّد بزمن و عدد. و إذا حدّدوا لنا العبادات قائلين: تكفي الصلاة في اليوم و الليلة خمس مرات يبلغ عددها سبع عشرة ركعة و الصوم خلال السنة شهر واحد و الحج في العمر مرة واحدة و...، لكن لم يحدّدوا لنا ذكر الله بحدّ معين. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^٢، فعلى الإنسان أن يذكر الله و يزرعه في قلبه على الدوام و أن يُجري ذكره في قلبه و اسمه على لسانه و لا يكون كالذي لا يذكر الله إلا إذا أخطق به خطر. و سيرد الكلام عن الذكر و حكمته في القسم العاشر.

١ . سورة الأعراف، الآية ٢٠٥.

٢ . سورة الأحزاب، الآية ٤١.



لقد كان للإمام الخميني رحمته نصيحة آخر السنة الدراسية وفي نهاية الدرس يذكر هذا الحديث الشريف الذي شوهده فيها بعد في أبحاث يوم القيامة وهو أنه تُسأل طائفة من الناس في يوم القيامة من نبيكم؟ فيتذكرون بعد أحقاب من العذاب؛ أي ما يقارب ثمانين سنة أو قرناً، ويقولون: نبينا الذي نزل عليه القرآن؛ ولكنهم لم يتذكروا اسم النبي ﷺ.

ولقد كان رسول الله ﷺ إذا دار الكلام عن يوم القيامة ومسألة الموت والحشر والصراط والحساب ومحكمة العدل الإلهية يتعامل و«كأنه منذر جيش». وكان إذا يذكر الساعة والنار «تحمّز وجنتاه».

ثم إن «من مات قامت قيامته (الصغرى)»، ولكن لا يُدرى متى تقام القيامة ويرى الإنسان فجأة بأنه في عالم آخر وقد تغيّرت الأوضاع وهو لا يعرف أحد وما كان يعرفه قد خلفه وراء ظهره. فلو نقلوا الإنسان فجأة من شرق الأرض إلى غربها أو العكس لا يقع في ضير ومشكلة لأن الناس هم أنفسهم والنظام الحاكم على الشرق لا يختلف عن النظام الحاكم على الغرب، فهناك الشمس والقمر والناس والحياة مع اختلاف سير، بيد أن الإنسان عبر الموت سيدخل فجأة في عالم لا يوجد له أدنى ارتباط بعالم الدنيا ويوجد فيه أمور أخرى.

ثم يقول ﷺ: «صَبَّحْتُمْ الساعة، مَسَّتْكُمْ الساعة»، أي ستردون يوم القيامة صباحاً أو مساءً إلا أن الكثير من الناس يُجادعون أنفسهم. ويقول أيضاً بأنهم لا يعلمون ما هو الزاد ومن الذي ينفعهم وماذا يريدون من الإنسان هناك.

وقال بعد ذلك أيضاً: «من ترك مالا فإلهه ومن ترك ديناً فعليّ وإلى»، أي من ترك مالا بعد موته فهو لورثته، ومن كان عليه دين وأهله فقراء فعليّ إعالتهم.

١. بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ٧.

٢. بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٥٦، ح ٣٦.

لقد خاض النبي و المسلمون في صدر الإسلام ما يقرب من سبعين إلى ثمانين معركة و كان المسلمون آنذاك في ضعف و الحروب كلها غير عادلة، و رغم كل ذلك فهل كان النبي يحمرّ وجهه عند إعلان الحرب؟ و قد كان المسلمون يقتعون بنصف ثمرة و المشركون ينحرون الإبل و يأكلونها. فهؤلاء يأكلون قشر التمرة و أولئك الكباب، و هؤلاء رجاله و أولئك خياله، و هؤلاء مجردين عن السلاح و أولئك مسلحون. ففي معركة بدر على سبيل المثال حيث كانت أول معركة مسلحة لا يمكن المقارنة بين الطرفين؛ بيد أن النبي ﷺ الذي كان قد تولى قيادة هذه الحرب غير العادلة لم يحمرّ وجهه بتاتاً.

و روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لقد كنا ليلة بدر و ما فينا إلا من نام سوى رسول الله ﷺ، إنه كان في أصل شجرة يدعو و يصلي إلى الصباح»، و كان الجميع في قلق مما سيواجهونه في الغد إلا الرسول لربعباً بذلك. و لكن إذا جرى الحديث عن الموت و عقباته كانت تحمرّ وجته و كأنه كان يرى نار جهنم: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾^١. فمن وصل إلى اليقين سيرى نار جهنم.

طريق الوصول إلى حكمة العبادات و أسرار العالم

لقد وضع الله سبحانه هذا الطريق أمام عباده و السالكين إليه و علمنا سبل الوصول إلى هذه المراتب واحداً تلو الآخر. فإنّ الإنسان على سبيل المثال يشعر في شهر رمضان المبارك بالعظمة و يجد مجده و علوه، و يقول: أنا أكبر من أن أقع في دنس الرذائل و اقترف الذنوب. و الشعور بالعظمة يحصل على أثر الصوم الذي من أولى مقدماته الإمساك و قلة الأكل. فقد سئل أرسطو: لماذا تأكل قليلاً؟ قال: أنا أكل لأبقى

١. إرشاد القلوب، ج ٢، ص ٥٦.

٢. سورة التكاثر، الآية ٥ - ٦.



و غيري يبقى ليأكل.

و إنّ كثير الأكل لا يطول عمره و لا يصل إلى المعارف الإلهية. فحقاً إنّ كثرة الأكل لبلاء عظيم.

قال النبي ﷺ: «قال لي جبرئيل عليه السلام في كلام بلغني عن ربي: يقول لك ربك يا محمد؛ ما أبغضت وعاء قط إلا بطناً ملأ»^١، أي المليئة دائماً. لأنّ كثير الأكل يأكل كالحیوانات و يقع كالجمادات. و ستتحدّث في القسم الخامس بشأن هذا الموضوع. و لا سبيل للوصول إلى حكمة العالم إلا عبر أن يكون الإنسان مُحفّفاً في سريره فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «تحفّفوا تلحقوا»^٢، و هو على سبيل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^٣، والآية بشارة للذين لم يلحقوا بأنكم لاحقون، لذلك أنهم فرحون. و إنّ عبارة ﴿لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ...﴾ هي عدم ملكة. و المراد بهؤلاء الذين هم في وسط الطريق و يستطيعون الوصول إلى المقصد، و لا تُطلق هذه العبارة على من ليس في الطريق من الأساس، كالسيارة الواقفة في الموقف التي لا حركة فيها. و أما إن كانت إحدى السيارتين في الطريق أبطأ من الأخرى و تصل إلى المقصد في وقت متأخر يقال فيها: «لم تلحق بها».

و إنّ تخفيف الحمل هو عامل على الوصول. فقد يبلغ الإنسان في هذا الجانب درجة يكون سبباً في وصوله و إيصال الآخرين أيضاً.

وقع حريق أو سيل بالمدائن و كان الوالي عليها آنذاك سلمان الفارسي رحمه الله فأخذ سيفه و مصحفه و خرج من البلد و تضرّر الآخرون لكثرة ما أرادوا جمعه، فقال

١. بحار الأنوار، ج ٦٣، ص ٣٣٦.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢١.

٣. سورة آل عمران، الآية ١٧٠.



سلمان: «هكذا ينجو المخفون»^١.

و قال علي عليه السلام في جماعة باتوا يخضمون مال المسلمين: «بين نشيله ومعتلفه»^٢، أي تتلخص حياتهم بين المطبخ وبيت الخلاء. ليرقدوا خدمة وليرفهموا شيئاً وليرعلموا لرمجيتهم وما هو تكليفهم.

* * *

١. قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «يا علي نجا المخفون وهلك المثقلون». (بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٥٢،

ح ٣).

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

القسم الثاني:

النية وحكمتها

أفضلية النية على العمل

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^١، ولا يراد بقوله ﴿عَمَلًا﴾ هي أن تكون عبادتكم أكثر من غيركم، إذ ليس الكلام في الكمية.

سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى هذه الآية فقال: «ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة - ثم قال - : الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمذك عليه أحد إلا الله عز وجل والنية أفضل من العمل»^٢.

فلا يصل الإنسان إلى الصواب والحقيقة إلا إذا ازدادت خشيته من الله وكان له

١ . سورة الملك، الآية ٢.

٢ . قال الباقر عليه السلام: «نية المؤمن خير من عمله لأنه ينوي من الخير ما لا يدركه ونية الكافر شر من عمله و ذلك لأن الكافر ينوي الشر و يأمل الشر ما لا يدركه». (الكافي، ج ٢، ص ١٨٢).

قلب خالص. والعمل لا يكون خالصاً إلا إذا لم يرد به الإنسان المدح والإطراء والشكر عليه. فمن المؤسف أن يقوم الإنسان بعمل عبادي خالص و ينتظر الشكر من الآخرين، ومن المؤسف أن يصغّر الإنسان من قدر ذلك المقام العظيم الرفيع بهذا الانتظار الوضع. علماً بأن مدح الله وثناءه مما يطلبه عباد الله المخلصون. ولذا فقد خلُق الموت والحياة ليُعلم أيّ الناس أقرب عمله للحقيقة والصواب.

وإنّ النية الصالحة خير من عملها؛ لأنّ النية إذا خلصت وقويت تسوق الإنسان إلى العمل. كما أنّ النية أصعب من العمل. وما ورد في الخبر: «نية المؤمن خير من عمله»^١، وكذلك: «أفضل الأعمال أحزها»^٢، لا يراد منه أنّ ثواب النية رغم سهولتها أكثر من ثواب العمل. إذ لو درسنا هذين الأصلين الدينيين مع بعض لتوصلنا إلى أنّ النية في غاية الصعوبة، ولو كانت أفضل الأعمال أصعبها وأحزها تكون النية أفضل من العمل.

فمن الممكن أن يشارك الإنسان في جهات القتال ويُقتل أيضاً، إلا أنّ القتل ليس بأمر عسير، بل الصعب هو إخلاص العمل لله و تطويع النفس و شيطان الباطن. و لذا قال الإمام: «نية المؤمن خير من عمله».

حقيقة النية

تحصل مما أسلفناه أنّ النية هي روح العمل. ولا يعني وجوب النية حين العبادة أن يرسم الإنسان في ذهنه عند أداء الصلاة مثلاً بأني أصلي أربع ركعات لصلاة الظهر قربة إلى الله تعالى، فإنها على حدّ تعبير أهل المعنى نية بالحمل الأولي و غفلة بالحمل الشائع.

١. بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ١٩١.

٢. الكافي، ج ٢، ص ١٦، ح ٤.



وإنما النية هي انبعاث الروح و طيرانها. فلو اجتاز الإنسان عالم الطبيعة و ترقى فقد نوى و إلا فهي ليست إلا إخطار حصولي و مفهوم ذهني و هذه هي أدنى مراتب العبادة بأن تبرا ذمتنا عن أداء الواجب و لا تبقى حاجة للإعادة و القضاء. و أما النية التي يرتبط بطن العمل بها و التي هي أسمى منه إنها هي انبعاث الروح و طيرانها. و لذا ورد في الخبر: «فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة».

ثم إن صحة العبادة مشروطة بالنية حيث يبطل العمل من دونها و بما أن للنية درجات تكون للصحة مراتب أيضاً.

و إن المواقف المهمة في يوم القيامة هي عبارة عن: النار و الجنة و الرضوان و من جانب آخر فإن للنفس الإنسانية أيضاً ثلاث حالات و هي الشهوة و الغضب و العقل الطالب للكمال، و لذا فإن للعبادة كذلك أقسام ثلاثة و ينقسم العباد أيضاً إلى ثلاثة أقسام: «إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار و إن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد و إن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار و هي أفضل العبادة»^١، فإن هذه العبادات صحيحة بأسرها بيد أنها لا تتحد في مراتب الثواب و الأجر.

إذن فالنية التي هي قصد القربة تمثل روح العمل و هي أعلى و أهم منه؛ لأن حياة العمل متعلقة بالنية و إن لجزاء الأعمال على أساس نوع نية الإنسان و قصده مراتب مختلفة.

تأثر الإنسان بالنية

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما ضعف بدن عما قويت عليه النية»^٢، لأن العمل

١. نهج البلاغة، الحكمة ٢٣٧.

٢. وسائل الشيعة، ج ١، ص ٣٨، ح ١٤.

الظاهري الصوري تابع للقصد القلبي وجوداً وعمداً وقوة وضعفاً. فإن قويت النية والقصد سيكون البدن الضعيف العاجز قادراً على القيام بالأعمال المهمة وإن ضعفت النية سيتجه البدن القوي إلى الضعف والعجز. فقيمة وجود الإنسان بنيت لا ببدنه. و هناك حديث من أوضح الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليه السلام في بيان حد الإنسان حيث يقول بأن الإنسان «حيوان ناو» أي القاصد.

و الشاهد الآخر على أن لنية الإنسان وقصده أصالة هي أنه لو تحققت هذه النية و قويت لانطلت على الصلاة صبغة المناجاة و أصبحت في الواقع معراجاً للمصلي. وإن ضعفت و غفل عنها المصلي لفقدت صبغتها المناجائية و عندها سيكون المصلي مستحقاً لـ «الويل»؛ كما قال الله سبحانه: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^١.

الإخلاص و الرياء

إن للعقل العملي شؤون و آثار كالإرادة و الإخلاص. و هو النور الذي يُعرف و يُعبد به الله و يكتسب به الجنة^٢. فإن أضاء هذا النور من دون مانع و خسوف ظهرت حالة الإيمان و الإخلاص و إن انكسف العقل و حجب لاتباع الهوى ظهرت حالة الكفر و الرياء.

روى الشيخ الكليني رحمته الله عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ليس بين الإيمان و الكفر إلا قلة العقل»، قيل و كيف ذلك يا بن رسول الله ﷺ؟ قال: «إن العبد يرفع رغبته إلى مخلوق، فلو أخلص نيته لله أتاه الله الذي يريد في أسرع من ذلك»^٣. و مثله ما

١. سورة الماعون، الآية ٤ - ٧.

٢. سئل الإمام الصادق عليه السلام: ما العقل؟ قال: «ما عبد به الرحمن و اكتسبت به الجنان» (الكافي، ج ١، ص ١١، ح ٣).

٣. نفس المصدر، ص ٢٨، ح ٣٣.



ورد عن الإمام الباقر عليه السلام معتبراً فيه الفرق بين الحق والباطن هو قلة العقل. فالمخلص عاقل وغير العاقل ليس بمخلص ولذا يقع في الرياء. كما أن العاقل ليس بمراء والمرائي ليس بعاقل.

يقول حذيفة بن اليمان: سألت رسول الله ﷺ عن الإخلاص؟ قال: سألته عن جبرئيل؟ فقال: سألته عن الله تعالى؟ فقال: «الإخلاص سر من سري أودعه في قلب من أحببته»^١.

وإن أحبّ العبد السالك ربه سيكون تابعاً لما أنزله الله على لسان حبيبه النبي الأعظم ﷺ. فإنّ أتباعه يسبب محبوبة الله سبحانه وتعالى لأن أتباع المحبوب يستجلب المحبوبة كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^٢، وفي هذه الحالة سيتحقق وعد القرب الولائي حيث قال الله سبحانه: «وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها»^٣.

إذن فللإخلاص الذي هو أساس في النية حكمة ملكوتية لا يصلها إلا من كان محبباً لله، ولا يحبّ الله عبداً إلا إذا كان ممن يؤدي النوافل والفرائض.

والرياء هو أن يُري الناس بأنه يعمل لله مع أنه لا يعمل له والسمعة هي أن يُسمع الناس بأنه يعمل لله ولكنه ليس كذلك. فإن دخل الرياء والسمعة في متن العمل العبادي بطل العمل. ولذا يشترطون النية في العبادات ويعتبرون الرياء مبطلاً للعمل.

١. جامع أحاديث الشيعة، ج ١، ص ٣٧٥، ح ٧٧٢.

٢. سورة آل عمران، الآية ٣١.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٣٥٢.

فقد ورد في بعض الأخبار: «يصل الرجل بصلة و ينفق نفقة لله وحده لا شريك له فتكتب له سرّاً ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى و تكتب له رياء»، مثله مثل المزارع الذي يزرع و ردة ثم يلامس أوراقها الظرفية كراراً حتى تؤول هذه الوردة شيئاً فشيئاً إلى الذبول. فإنّ العمل الصالح الذي يقوم به المرء إن ذكره مرة للآخرين فكأنه لامس ورقة الوردة مرة واحدة و إن ذكره عشرّاً فكأنها لامس ورقة الوردة عشر مرات و عندها ستؤول إلى التلف و الذبول.

إنّ النية ضرورية في العبادات و لكن لم يرد أمر في وجوب العمل لله في المسائل غير العبادية و التوصلية. بيد أنّ الإنسان إذا اتخذ في هذه المسائل التوصلية طابعاً عبادياً و راءى فيها فقد أوقع نفسه في الهاوية. فعلى سبيل المثال لا يتحتّم غسل اليد الملوّثة بقصد القرية، بل يكفي للتطهير مجرد الغسل. و لكن إذا قام المرء بهذا العمل إظهاراً للناس بأنّه ابتغاء لوجه الله فهو شرك و معصية؛ إذ كان بإمكانه القيام بهذا العمل كسائر الأعمال التوصلية. و لكنه إن أراد الحصول على الثواب فعليه بقصد القرية. إذن فالشرك أمر محرّم، إذ لو اتخذ العبد في جانب من أعماله شريكاً غير الله فهو في ذلك الجانب ليس عبداً لله، و بالتالي لا يُقبل عمله من قبل الله سبحانه لنقصانه و لا يكون عبداً لله.

يقول رسول الله ﷺ في الخطبة الشعبانية: «فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة و قلوب طاهرة». و ورد في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام بأنّ القلب الطاهر هو القلب الذي لا يوجد فيه سوى ذكر الله.

فإنّ الإنسان معرّض دوماً لهجوم وساوس الشيطان و الأخير ملازم له من خلال النفس. و قد قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^١، فإن داهمتكم فكرة الذنب فاعلموا أنّ الشيطان يريد الهجوم و عليكم حين



هجوم العدو باللجوء إلى الملجأ.

و لا يكفي حين هجوم الوسواس قول «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، فإن الاستعاذة اللفظية وإن كانت عبادة ولكن لا يجتاز أثرها دائرة اللفظ، و حين سماع صفارة الإنذار لابد من اللجوء إلى الملجأ. فمن يسمع الصفارة ويقف في ساحة مفتوحة ويقول: أنا أُلجأ إلى الملجأ! لا يعتبر ذلك لجوءاً؛ بل على المرء حين سماع الصفارة أن يوصل نفسه إلى الملجأ.

قال الله سبحانه بأنكم إن أحسستم في أنفسكم ضعفاً فالجؤوا إلى الله القوي جلّ جلاله الذي لا ملجأ إلا هو: ﴿وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً﴾^١.

الملائكة واستشمام النية

من المعلوم أن الملائكة عندما تسجّل أعمالنا فإنها ترى ذلك، فمن أين لها معرفة ما نبتنه من نوايا حيث قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾^٢، أي حتى مع عدم إفشاء الأسرار فلا بد من المحاسبة عليها في يوم القيامة، فمن أين علمت الملائكة ذلك؟

من هنا سئل الإمام الكاظم عليه السلام عن المملكين هل يعلمان الذنب إذا أراد العبد أن يفعله أو الحسنه؟ فقال: ريح الكنيف و ريح الطيب سواء؟ قال: لا، قال: إن العبد إذا همّ بالحسنة خرج نفسه طيّب الريح فيقول صاحب اليمين لصاحب الشمال قم فإنه قد همّ بالحسنة فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه و ريقه مداده فأثبتها له و إذا همّ بالسيسة خرج نفسه متن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين قف فإنه قد همّ بالسيسة فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه و ريقه مداده فأثبتها عليه في الدنيا و الآخرة^٣.

١ . سورة الكهف، الآية ٢٧.

٢ . سورة البقرة، الآية ٢٨٤.

٣ . الكافي، ج ٢، ص ٤٢٩، ح ٣.

فكيف لمن يعيش وسط البئر أن لا يشعر برمجها و لا يستاء منها؟ و أما الذي وصل إلى الملكوت يشم ريح الآخرين الطيبة و المنتنة و يميز المؤمن من المنافق.

قال شخص: كنت أنا عند أمير المؤمنين عليه السلام إذ أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين جئتكم من وادي القرى و قد مات خالد بن عرفة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنه لم يمت، فأعاد عليه الرجل، فقال عليه السلام: له لم يمت و أعرض عنه بوجهه، فأعاد عليه الثالثة فقال: سبحان الله أخبرك أنه قد مات و تقول لم يمت، فقال علي عليه السلام: و الذي نفسي بيده لا يموت حتى يقود جيش ضلالة حمل رايته حبيب بن جهمز، فسمع ذلك حبيب بن جهمز فأثنى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أنشدك الله في فياني لك شيعة و قد ذكرتنني بأمر لا و الله لا أعرفه من نفسي، فقال له علي عليه السلام: و من أنت؟ قال: أنا حبيب بن جهمز، فقال له علي عليه السلام: إن كنت حبيب بن جهمز فلا يحملها غيرك، فولي عنه حبيب و أقبل أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن كنت حبيب لتحملنها، قال الراوي: فو الله ما مات خالد بن عرفة حتى بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليه السلام و جعل خالد بن عرفة على مقدمته و حبيب بن جهمز صاحب رايته^١.

و ها قد تحقق بعد ذلك علم غيب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و معرفته بالأسرار الباطنية للذي كان جالسا تحت منبره

فالإمام كالمالك الذي يرى الناس على حقائقهم ما بين من باطنه روضة و من باطنه جيفة، رأى حقيقة هذا الرجل. و على أي حال فنحن ما بين من يحفر الآبار أو من يسقي الأزهار. ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ﴾^٢. فالمقرب يكون روحاً و ريحاناً إضافة إلى ما سيتنعم به من ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^٣. و

١. سفينة البحار، ج ٢، ص ٦٦٢.

٢. سورة الواقعة، الآية ٨٨ - ٨٩.

٣. سورة البقرة، الآية ٢٥.



إلا فسوف يُفتضح أمام الجميع يوم تبلى السرائر.

وقد ورد في الخبر أن الناس يتأذون من ريح العالم التارك لعلمه لأنه أضلّ منهم بل وأهل النار أيضاً: «وإنّ أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه»^١.

يوم تبلى السرائر

من يفتضح في دار الدنيا يستطيع الاختباء وراء جدار أو شجرة أو في وادٍ أو سفح جبل لكي لا يراه أحد. وأما في غد حيث تظهر الحقائق وتكشف السرائر أمام الله فلا مفرّ ولا وادٍ ولا جبل.

يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم رداً على من يسأل النبي: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾^١، فالأرض في الآخرة أرض مستوية لا توجد فيها جبال ولا وديان ولا روابي ولا تلال ولا أشجار ولا جدران حتى يختبأ الإنسان الخجل فيها، بل إنّ بصر أهل المحشر حديد ينظرون حيثما يشاؤون: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^٢. وهناك الإنسان وأمامه مشهد واسع من المخلوقات. فأين يختبأ الإنسان الخجل؟ وكيف يسمح لنفسه من قضى عمره في الطعن والهجاء أن يكون بين الناس يوم تبلى السرائر؟ ولذا فإن أشدّ خطر هو الخزي والافتضاح.

يقول الله سبحانه في مدح النبي والمؤمنين: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^٣. ومن هنا يظهر أنّ الخطر شديد حيث يبين الله عظمة النبي قائلاً بأنّ

١. الكافي، ج ١، ص ٤٤.

٢. سورة طه، الآية ١٠٥ - ١٠٧.

٣. سورة ق، الآية ٢٢.

٤. سورة التحريم، الآية ٨.

كرامة النبي و أتباعه محفوظة في ذلك اليوم و لا يخزيهم الله و الآخرون في هاوية العار و الشنار.

لذا ينبغي علينا الآن أن نرى هل أن ظاهرنا يحكي عما هو موجود في سرائرنا؟ أم إذا اختلينا و أنفسنا سلكنا طريقاً آخر؟ و أينما يحمل هذه الشجاعة بأن يُوحّد بين باطنه و ظاهره. فإنّ ذلك اليوم يوم الخزي و الافتضاح، و لا شيء أسوء من ذلك. فلو افترضنا أنّ الإنسان قادر على تحمّل النار و الاحتراق فيها و الصبر على ذلك العذاب لكنه لا يستطيع و لو للحظة تحمّل الخزي و الفضيحة. و لذا يقول أولوا الألباب حيث يدور الحديث عن العذاب في يوم القيامة: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾^١، فالكلام عن الخزي و هو المهم و إن كان الاحتراق بالنار أمر عسير.

المنافق و سوء النية

إنّ الإنسان لا يخشى من ظهور بعض الأمراض و لكنه يستاء من إفشاء بعضها الآخر. فالنفاق مرض قلبي كامن في النفس و قد هدّد الله سبحانه المنافقين: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾^٢، و هؤلاء هم ضعاف الإيمان الذين يعتبرون أنفسهم مسلمين في وقت الهدنة و الاستقرار و لكنهم لا يرفعون قدماً للحفاظ على الإسلام و تعزيز أسسه عند الشدة و الابتلاء. و لذا يقول الله عزّ و جلّ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^٣.

ففي بداية حركة الرسول الأكرم ﷺ حيث لم يكن هناك جهاد و لا دفاع و كان المسلمون يعيشون في هدوء و قرار ظانين أن الاقتداء بالنبي ﷺ في المسجد كاف

١ . سورة آل عمران، الآية ١٩٢ .

٢ . سورة محمد، الآية ٢٩ .

٣ . سورة البقرة، الآية ٢١٤ .



لدخولهم الجنة، حتى نزلت آية مبيّنة أن هذه الأعمال لا تكفي لدخول الجنة والناس بعد لم يشهدوا حرباً ولم يخوضوا معركة.

و كانوا قبل نزول آية الجهاد يردون على النبي قائلين له هل نزلت آية أو سورة جديدة أو تكليف أو أمر حديث لنعمل به و نثاب عليه؟ ولكن إذا نزلت سورة أو آية في القتال و الجهاد اتّاقلوا و أظهروا ضعفهم فعاتبهم الله عتاباً شديداً على ذلك^١.

و إنّ عمل المنافق كعمل الفأرة في جحرها حيث يتكوّن بيتها من منفيدين؛ أحدهما للدخول إليه و يسمى «نافق» و الآخر للخروج منه و يسمى «قاصع». فتضع الفأرة على منفذها للخروج طبقة خفيفة من التراب، فإذا سمعت صوتاً و شعرت بالخطر أزال التراب و فرت من الجحر.

يقول الله سبحانه بأنّ غطاء النفاق لا يبقى إلى الأبد، بل قد نسدّ على المنافق طريق الفرار و الهزيمة من الطرفين و نأخذ منه فرصة الخروج ثم نخزيه و نخرج أضغاثه: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَائِهِمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^٢.

فالنفاق يعتمد على عدم وجود أصالة و حقيقة لله. و يتمحور فكر المنافق حول الجهاد في إطار الحسّ لا في إطار العقل، و يُحدّد الناس أيضاً في هذا الإطار و لا يرى لهم حقيقة إلا في دائرة الحسّ و الظاهر. و في الواقع فإن مثل هذا الإنسان لم يعرف الله و لم يطلع على أسرار العالم و إنما يخادع نفسه لا غير.

و المنافق يسعى إلى القيام بالأعمال الصالحة أمام الناس ليشهدوا له على ذلك و القيام بالأعمال السيئة في الخفاء ليبتعد عن أنظارهم و إنّ رؤيته ترتكز على أساس الناس كما يقول الله سبحانه: ﴿إِذْ يَبْئُتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ

١ . سورة التوبة، الآية ٣٨.

٢ . سورة محمد، الآية ٣٠.

مُحِيطًا^١. فيظهر من مراعاة المنافقين في إخفائهم سيئاتهم وإظهارهم حسناتهم أنّ معيارهم وملاكهم هو الناس.

ثم يقول الله سبحانه: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ^٢﴾، ويقول في موضع آخر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ^٣﴾، ويقول أيضاً: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا^٤﴾.

فتدل هذه التعابير المختلفة على هذه الحقيقة وهي أنه لا يخفى على الله شيء. و سيعلم الإنسان في ذلك اليوم أنّ الله كان يرى في دار الدنيا لا أنه يرى في يوم القيامة. وإن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ^٥﴾، لا يعني أنّ الله خبير في يوم القيامة؛ بل سيتضح للناس في يوم القيامة أنّ الله كان خبيراً ومطلعاً على الدوام.

* * *

١ . سورة النساء، الآية ١٠٨ .

٢ . سورة غافر، الآية ١٦ .

٣ . سورة الحاقة، الآية ١٨ .

٤ . سورة النساء، الآية ٤٢ .

٥ . سورة العاديات، الآية ١١ .

القسم الثالث:

الطهارة وحكمتها

الله يحبّ الطهارة

إنّ الأمر الوحيد الذي يُقَرِّب الإنسان من الله هو الابتعاد عن الطبيعة و الدنيا لأنّ المتعلق بالدنيا لا يصل إلى الله. و كلّ ما يُبَعِّد الإنسان عن الله فهو دنياه سواء كان مالاّ أو جاهاً أو حباً للذات.

و لقد قال الله سبحانه بعد بيان عبادة الغسل و الوضوء و التيمم: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيطَهَّرَكُمْ﴾^١، فما لم يتطهّر الإنسان لا يمكنه الوصول إلى الله الطيب. إذن فإنّ السرّ في الأوامر الصادرة من عند الله سبحانه و تعالى سواء كانت عبادية أم مالية و هي عبادية أيضاً طهارة الضمير التي يحبها الله جلّت عظمته.

و يقول أيضاً: ﴿لَسَجِدُ أَتَسَّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحْيُونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^٢، فهم لا ينظرون إلى الطهارة كتكليف بل

١ . سورة المائدة، الآية ٦ .

٢ . سورة التوبة، الآية ١٠٨ .

ينظرون إليها بوصفها أمراً محبوباً لديهم و يحبون طهارة الضمير.

فإن اجتهدوا و تطهروا تغمرهم محبة الله و عندها سينقاد لهم كل شيء. إذ لا يمكن أن يكون امرؤ محبوباً عند الله و لا يطيعه عالم الخلق لأن المحبوب لا تبقى له إرادة سوى ما يريده حبيبه و بما أن العالم بأسره منقاد لإرادة الله فسيكون العالم منقاداً لإرادة حبيب الله كذلك. و هو منتصر على الدوام و لا يضرب به أي عامل لأن عالم الوجود بأسره جند لله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١، و الله يحفظ حبيبه فلا يستطيع أن يتغلب عليه شيء.

الله يحب الطاهرين

الإنسان الطاهر حبيب الله و من أحبه الله ظهرت عليه آثار الربوبية لأن الله سبحانه لا يترك حبيبه. فهو يحب الطاهرين و المسجد محل الطهارة. و إن سنّ الأحكام الظاهرية فقد وضع إلى جانبها نيل محبة الله حيث قال بأن المسجد و المعبد و مراكز العبادة إنما هي لتربية الإنسان الطاهر؛ أي لتربية الإنسان الذي يكون حبيباً لله.

و قد نزل القرآن الكريم من عند الله بوصفه فيضاً عظيماً و لا يكون له نصيب من هذا القرآن إلا من كان طاهراً كما قل الله سبحانه في كتابه: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^٢، فالمطهرون هم الذين ينهلون من المعارف القرآنية.

و المطهرون الحقيقيون هم أهل البيت عليهم السلام حيث وصفهم الله بذلك في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^٣. و قد ذكرنا في

١. سورة الفتح، الآية ٤.

٢. سورة الواقعة، الآية ٧٧ - ٧٩.

٣. سورة الأحزاب، الآية ٣٣.



الآيات السابقة بأنّ القرآن لا يصل إلى عمقه إلا المطهّرين وأهل البيت هم المطهّرون، وهم المطلّعون على حقيقة القرآن وتلامذتهم أيضاً يستضيئون بالقرآن كلّ بحسب طهارته.

حكمة الطهارة في الرؤية القرآنية

اتّضح مما مرّ أن الطهارة هي سرّ العبادة وحكمتها ولكن ليس المراد بها الطهارة الظاهرية. فلا يزعم البعض حين أمرنا الله بالوضوء من أجل الطهارة بأنّ الماء يُطهّر ظاهر البدن ويضفي على الإنسان طهارة ظاهرية لأنه يذكر هذا المعنى في التيمم أيضاً حيث أمرنا بالتيمم وتعفير الوجه بالتراب من أجل الطهارة. فمن الممكن أن يطهر الماء البدن طهارة ظاهرية وأما وضع اليد على التراب ومسح الوجه بها تسوق الإنسان إلى الطهارة المعنوية.

إذ يقول الله في بيان التيمم: ﴿فَلَمْ تَحْدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^١.

وقد اعتبر بعض الفقهاء عدم كفاية وضع الإنسان يده على حجر أملس ومسحه على وجهه مستدلين بقوله ﴿منه﴾ فلا بد من تعفير الوجه بالتراب والتصاق غبار الأرض على الوجه.

ثم قال: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾، فيظهر أنّ الإنسان حين التيمم يتطهر بتعفير وجهه بالتراب، ولكن من أي شيء يتطهر؟ مما لا شكّ فيه أنّ هذا العمل يسلب من الإنسان الغرور والكبر ويُطهره بذلك وعندها

سيرتدع عن الاعتراض على إرادة الله و عن الإدلاء برأيه، إذن فالطهارة المطلوبة لدى الله هي التطهر من الغرور والكبر.

وكما أنّ الله يقول بعد أن يحصي النعم الظاهرية: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾، يذكر التيمم أيضاً بوصفه نعمة ليكون الإنسان شاكرًا أمامه.

حَكَمُ الْوُضُوءِ فِي كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ

لقد قيل لنا: تعلموا أسرار العبادة و اعملوا بها. فإن الصلاة و الصيام و الوضوء و سائر التكاليف من الأحكام الإلهية. و قد سُنت هذه الأحكام لوقوف الإنسان على أسرارها و التحرر من الأسر.

روى الصدوق تت بأن النبي ﷺ صلى يوماً بأصحابه الفجر ثم جلس معهم يحدثهم حتى طلعت الشمس، فجعل يقوم الرجل بعد الرجل حتى ليريبق معه إلا رجلاً أنصاري و ثقيفي، فقال لها رسول الله ﷺ: قد علمت أن لكما حاجة تريدان أن تسألاني عنها فإن شئتما أخبرتكما بحاجتكما قبل أن تسألاني و إن شئتما فاسألاني، قالا: بل نخبرنا يا رسول الله فإن ذلك أجلى للعمى و أبعد من الارتباب و أثبت للإيمان، فقال النبي: أما أنت يا أخا الأنصار فإنك من قوم يؤثرون على أنفسهم و أنت قروي و هذا الثقيفي بدويّ أفؤثره بالمسألة؟ قال: نعم، قال: أما أنت يا أخا ثقيف، فإنك جئت تسألني عن وضوئك و صلاتك و مالك فيهما، فاعلم أنك إذا ضربت يدك في الماء و قلت بسم الله الرحمن الرحيم تناثرت الذنوب التي اكتسبتها يداك، فإذا غسلت وجهك تناثرت الذنوب التي اكتسبتها عيناك بنظرهما و فوك بلفظه، فإذا غسلت ذراعيك تناثرت الذنوب عن يمينك و شمالك، فإذا مسح رأسك و قدميك تناثرت الذنوب التي مشيت إليها على قدميك^١.



و معنى ذلك أن في مسح الرأس التطهر من الخواطر الباطلة، ومن أراد أن يذكر اسم الله بلسانه عليه أن يطهر فمه، إذ لا يمكن ذكر الله بفم غير طاهر، فلا بد من المضمضة و غسل الفم بالماء. هذا جانب من حُكَم الوضوء.

و يقول النبي الأكرم ﷺ: «يُحْشَرُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أُمْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ الْأُمَمِ غُرّاً مُحْجَلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ»^١، أي متمازين بالنور على غيرهم.

فإن السبب من عدم الالتذاذ بصلاتنا و سائر عبادتنا هو عدم الوقوف على هذه الحُكَم. و إن الذين يلتذون بالعبادة لا يرومون عنها بدلاً.

حُكَمُ الْوُضُوءِ فِي بَيَانِ الْإِمَامِ الثَّامِنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

روى المرحوم ابن بابويه عن الإمام الثامن عليه السلام أنه قال لأحد تلامذته و هو محمد بن سنان: «إنَّ عِلَّةَ الْوُضُوءِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا صَارَ عَلَى الْعَبْدِ غَسْلُ الْوَجْهِ وَ الذَّرَاعَيْنِ وَ مَسْحُ الرَّأْسِ وَ الْقَدَمَيْنِ، فَلِقِيَامِهِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى وَ اسْتِقْبَالِهِ إِيَّاهُ بِجَوَارِحِهِ الظَّاهِرَةِ وَ مَلَاقَاتِهِ بِهَا الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ، فَيَغْسِلُ الْوَجْهَ لِلْسُجُودِ وَ الْخُضُوعِ وَ يَغْسِلُ الْيَدَيْنِ لِيَقْلِبَهُمَا وَ يَرْغِبَ بِهِمَا وَ يَرْهَبَ وَ يَتَبَتَّلَ وَ يَمْسَحَ الرَّأْسَ وَ الْقَدَمَيْنِ لِأَنَّهُمَا ظَاهِرَانِ مَكْشُوفَانِ يَسْتَقْبَلُ بِهِمَا كُلَّ حَالَاتِهِ وَ لَيْسَ فِيهِمَا مِنَ الْخُضُوعِ وَ التَّبَتُّلِ مَا فِي الْوَجْهِ وَ الذَّرَاعَيْنِ»^٢.

إنَّ لَأَسْرَارِ اللَّهِ حَقَائِقَ ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^٣، فإن لم يمكن الوصول إلى حقيقة القرآن إلا للمطهرين، لا يمكن الوقوف على حقيقة هذه العبادات إلا للمطهرين أيضاً. حيث إنهم يلتذون بالعبادة و لا يشغلهم عنها شاغل.

ففي الوضوء لا يكفي غسل الوجه بالصابون، بل لابد من إقران الغسل بالنية.

١. بحار الأنوار، ج ٨٠، ص ٢٣٧.

٢. وسائل الشيعة، ج ١، ص ٣٩٥.

٣. سورة الواقعة، الآية ٧٩.

فعلى المرء أن ينوي بأن يغسل وجهه ويطهره من الذنوب من أجل الوضوء والصلاة امتثالاً لأمر الله والوقوف أمامه والسجود له بوجه طاهر، حتى يطلع على أسرار العبادة، ويصاحب الملائكة. وأن يغسل يديه ليدعو الله بيد طاهرة و يتهل إليه و يمسح رأسه ورجليه لأن رأسه مكشوف في الصلاة ورجليه باتجاه القبلة؛ فلا بد أن يكون طاهر الفكر و طاهر الرجل و طاهراً من الرأس إلى القدم لكي يقف أمام الله و يشعر باللذة. ولذا قال الإمام: إنَّ علة الوضوء التي من أجلها صار غسل الوجه و الذراعين و مسح الرأس و القدمين، فلقيامه بين يدي الله تعالى و استقباله إياه بجوارحه الظاهرة و ملاقاته بها الكرام الكاتبين.

الطهارة من الرجاسة و النجاسة

تكمّن حكمة الوضوء في الطهارة من كلّ رجاسة و نجاسة تلوّث الإنسان. و إنّ المتوضئ بوضوئه يطهر نفسه من النجاسة و الرجاسة المختصة بالروح.

يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^١، و يقول أيضاً: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^٢، و يقول كذلك: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^٣، فالمراد بالنجاسة في هذه الآيات هي النجاسة و القذارة الباطنية، و إنّ كانوا متصفين بالطهارة من حيث الظاهر؛ لأنّ رؤية ما سوى الله و الاتكال على غيره و نسبة الأقوال و الأفعال و الأحوال إلى غيره شرك باطني يخالف للتوحيد الخالص. و من يريد الوضوء ينبغي الطهارة من هذا الرجس و النجس الباطني ليكون موحّداً مخلصاً للمناجاة مع الله و عندها سيكون هذا المتطهر بحيث لا يُنجسه شيء: «المؤمن لا يُنجسه شيء»^٤.

١. سورة لقمان، الآية ١٣.

٢. سورة التوبة، الآية ٢٨.

٣. سورة يوسف، الآية ١٠٦.

٤. المحاسن للبرقي، ج ١، ص ٢٢٥، ح ٤٠٤.



ورد في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الكذبة تنقض الوضوء»^١، وكذا يستفاد من روايات أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام وغيره أن الظلم وإنشاد الأشعار الباطلة واللهوية أيضاً تنقض الوضوء. وهذه المسألة الظرفية هي واحدة من الحكم الباطنية للوضوء.

فلو ثبت لأحد أن الإنسان موجود أبديّ وثبت أيضاً أنه يستطيع الوصول إلى مقام أسمي، سيبدل كل ما بوسعه في هذا الطريق للوصول إلى ذلك المقام.

وإن لكل من التعاليم الدينية من الطهارة إلى التولي والتبري روح وجسم. والجهد أيضاً كذلك وهو بحاجة إلى بحث مستقل ليتضح ما هو سرّ الحرب وفلسفة مقاتلة العدو؟ وما هي تلك الروح التي تسوق المجاهد إلى مقام الشهادة الرفيع؟ وقد بدأ القرآن الكريم هذا الطريق بالطهارة ليوقفنا على أسرار سائر العبادات؛ فالهدف من الجهد على سبيل المثال لا يقتصر على حفظ المساحات، بل المهم هو الوصول إلى حكم العبادات وباطنها.

فيظهر من قول الله في سورة المائدة: ﴿فَتَتِمُّوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ... يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾، أن الله سبحانه وتعالى سنّ كل عبادة على هذا الأساس وهو أن يصل الإنسان إلى عبودية الله ويتحرر من عبودية الآخرين.

فلا عدو ألد من عدو الباطن^٢ ولا نجس أشد من رجس النفس. ولذا فقد شرعت كل العبادات ليتخلص الإنسان من الغرور والكبر عبر طرق شتى. وجاءت كل التعاليم للتطهير، فالإنسان يصلي ليظهر ويصوم ليظهر ويحارب ليعبد الطريق للتطهر.

* * *

١. الكافي، ج ٤، ص ٨٩.

٢. قال رسول الله ﷺ: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» (بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ٦٤).

القسم الرابع:

الصلاة وحكمتها

اطمئنان القلب

حينما يتحدّث القرآن الكريم عن الصلاة يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^١، أي أقم الصلاة لأجل إحياء ذكري، وأنا بهذا الذكر سوف أكون ظاهراً بواسطة الصلاة، فإن ظهر ذكر الله عبر الصلاة يصل القلب إلى الاطمئنان. من جهة أخرى فإن ذكر الله يبعث على اطمئنان القلوب: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^٢. وعلى هذا فإن قلب المصلي مطمئن ولا يخاف غير الله أبداً ولا يتأتى لأيّ عدوّ باطني أم خارجي أن يوقع الخوف في قلوب المصلين لأنهم يذكرون الله و ذكر الله يؤدي إلى اطمئنان القلب.

ثم إن القرآن الكريم يشير إلى حكم الصلاة في سورة المعارج قائلاً بأن طبيعة الإنسان لا تستقر عند الشدائد فإن أصابها خير سعت لأن تتفرّد بالانتفاع منه. فإن فطرة الإنسان جُبلت على التوحيد و طبيعته على الرجس و الخبث و الفطرة لا يحییها

١ . سورة طه، الآية ١٤ .

٢ . سورة الرعد، الآية ٢٨ .

إلا الأنبياء والطبيعة ليس لها إلا الرجس. يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾^١، لأنهم قمعوا الطبيعة وأحيوا الفطرة، إذ أن ميزة الصلاة إحياء الفطرة. فإن المصلي هو الذي ذلّ طغيان الطبيعة، وهو الذي لا يهن ولا يضعف أمام المصائب والنوائب ولا يجنز عند الصعاب والشدائد عبر الطمأنينة التي حصل عليها من خلال الصلاة، ولا يمنع الآخرين ما أصابه من خير.

المواظبة على الصلاة والإنفاق

يذكر الله المصلين وبيّن أسرار الصلاة وخواصها قائلاً: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾^٢، ويهتدون ببركة الصلاة إلى أفعال الخير. ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^٣، فالمصلي هو الذي لا يخصص لنفسه كل ما هو باختياره، بل يجعل نصيباً من ذلك للفقراء. والكلام عن المال الحلال لا الحرام، فمن يهب المال الحرام لا ينتفع بذلك. وأما الذي يكتسب أمواله من الحلال فهو مالك للمال ويقوم بالإنفاق من ماله، فالمصلي هو الذي يكون له في ماله حق معلوم للآخرين.

و الآخرون على صنفين: صنف من الفقراء يجزأ على السؤال، وصنف متصف بالعفة ولا يجزأ على السؤال. والمصلي هو الذي يشارك الآخرين في أمواله.

كان أبو الحسن الرضا عليه السلام إذا أكل أي بصحفة، فتوضع بقرب مائدته، فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به، فيأخذ من كل شيء شيئاً، فيوضع في تلك الصحفة، ثم يأمر بها للمساكين^٤، ثم يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾^٥، أي

١. سورة المعارج، الآية ١٩ - ٢٢.

٢. سورة المعارج، الآية ٢٣ - ٢٥.

٣. تفسير البرهان، ج ٤، ص ٤٦٤؛ الكافي، ج ٤، ص ٥٢.

٤. سورة البلد، الآية ١١ - ١٢.



أنّ الناس لا يقتحمون عقبات التفكير في العواقب وهم لا يعرفون ما هي هذه العقبات ويمشون في أرض مسطحة مستوية. فإن السير لا يصعب في سفح الجبال حيث الأرض مستوية وإنما السير في أعلى الجبل يُوسّع أفق نظر الإنسان. فإن إعطاء الثياب البالية و المدرسة للفقر ليس من الصراط المستقيم ولا اقتحام للعقبة. وإنّ هذه الآية تحثنا على صعود جبل المشاكل وعدم المكوث دوماً في سفح الجبل و تحرضنا على علوّ الهمة و السعي لاقتحام العقبات. فإن إعطاء الطعام المبيت و الثياب البالية للغير عمل يسير و مكروه عند الله سبحانه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^١.

وإنّ من مهامّ الحكومة الإسلامية الاهتمام بجميع الفقراء حتى ولو لم يكن مسلماً. فقد ورد في الخبر أنه: «مرّ شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين نصراني، فقال: استعملتموه حتى إذا كبر و عجز منعتموه! أنفقوا عليه من بيت المال»^٢.

فهل أن الله سبحانه يتقبّل كلّ صدقة؟ يقول القرآن بشأن صدقة المنافقين بأنهم كلما أنفقوا لا يتقبل الله إنفاقهم و صدقاتهم لأنهم اتخذوه مغرماً و لم يفعلوه بإخلاص. ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾^٣، و الله لا يتقبّل مثل هذا الإنفاق. فلو أن مزارعاً غرس شجرة و قطع أغصانها الزائدة هل يعدّ عمله هذا غرامة و كلفة؟ و إنما يتم قطع الأغصان الزائدة لشجر الشجرة فهل يعتبر هذا للشجرة مغرماً أم مغنياً؟.

١. سورة آل عمران، الآية ٩٢.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٦٦؛ التهذيب، ج ٦، ص ٢٩٧.

٣. سورة التوبة، الآية ٩٨.

تربو الأموال بركة الزائد منها كما تزداد الثمار بقطع الزائد من أغصانها^١.
فمن أنفق شيئاً في سبيل الله واعتبره مغنياً لا مغرمًا جعل الله له بوزن كل شيء
تصدق به مثل جبل أحد^٢، وإن كان بنصف ثمرة، وهذا ما يرتبط بحكمة الصدقة و
أن أي الصدقات مقرونة بالحكمة وأنها مفارقة لها.

زهد النبي ﷺ

لقد ورد في التعابير الدينية أنكم إذا أردتم أن تعرفوا قيمة الدنيا وثروتها فانظروا
إلى من يملكها فإن كانت بيد الصالحين فاعلموا أنها قيمة وإن كانت بيد الطالحين
فاعلموا أنها سيئة وإلا لأعطاها الله سبحانه للمصالحين.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة: «ولقد كان في رسول الله ﷺ ما
يدلك على مساوئ الدنيا وعيوبها إذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع
عظيم زلفته»، ثم طرح فكرة منطقية استدلت فيها خلال مقدمتين.

المقدمة الأولى: «فلينظر ناظر بعقله أكرم الله بذلك محمداً أم أهانه»، ومما لا شك
فيه أن أكرم العباد عند الله هو النبي وما من كرامة ولا عزة ولا حرمة إلا وأعطاها
الله نبيه وقال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^٣.

المقدمة الثانية: «قضم الدنيا قضمًا ولم يعرها طرفاً أهضم أهل الدنيا كشحاً و
أنحصهم من الدنيا بطنًا... أعرض عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها من نفسه وأحب أن
تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها ريشاً ولا يعتقدها قراراً ولا يرجو فيها مقاماً
فأخرجها من النفس وأشخصها عن القلب وغيبها عن البصر».

١. بيت بالفارسية وهذا نصه:

زكات مال به در كن كه فضله مورا چو باغبان ببرد بيشت زهد انگور

٢. أمالي الشيخ المفيد، ص ٤٠٦، المجلس ٤٢، ح ٧؛ وكذلك نفس المصدر، ص ٢٦٦.

٣. سورة الانشراح، الآية ٤.



فلنعلم أن من شغله الله بالمال فقد أزواه عن المعارف، فلا نبيع أنفسنا بثمن بخس. والتاريخ يشهد لنبينا أنه لطالما بات جائعاً سواء في سنوات شعب أبي طالب الثلاث أم في غيره، وكان إذا حصل على المال من خديجة عليها السلام فإنه يبذله للإسلام لا لشخصه ثم قال في مقام الاستنتاج: «أكرم الله بذلك محمداً أم أهانه فإن قال أهانه فقد كذب والله العظيم وأتى بالإفك العظيم وإن قال أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس منه»^١.

الصلاة والإيمان بيوم القيامة

إحدى صفات المصلين ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتِ الدِّينِ﴾^٢، لأن ذكر المعاد يطهر الإنسان والمشاكل بأسرها إثر نسيان يوم القيامة.

فإن القرآن حين يذكر سبب فسق الفاسقين يقول: ﴿هُمَّ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^٣. وأما المصلون فإنهم لا ينسون يوم القيامة ويصدقون به: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾^٤. فإن الصلاة تجعل الإنسان خائفاً من يوم الدين ومتذكراً للمعاد. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾^٥. فمن المأمون من عذاب الله؟ وهل أن الإنسان قد تسلّم صك الأمان؟

يقول النبي الأكرم عليه السلام: «واعلموا أن الله تعالى أقسم بعزته أن لا يعذب المصلين

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.

٢. سورة الماعز، الآية ٢٦.

٣. سورة ص، الآية ٢٦.

٤. سورة الماعز، الآية ٢٧.

٥. سورة الماعز، الآية ٢٨.

و الساجدين و أن لا يترعوهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين^١، لأنهم: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾^٢.

و قد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا صلّيت صلاة فريضة فصلّتها لوقتها صلاة مودّع يخاف أن لا يعود إليها أبداً...»^٣ بسبب طول الأجل.

المصلّي والعهد والشهادة

و في تمة استعراضه لخصائص الصلاة و صفات المصلين يقول الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾^٤، فهؤلاء هم الراعون لأماناتهم المالية و غيرها و المتمسكون بمواثيقهم مع الله و مع الناس. حتى يقول: عاهدوني و اتخذوني طرفاً لمعاملاتكم.

و قد كتب بعض الأعلام رسائل موسومة بـ «رسالة العهد» و منهم ابن سينا الذي يذكر فيها عهوده و مواثيقه. فهم يعاهدون أن لا يفتحوا ألسنتهم إلا بذكر الله و أن لا يحضروا مجالس المعصية و محافل اللهو. و يبيّنون في رسائل العهد هذه العهود فيما بينهم و بين الله. فللمؤمن مع الله عهدٌ و هذا يدلّ على أن الله قريب بحدّ يستطيع المؤمن أن يتّخذ معه عهداً.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾^٥ و صامدون، يثبتون على ما يشهدون به من وحدانية الله و الرسالة و على ما يشهدون به من حقّ في سائر المسائل الحقوقية.

١. الأربعون حديثاً للشيخ البهائي، ح ٩.

٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٢.

٣. الأمالي و المجالس، ص ٢١٢، المجلس ٤٤، ح ١٠.

٤. سورة المعارج، الآية ٣٢.

٥. سورة المعارج، الآية ٣٣.



المحافظة على أوقات الصلاة

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ﴾^١ ويواظبون على أوقاتها.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ العبد إذا صلى الصلاة في وقتها وحافظ عليها ارتفعت بيضاء نقيّة تقول حفظتني حفظك الله وإذا لم يصلها لوقتها ولم يحافظ عليها ارتفعت سوداء مظلمة تقول ضيّعتني ضيّعك الله»^٢.

فإن الصلاة في أول وقتها تظهر بيضاء نقيّة؛ ومن هنا يُعلم أنّ للصلاة حقيقة حية وروح خالدة، تدعو ودعاؤها مستجاب على الدوام وصلاة التارك لها أو الذي لم يحافظ عليها في وقتها تظهر سوداء مظلمة تقول ضيّعتني ضيّعك الله!

إكرام الله المصلّين

يقول في تنمة هذه الآيات: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَّمُونَ﴾^٣. فلم يقتصر الكلام في التّنعّم بنعم الجنة كالجنّات والأنهار والحريّر والإستبرق والمأكولات والمشروبات بل الكلام عن الكرامة وإكرام المصلّين في الجنة.

و «الكرامة» تعبير لطيف يراد به الشرف والعظمة المتصف بها الإنسان الكريم. وقد اعتبر الله الكرامة صفة الملائكة قائلاً: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَّمُونَ﴾^٤. وهي صفة المصلّين أيضاً. وقد نعت الله الملائكة بنعوت محرّضاً على اكتسابها حيث قال: ﴿لَا يَسْـَٔقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^٥. ثم يقول في سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

١. سورة المعارج، الآية ٣٤.

٢. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٩، ح ٦٢٧.

٣. سورة المعارج، الآية ٣٥.

٤. سورة الأنبياء، الآية ٢٦.

٥. سورة الأنبياء، الآية ٢٧.

أَمْتُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^١، أي اتبعوا أوامر الحق كالملائكة لتتصفوا بصفاتهم و تكونوا أمثالهم. فإن لذة صحبتهم كرامة. وإن المصلين في الجنة مكرّمون لأن المصلي قد تحلّى بصفات الملائكة و بات يتمتع بها يتمتعون به.

بالاجتهاد يصل الإنسان إلى مرتبة الملائكة كما تبدّل ورقة التوت تدريجياً إلى حرير^٢.

الحشر مع الملائكة

جاء في تفسير هذه الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^٣ بأن جعفر الطيار عليه السلام حينما قطعت يده في سبيل الله، أعطاه الله جناحين «يطير بهما في الجنة»^٤ مع الملائكة. وقد ذكرت فضيلة الحشر مع الملائكة التي لا تضاهيها لذة في الروايات بشأن العبد الصالح أبي الفضل العباس أيضاً^٥ ومثل هذه العطايا الغيبية إنما هي ظهور لأسرار العبادة والإطاعة و بروز لروح العبودية.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «ما من عبد من شيعةنا يقوم إلى الصلاة إلا اكتنفته بعدد من خالفه ملائكة يصلّون خلفه و يدعون الله عزّ و جلّ له حتى يفرغ من صلاته»^٦.

١. سورة الحجرات، الآية ١.

٢. بيت بالفارسية في ديوان سنائي و هذا نصه:

تو فرشته شوي ار جهد كني از يي آنك برگ توت است به تدريج كندش اطلس

٣. سورة فاطر، الآية ١.

٤. الكافي، ج ١، ص ٤٥٠؛ تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٣٤٥.

٥. بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٢٧٤.

٦. الكافي، ج ٨، ص ٣٦٥؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٩.

كما و يستطيع الإنسان أن يكون إماماً للملائكة. و قد حرصنا القرآن الكريم على أن باستطاعتنا الوصول إلى مرتبة يمكننا القول فيها: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^١ فهم التابعون و نحن المتبوعون.

قال الإمام الباقر سلام الله عليه: «للمصلي ثلاث خصال:

الخصلة الأولى: «إذا هو قام في صلاته حَقَّتْ به الملائكة من قدميه إلى أعنان السماء».

فما هي هذه العبادة التي تكون الملائكة مأمورة بأسرها لحفظ الإنسان من الوسوس و الشيطان و الوهم و الخيال أن تسوق المصلي إليها؟ حتى إذا قام المصلي لصلاته مع حضور قلب دخل في حصن أمن الملائكة.

فقد تكون الصلاة سوداء مظلمة تقول: «ضَيَعْتَنِي ضَيَعَكَ اللَّهُ» و قد تكون بيضاء نقيّة تقول: «حَفَظْتَنِي حَفَظَكَ اللَّهُ»^٢.

فإنّ الشيطان بالمرصاد للصلاة و الصيام و الأعمال الصالحة يقعد إلى جانب الحسنات و يبدأ بالوسوسة. حيث قال بنفسه: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^٣ و أمّنهم من اجتياز هذا الصراط. فإنّ مراكز الفساد و الفسوق مكمّن للشيطان. و إنّ الشيطان يبدأ بالوسوسة عند الصلاة و لا يتوجه الإنسان إلا حين الفراغ منها و هو يقول: «السلام عليكم و رحمة الله و بركاته»!

الخصلة الثانية: «و يتناثر البرّ عليه من أعنان السماء إلى مفرق رأسه».

فما هو البرّ؟ و أيّ شيء نعتبره برّاً؟ نحن نجد بعض الأعمار مباركة. و إنّ الصديق الجيّد، و الأستاذ الجيّد، و التلميذ الجيّد، و الولد الصالح، و الإخلاص كلها مبرّات و

١ . سورة الفرقان، الآية ٧٤.

٢ . من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٩، ح ٦٢٧.

٣ . سورة الأعراف، الآية ١٦.

وسائل للوصول إلى البرّ النهائي. وكلها تُكتسب في ظلّ الصلاة، والمصلي بمدد هذه العبادة يستحق نزول الخيرات والمبرات.

الخصلة الثالثة: «و ملك موكل به ينادي: لو يعلم المصلي من يناجي ما افتل»^١. ولذا روي عن الإمام المعصوم عليه السلام أنه قال: «وأذقني حلاوة ذكرك»^٢. وبها أننا لندق هذه الحلاوة نجد الصلاة أمراً طبيعياً، وعدم شعورنا بالنورانية عند الصلاة لكوننا لا نؤديها بآدابها وأسرارها.

تواضع الإنسان في السجود

أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يدخلني الجنة، فقال: «أعني بكثرة السجود»^٣ حتى أدعو فيستجاب.

فالسجود يجعل الإنسان خاضعاً متواضعاً والمتواضع خارج عن الأنانية. وإن رضي وفرح المرء بصالح عمل قوم لم يُوفق للقيام به أشرك في ثوابه و ستحسر عنه الحسرة عند ذلك، قال علي عليه السلام: «الراضي بفعل قوم كالدخل فيه معهم وكل داخل في باطل إثمان: إثم العمل به وإثم الرضا به»^٤. وأما ما ابتلي به الكثير من الناس من التأسف على تفويت العمل فلأنهم لم يطلبوا العمل الصالح بل طلبوا أنفسهم. فقد يصدر العمل الصالح من الآخرين والإنسان المتقي يُشرك في عملهم لأنه رضي به حقيقة. وحيثما استطعنا تطويع أنفسنا التي لا تنفك عنا وترويضها سندخل في راحة وقرار وذلك لا يتيسر إلا بالعبادة^٥.

١. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢١٠، ح ٦٣٦.

٢. مفاتيح الجنان، المناجيات الخمسة عشر؛ بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ١٨٢.

٣. التهذيب، ج ٢، ص ٢٣٦.

٤. نهج البلاغة، الحكمة ١٥٤.

٥. قال علي عليه السلام: «إنما يجمع الناس الرضا والسخط فمن رضي أمراً فقد دخل فيه ومن سخطه فقد خرج

منه». (وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١٤٠).



و من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام و رسول الله ﷺ: «و لا تباغضوا فإنها الحالقة»^١، أي تخلق الدين. و الحلق هو إزالة شعر الرأس بالموس. و الشعر الذي يُزال بالموس لا ينبت بسهولة. قال: لا تباغضوا فإنها تخلق الدين و تقلعه من الأساس. و ذلك كأن يلجأ الإنسان إثر العداء إلى الكافر. و إنما قالوا لنا: ادعوا الله و اطلبوا منه أن لا يكلنا إلى أنفسنا لحظة واحدة، لأن الحسد و الضغينة و المباغضة تخلق الدين و تقتلع جذوره من أساسها و لا يبقى للدين باقية. فلا تملؤوا قلوبكم حقداً و عداوة على الآخرين فإن منشأها الأنانية و الصلاة تزيل الأنانية.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «عليك بطول السجود فإن ذلك من سنن الأوّابين»^٢. فعلى المرء أن لا يرفع رأسه من السجود بسرعة. فليصلّ الصلوات العامة بصورة طبيعية و ليطيل السجود في حالاته الخاصة. لأنّ عدوّ الباطن لا يدع الإنسان مطمئناً و يسعى أن يخادع الإنسان حتى آخر لحظة.

ولذا فإنّ أفضل حال في الصلاة هو حال السجدة كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ أقرب ما يكون العبد من الربّ عزّ و جلّ و هو ساجد بأك»^٣. فإنّ الإنسان كلّما قرب من التراب كلما ازداد قربه من الله.

قال رسول الله ﷺ في الخطبة الشعبانية: «ظهركم ثقيلة من أوزاركم فخففوا عنها بطول سجودكم»^٤.

فهل تلاحظون مدّى أثر السجود؟ قد لا يستطيع الإنسان أن يطيل السجود في الصلوات الواجبة؛ بيد أنّ أصل السجود في الصلاة و غيرها أمر مطلوب و مؤثّر. فإنّ تخلّص الإنسان من شرّ نفسه سبببت بعيداً عمّا يؤذيه و يُضنيه.

١ . نهج البلاغة، الخطبة ٨٦.

٢ . بحار الأنوار، ج ٨٥، ص ١٦٢.

٣ . الكافي، ج ٢، ص ٤٨٣.

٤ . بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٣٥٧.

حكمة سلام المصلي

يقول أحد كبار عرفاء الإسلام وقد ورد مضمون كلامه في كتاب «سر الصلاة» للإمام الحميني رحمته الله أيضاً: من كان في الصلاة متوجهاً إلى غير الله وملتفتاً إلى ما يخص حياته كيف يسمح لنفسه القول في نهاية الصلاة: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»؟ لأن النبي الأكرم ﷺ يقول: «المُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ»، ولذا فهو ليس حاضراً بين الناس، فإذا فرغ من صلاته و انتهى من مناجاته مع الله سبحانه وعاد من الحضرة الإلهية ودخل في جمع الناس يقول: «السلام عليكم...». فإن الأشخاص الجالسين جنباً إلى جنب في مجلس ومحفل واحد لا يُسَلِّم أحدهم على الآخر لأنهم حاضرون في المجلس. وإنما يُسَلِّم من لم يكن حاضراً معهم في المجلس ويدخل عليهم من مكان آخر.

فإن السلام في آخر الصلاة لا دعاء ولا ذكر وإنما هو تحية. ولذا فمن يقول في وسط الصلاة عامداً: «السلام عليكم» بطلت صلاته، ومن يقولها سهواً عليه الإتيان بسجدة السهو. إذن فالسلام في آخر الصلاة تحية؛ لأن المصلي يناجي ربه ويتعد عن الناس، فإن فرغ من صلاته وعاد من مناجاته مع ربه إلى الأرض والتحق بجمع الناس يُسَلِّم عليهم. وقد ذكر الفقهاء بأن على الإمام في صلاة الجماعة وحين قوله «السلام عليكم» أن ينظر إلى الجهة الفلانية والمؤمنين إلى الجهة الفلانية.

فيقول ذلك العارف الكبير: إني لأعجب ممن كان متوجهاً إلى مسائل حياته ولم يناجي ربه ولم ينفصل عن الناس، كيف يسمح لنفسه أن يقول: «السلام عليكم...»؟!^٢

١. بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٢١٥.

٢. للمزيد من الفائدة راجع سر الصلاة للإمام الحميني رحمته الله، ص ١٠٨ - ١١٥.



أدب الصلاة

إنّ من أمثلة الأدب في الصلاة الواردة في حديث شريف لرسول الله ﷺ هي: «من اتقى على ثوبه في صلاته فليس لله اكتسب»^١، أي أنّ من كان له ثوبان أحدهما جيّد والآخر مندرس و كان يلبس الثياب القديمة المندرس في الصلاة فليس لبسه لله وإنما هو لخلق الله. أو أنه لبس الثياب الجيدة ولكنه أّخر صلاته أو تركها (و العياذ بالله) لثلاث تلوث ثيابه ويقع عليها الغبار، فيظهر أنه لبس لغير الله. فقد قال الله سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^٢.

الباطن المثالي للصلاة

إنّ لكلّ عبادة باطن مثاليّ و باطن عقليّ، و الباطن المثاليّ يشاهده الإنسان في البرزخ، و البرزخ هو عالم القبر نفسه. فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن البرزخ فقال: «القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة»^٣، حيث أنّ الإنسان إذا دخل القبر دخل عالم البرزخ. فما يرتبط بعالم المثال يشاهده المرء في البرزخ و أما الباطن العقلي للعبادة فيشاهده في ما فوق البرزخ.

يروى أبو بصير أحد أبرز تلامذة الإمامين الباقر و الصادق عليه السلام عن أحدهما أنه قال: «إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور فيهن صورة هي أحسنهن وجهاً و أبهاهن هيئة و أطيبهن ريحاً و أنظفهن صورة فيقف صورة عن يمينه و أخرى عن يساره و أخرى بين يديه و أخرى خلفه و أخرى عند رجليه و يقف التي هي

١. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٦، ح ٦١٩.

٢. سورة الأعراف، الآية ٣١.

٣. تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٥٣.

أحسنهن فوق رأسه فإن أتى عن يمينه منعته التي عن يمينه ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست، فتقول أحسنهن صورة من أنتم جزاكم الله عني خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة».

فإن باطن الصلاة هو نفس هذه الصورة النورانية التي تقف على يمين المصلي في القبر، فيتأتى له في البرزخ مشاهدتها والتكلم معها و طلب الشفاعة منها و الصلاة إنما هي مثال و العبادات بأسرها على هذا المنوال.

«و تقول التي عن يساره: أنا الزكاة». و الزكاة لا تختص بالمال، بل على الإنسان أن يدفع زكاة كلّ نعمة إلهية و هو مسؤول عنها بأجمعها، فقد ورد في الأخبار: «زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه»^١، و كذا: «زكاة الجمال العفاف»^٢، و أيضاً: «زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله»^٣، إلى غير ذلك من الروايات.

هذه كلّها من مصاديق الزكاة، فإن دفع المرء زكاة النعمة، ستظهر هذه الزكاة في القبر إلى جانبه بصورة مشرقة تعينه و تصونه من الأخطار و الأضرار.

«و تقول التي بين يديه: أنا الصيام»، حيث يتجلى السرّ المثالي للصوم الذي أتى به لوجه الله في القبر على نحو إنسان بهيّ الوجه.

«و تقول التي خلفه: أنا الحج و العمرة».

قال علي بن الحسين عليه السلام و هو واقف بعرفات للزهري: كم تقدّر هاهنا من الناس. قال: أقدر أربعة آلاف ألف و خمسمائة ألف كلهم حجاج قصدوا الله بآمالهم و يدعونه بضجيج أصواتهم. فقال له: يا زهري ما أكثر الضجيج و أقل الحجيج! فقال الزهري: كلهم حجاج، أفهم قليل؟. فقال له: يا زهري ادن لي وجهك. فأدناه إليه،

١. بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٥.

٢. شرح غرر الحكم، ج ٤، ص ١٠٥.

٣. نفس المصدر، ص ١٠٦.



فمسح بيده وجهه، ثم قال: انظر. فنظر إلى الناس، قال الزهري: فرأيت أولئك الخلق كلهم قردة، لا أرى فيهم إنساناً إلا في كل عشرة آلاف واحداً من الناس. ثم قال لي: ادن مني يا زهري. فدنوت منه، فمسح بيده وجهي ثم قال: انظر. فنظرت إلى الناس، قال الزهري: فرأيت أولئك الخلق كلهم خنازير، ثم قال لي: ادن لي وجهك. فأذنت منه، فمسح بيده وجهي، فإذا هم كلهم ذئبة إلا تلك الخصائص من الناس نفرأ يسيراً^١.

فإن لكل إنسان باطن وهو متحد مع باطن أعماله؛ والعامل متحد مع عمله وكل يُحشر على نيته. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «يُحشر الناس على نياتهم»^٢. والمعصومون عليهم السلام يشهدون باطن الناس وقد يميطنون اللثام عن الآخرين أيضاً.

«تقول التي عند رجليه: أنا برّ من وصلت من إخوانك، ثم يقلن: من أنت؟ فأنت أحسننا وجهاً وأطيبنا ريحاً وأبهانا هيئة فتقول: أنا الولاية لآل محمد ﷺ»^٣. فإن محبة عليّ وأولاده تظهر بهذه الصورة واتباعهم يتجسّم بهذه الهيئة بأن تكون أبهى وجهاً من بقية الأعمال وتترف فوق رأس المؤمن مشرفة عليه. وإن محبة أهل البيت عليهم السلام الصادقة لا الصورية تؤدي إلى الحشر معهم كما سيأتي في القسم التاسع.

النيران المتقدمة وكوثر الصلاة

قال رسول الله ﷺ في الصلاة: «ما من صلاة يحضر وقتها إلا نادى ملك بين يدي الناس قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتوها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم»^٤.

١. بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٢٥٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٢٠٩.

٣. بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢٣٤.

٤. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٨، ح ٦٢٤.

فما من ذنب نفتقره أو كلام سيء نتفوهه أو طريق منحرف نسلكه إلا وهو مقترن بنا وهي كلها نيران قد أوقدناها بأيدينا ونحتطبها على ظهورنا من غير أن نشعر بذلك.

حتى أن الإنسان بنفسه قد يكون خطباً للجنهم ويتجسم بصورة نار وخطب مشتعل: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^١. فإن كان الله ولياً لأهل القسط والعدل، فهو عدو لأهل القسط والظلم. وإن الكثير من أعمالنا تتجلى على هيئة نار موقدة على ظهورنا ولكن لا نشعر بها. ومن هنا يظهر أن المصلي لا يتورط بعد الصلاة بذنب بل ويعمد من خلالها إلى النيران التي أوقدها من قبل فيطفئها.

فإن الصلاة بمنزلة النهر الجاري والعين الكثرية التي تطفئ النيران الموقدة سابقاً وتردع الإنسان عن الوقوع في النار لاحقاً. وإنما تحول دون اقتراف السيئات وتمحو ما ارتكب من الخطيئات. فهذه هي خاصية الصلاة التي أشير إليها في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^٢.

بركات صلاة النبي زكريا

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه إذا أراد الله أن يغمر عبده برحمة، يهبها له وهو في أحسن حال. وأحسن حالة أن يكون الإنسان في محراب عبادته وفي جهاده مع نفسه. فإن الله سبحانه وتعالى على سبيل المثال حينما وهب لزكريا يحيى إنما بشره به وهو في حال العبادة. قال عليه السلام: «إن طاعة الله عز وجل خدمته في الأرض، وليس شيء من خدمته يعدل الصلاة، فمن ثم نادى الملائكة زكريا عليه السلام وهو قائم يصلي في المحراب»^٣. وقد استشهد يحيى عليه السلام في سبيل الدين وعُرف بيحيى الزاهد الشهيد،

١. سورة الجن، الآية ١٥.

٢. سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

٣. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٨، ح ٦٢٣.



فمن فاز بكلتا الحسنيين و قام بالتضحية عبر السلاح في سبيل الدين، فعليه إلى جانب استخدام السلاح، التسلّح بالمعرفة التي هي سلاح العقل.

فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ قوة الأبدان أم القلوب؟ فقال: جميعاً^١. ويحيى عليه السلام الذي قال الله له: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾^٢، قد أخذ كتاب الله بقوة العقل والمعرفة وبقوة البدن كذلك، و زاد عن هذا الكتاب حتى نال الشهادة. وقد ظهرت كل هذه ببركة صلاة زكريا عليه السلام.

الصلاة و طهارة الروح

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«أول ما يُحاسب به العبد عن الصلاة، فإذا قُبِلَتْ قُبِلَ منه سائر عمله وإذا رُدَّتْ عليه رُدَّ عليه سائر عمله، فإذا صَلَّيْتُ فأقبل بقلبك إلى الله عزّ وجلّ، فإنه ليس من عبد مؤمن يُقبل بقلبه على الله عزّ وجلّ في صلاته و دعائه إلا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين إليه و أيده مع مودّتهم إياه بالجنة»^٣.

و قد عرّف القرآن الكريم الصلاة و المُصَلِّي بشكل جيد؛ فإنّ المصلّي هو البعيد عن الأموال، الخالي من الحرص و الطمع. حيث أنّ الله سبحانه حين يُبَيِّن طبيعة الإنسان المادية قائلاً: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾^٤، يقول بعد ذلك: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾^٥. فيذكر في بادئ الأمر مفاصد الإنسان

١. سورة البقرة، الآية ٦٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٢٠٩.

٣. سورة مريم، الآية ١٢.

٤. الكافي، ج ٣، ص ٢٦٨.

٥. سورة المعارج، الآية ١٩ - ٢١.

٦. سورة المعارج، الآية ٢٢.

الطبيعية ثم يقول بعدها بأن المصلين محفوظون من هذه الرذائل. ومن هنا يتضح أن الصلاة تحفظ الإنسان وتُطهره من هذه الرذائل. ولذا فإن الإنسان يستقي فضله وكماله من الصلاة؛ لأنها تستجلب للإنسان الكثير من الفضائل وتردع عنه الكثير من الرذائل.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها... وشبهها رسول الله ﷺ بالحمّة (الحمّة) تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى أن يبقى عليه من الدّرَن؟». فإن الصلاة كالعين الصافية التي يغتسل فيها المصلي في الأوقات الخمسة.

و الصلاة كوثر تُطهر الإنسان. فإن لم نشعر بهذه الطهارة إثر الصلاة في أنفسنا لا بد أن نقبل بأننا لم نوّد الصلاة الحقيقية. إذ قد تكون الصلاة صحيحة ولكنها غير مقبولة؛ لأنه لا تُقبل إلا الصلاة التي تُطهر روح الإنسان. وعندها سيتوجّه الله إليه ويُؤيده بالجنة ويُقبل عليه بقلوب المؤمنين ويجعله محبوباً لديهم.

وهل هناك ذخر أعلى من أن تتجه قلوب المؤمنين إلى الإنسان؟ فإنهم أعوانه عند الشدائد، ودعاؤهم له يؤثر فيه. فإن أراد الإنسان أن يتصدى المؤمنون لحل مشكلته يدعون ويستغفرون له، لا بد أن يتوجه بقلبه إلى الله سبحانه ولا سيما في حال الصلاة. ولا يتأتى للإنسان أن يأخذ بزمام قلبه في الصلاة إلا إذا سيطر على جوارحه خارج الصلاة. فمن حافظ عليها في خارجها لا يهجم عليه عدو الباطن في أثنائها. فالمهم أن يحفظ الإنسان نفسه في خارج الصلاة.



حكمة صلاة الليل

خطب رسول الله ﷺ يوماً بالناس وقال بعد التأكيد على الصلاة وأثر الاستدامة عليها على التطهير من الذنوب: «أيها الناس ما من عبد إلا وهو يضرب عليه بحزائم معقودة فإذا ذهب ثلثا الليل وبقي ثلثه أتاه ملك فقال له قم فاذا ذكر الله فقد دنا الصبح، قال: فإن هو تحرك وذكر الله انحلت عنه عقدة وإن هو قام فتوضأ ودخل في الصلاة انحلت عنه العقد كلهن فيصبح حين يصبح قرير العين»^١.

فيظهر أن عقد اليوم تُحلّ بصلاة الليل. يقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «إن الوصول إلى الله سفر لا يُدرك إلا بامتطاء الليل، من لم يحسن أن يمنع لم يحسن أن يعطي»^٢.

وورد بنفس المضمون حديث عن الإمام الصادق عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «نبه بالتفكر قلبك، وجاف عن النوم جنبك، واتق الله ربك»^٣. فإن التفكر يوقظ القلب، إذ قد يستولي النوم على القلب ويفقد الإنسان إدراكه. يقول علي عليه السلام: «نعوذ بالله من سبات العقل»^٤.

وصية الأنبياء بالصلاة

يقول الإمام الصادق عليه السلام حول عظمة الصلاة: «ألا ترى أن العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام قال: وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ».

١. أمالي الشيخ المفيد، ص ٢٠٩، المجلس ٢٣، ح ١٦.

٢. بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٧٩.

٣. أمالي الشيخ المفيد، ص ٢٢٩، المجلس ٢٣، ح ٤٢.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.

قالها حين سأله معاوية بن وهب عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم ويزيدهم حباً له فقال: «ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة! ألا ترى أن العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام قال: «وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ»^١، لأن المعرفة من أصول الاعتقادات ويمكن على أساسها التقرب إلى الله عبر الصلاة.

صلاة الظهر ورحمة الله الواسعة

إن لكل واحدة من الصلوات ميزة ولصلاة الظهر بين سائر الصلوات ميزة خاصة. فقد قال الله عز وجل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾^٢، وقد فُسِّرَت الصلاة الوسطى في الروايات بصلاة الظهر التي هي أولى الصلوات التي أداها رسول الله ﷺ^٣.

وقد قيل: إذا زالت الشمس عن دائرة نصف النهار وحلّ وقت الظهر، فلا تأخروا صلاة الظهر، لأن أبواب الرحمة تفتّح عند زوال الشمس. فاسألوا الله سبحانه الرحمة، ولا تتفكروا حينها بأنفسكم أو آبائكم وأمهاتكم أو أصدقائكم فحسب، بل ادعوا للجميع. فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«لك الحمد إن أطعتك ولا حجة لي إن عصيتك ولا صنع لي ولا لغيري في إحسانك ولا عذري إن أسأت، ما أصابني من حسنة فمنك يا كريم اغفر لمن في مشارق الأرض ومغاربها من المؤمنين والمؤمنات»^٤.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء و

١. الكافي، ج ١، ص ٧٥.

٢. سورة البقرة، الآية ٢٣٨.

٣. وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١١ و ٢٢.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١١٧.



أبواب الجنان واستجيب الدعاء فطوبى لمن رفع له عند ذلك عمل صالح^١. وإن من أحكام الحرب في الإسلام استحباب البدء بالحرب بعد الزوال وكره ذلك قبله^٢، إلا إذا هجم العدو، فعندها لا بد أن يرده الإنسان هجومه في كل وقت ويجب الدفاع حتى إذا هجم في الأشهر الحرم (ذي القعدة، ذي الحجة، محرم، رجب). يقول الله في كتابه: إِنَّ لِحُقُوقِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ قِصَاصَ كَمَا فِي الْمَسَائِلِ الْفَرْدِيَّةِ، فَلَوْ قَتَلَ شَخْصٌ آخَرَ ظُلْمًا يَكُونُ لِأَوْلِيَاءِ الدَّمِ حَقَّ الْقِصَاصِ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^٣، وإن هجم عليكم العدو في واحد من الأشهر الحرم فادفعوهم واقتصوا منهم في نفس الأشهر أيضاً: ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾^٤، لأن الرضوخ للظلم ذلّ والله لا يحبّ الذلّ. كما قال أمير البيان علي عليه السلام: «لا يمنع الضيم الذليل»^٥، وقال في موطن آخر: «ردّوا الحजर من حيث جاء، فإنّ الشرّ لا يدفعه إلا الشرّ»^٦.

إذن فالبدء بالحرب يكره قبل الزوال ويُسْتَحَبُّ بعده وقد ورد سرّ ذلك في كتبنا الفقهية مقتبساً من الروايات حيث قيل: «ويستحب أن يكون القتال بعد الزوال... لأن عنده تفتح أبواب السماء وتنزل الرحمة والنصر... وأجدر أن يقلّ القتل ويرجع الطلب ويفلت المنهزم»^٧، ولعل الله يهدي الكفار والمنافقين إلى الإسلام. كما أن سيد الشهداء عليه السلام في طف كربلاء كان قتاله ومبارزته بعد الزوال، وقام قبله بإرشاد الأعداء وعظهم لعدة مرات.

١. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٩، ح ٦٣٣.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٦٣؛ سنن البيهقي، ج ٩، ص ٨٠.

٣. سورة البقرة، الآية ١٧٩.

٤. سورة البقرة، الآية ١٩٤.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ٢٩.

٦. نهج البلاغة، الحكمة ٣١٤.

٧. جواهر الكلام، ج ٢١، ص ٨١.

الإنسان السماوي

إذا ارتفع العمل ارتفع العامل لأن العمل لا ينفصل عن العامل بأن يُكتب لوحده في كتاب و يرتفع بمفرده. ولا يمكن انفصال روح العمل و هي النية عن الإنسان. و إن العمل لا يشبه البخار و الدخان بل له حقيقة مرتبطة بالروح الإنسانية. و الحقيقة التي هي المنشأ لهذا العمل لا تفارق صاحب العمل بتاتاً. فإن ارتفع العمل ارتفع العامل أيضاً و عندها سيكون الإنسان رفيعاً ملائكياً و خلقه سواياً.

و قد بين أمير المؤمنين عليه السلام هذا المعنى العقلي في بيان لطيف حيث قال: «فاعل الخير خير منه و فاعل الشر شر منه»^١. فالمؤدّي للعمل الصالح أفضل من أي عمل صالح، فلو كان للصلاة فضل و هي تصعد إلى السماء يكون الأفضل منها هو المصلي لأن الصلاة هذه من فعله. و كيف يمكن أن ترتفع الصلاة و لا يرتفع المصلي و يرتفع الصوم و لا يرتفع الصائم. و المرتكب للعمل السيء أسوء من أي عمل سيء، لأن الشر أثر فاعله فكيف يمكن أن يكون الأثر أقوى من المؤثر.

و إن كانت الأعمال الصالحة ترتفع في بُعد الفضيلة فإن روح الإنسان الفاعلة لهذه الأعمال أيضاً سترتفع على اليقين.

و قد جاء في القرآن الكريم عن لسان النبي الأكرم ﷺ: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ...»^٢، و قول «تعال» يختلف عن قول «إلي». فلو تساوا شخصان في المستوى يقول أحدهما للآخر: «إلي» أي، ادن مني، و إن اختلفا و كانا من طبقتين، يقول الأعلى للادنى: «تعال» أي اصعد إلي. و هذا هو كلام الأنبياء حيث يدعون إلى الرفعة و العلو.

١. نهج البلاغة، الحكمة ٣٢.

٢. سورة الأنعام، الآية ١٥١.



و قد وردت هذه اللطيفة في تفسير البيضاوي حيث يقول هذا الأديب: «قُلْ تَعَالَوْا» أمر من التعالي وأصله أن يقوله من كان في علو لمن كان في سفلى، حيث كان ولا يزال مرسوماً بين العرب من أهل البدو أنهم يبنون بيوتاً في المناطق الجبلية وسط الجبال ويهبطون السفح المستوي للزراعة. والأطفال يشتغلون باللعب في المناطق المستوية حتى الغروب فيأتي الأبوان إلى ردهة الدار ويقولون لهم: «تعالوا».

و هذا هو كلام الأنبياء أيضاً. إذ عندما ينقل القرآن الكريم كلام النبي يقول: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي...»^١.

الميل إلى الطبيعة

يشير صدر التألهين إلى أن الإنسان الذي لم تكن حصيلة عمره سوى بناء قصر و إعداد سلسلة من الأمور المادية والمالية لا يترقى بتاتاً. فإن الأغصان المرتفعة للشجرة إنما هي فرع الشجرة لا أصلها والأصل الذي يمثل الحلق والعين والجذر والدماع والرأس إنما هو ممدوس في التراب. وكذلك الإنسان المنغمس في الطبيعة، المهتم بالدينا، الذي لا يكون همه سوى الاستخراج من الأرض وتزيينها فهو مثله مثل الشجرة المنكوسة الرأس والمرتفعة أغصانها إلى الأعلى. فأتى له الرقي؟ قد جمع تراباً على تراب، وكلما انغمس في التراب أكثر كلما ازدادت أغصانه وفروعه. ولذا تجد أغصان بعض الأشجار أعلى لأن جذورها أكثر عمقاً في التراب^٢.

و قال: إنك إنسان فكن كالملك ولا تكن كالشجرة. وارتفع وخلص نفسك من

١. تفسير البيضاوي، ج ١، ص ٣٢٦.

٢. سورة الأنعام، الآية ١٥١.

٣. تفسير صدر التألهين، ج ١، ص ١١٧.

التراب. ولكن متى نعلم بأننا ارتفعنا؟ فإنّ الإنسان الذي لا يفهم ولا يرضع فهمه على صراط العقل لا يرتفع. وإنما يعلو من جعل عقله وسيلة لعقال شهوته وغضبه و كَبَل شهوته وغضبه وغروره. فإلى متى نتّجه باتجاه التراب والطبيعة؟!

كن كالسرو والسنبله مرتفع الرأس ولا تكن كالصفصاف مطأطأ الرأس^١.
وعلى الإنسان أن لا يقارن نفسه بالفاجر والفاسق والمنافق ويقول: الحمد لله، هنيئاً لنا بأننا سلكنا هذا السبيل ولم نقع في شرك الكفر والنفاق. فقد نهى الإمام المجتبي عليه السلام عن مقارنة الإنسان نفسه بالسيئين وأهل الدنيا لأن ذلك يتسبب الخسران. بل على المرء أن يقارن نفسه بشهداء كربلاء وأصحاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام الخُلص وأولئك الذين أدوا صلاة الصبح بوضوء صلاة العشاء لمدة أربعين سنة! فإنّ الطريق مفتوح ولم يكن الوصول إلى المقام الرفيع حكرّاً على أحد، بل لا بد من علو الهمة. وقد علّمونا في دعاء كميل بأن نسأل الله في كلّ ليلة جمعة بأن يوصلنا إلى حيث لا يصل إليه أحد: «وأقربهم منزلة منك وأخصّهم زلفة لديك»، وأن لا يقتصر همّنا على عدم الدخول في النار، فإن الله لا يُجرّق الكثير من الناس في يوم القيامة كالأطفال والمجانين والمستضعفين الذين لم تصل أيديهم إلى المعارف والأحكام الإلهية، فعدم الدخول إلى النار ليس بالأمر العسير^٢.

وقد روى أمير المؤمنين عن رسول الله أنه قال: «إنّ الله عزّ وجلّ يُحبّ معالي الأمور ويكره سفاسفها»^٣ أي الوضيع والمنحط منها. والنتائج من هذا الكلام الرفيع هو تربية فتى كالحسين بن علي عليه السلام الذي علّمنا كيف يصل الإنسان إلى المراتب

١. بيت بالفارسية وهذا نصه:

چو سرو و سنبله بالا روش باش بسان بيد سوي پست منگر

٢. «وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد» (نهج البلاغة، الحكمة ٢٣٧).

٣. بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٣٢٣.

العالية و كيف يكون الشعب عالي الهمة. و قد قيل له إلى أين ذاهب و الأحوال في اليمن و الحجاز و العراق و في كثير من البقاع مضطربة، فقال: «لو لم يكن في الدنيا ملجأ و لا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية»^١.
فقد غلب الخوف في مدرسة الإمامة و لا يحق له أن يظهر أمام أولياء الله!

حبّ باطن الصلاة

قال سيد الشهداء عليه السلام في عصر عاشوراء لأخيه العباس عليه السلام: «إن استطعت أن تصرفهم عنا في هذا اليوم فافعل لعلنا نصلي لربنا في هذه الليلة فإنه يعلم أي أحب الصلاة له»^٢. فقال إني أحب الصلاة و لم يقل أنا من المصلين. (إذ أنّ الجميع يقوم بهذه الأعمال الصورية و الظاهرية، و آداب الصلاة أيضاً متيسرة لدى الكثير من الناس) إني أحبّ باطن الصلاة و حقيقتها و أريد أن أودّع هذا الحبيب.
فالمصلي و الصائم يبقى حياً إلى الأبد. و كم هناك فرق بين قول القائل: إني أصلي، و بين قول سيد الشهداء عليه السلام: إني أحبّ الصلاة.

و كان أولاد الإمام السجاد و الإمام الباقر و سائر المعصومين عليهم السلام يدؤون باللعب حين اشتغال والدهم بالصلاة لأنه عند ذلك لا يلتفت إليهم فيكونوا أحراراً في لعبهم وإن علت أصواتهم^٣.

و في ذات يوم وقع حريق في بيت و الإمام فيه ساجد فجعلوا يقولون يا ابن رسول الله النار النار، فما رفع رأسه حتى أطفيت، فقيل له بعد قعوده: ما الذي أهلك عنها؟ قال: ألهنتني عنها النار الكبرى^٤.

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩.

٢. مقتل الحسين للمقرّم، ص ٢٣٢.

٣. الأنوار البهية، ص ٤٩.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٧٨.



ولكن هل من الممكن أن يرى الإنسان النار في ذلك العالم؟ نعم، يراها. فقد قال الله سبحانه: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^١، فيتضح من ذلك أن باطن الذنب هو النار و باطن الثواب و باطن الصلاة و الصوم هو الجنة. قال: لو كنتم من أهل الطريق لرأيتم جهنم الآن. و أما الاستدلال على وجود جهنم فهو لا يعدو الألفاظ:

العالم هو الذي يرى النار بالعيان، لا الذي يقول: دلّ على النار الدخان فإن دليله هذا لدئي العاقل اللبيب أدنى في الحقيقة من دليل ذلك الطيب^٢ فإن من يقول بأن هناك قيامة و نار لدلالة الدخان عليها و أراد معرفة النار عبر الدخان فهو بلسان أهل المعنى لم يعدو الألفاظ و لم يكن عمله هذا شيئاً مهماً، وإنما المهم أن يرى الإنسان وفق الآية المذكورة باطن الذنوب و هو نار جهنم. و إن للذنوب أيضاً أحكام و آداب و حُكَم. فإن باطن الذنب النار و باطن الصلاة و الصوم الجنة.

و قد وصلت طائفة من تلامذة المعصومين (عليه السلام) إلى هذه الحُكَم. حيث روي عن حارثة بن مالك أنه قال: «كأنّي أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون فيها... و كأنّي أنظر إلى أهل النار فيها معذبين يصطرخون و كأنّي أسمع الآن زفير النار»^٣. إذن فلا تختص

١. سورة التكاثر، الآية ٥ - ٨.

٢. بيتان بالفارسية في كتاب مثنوي مولوي و هذا نصهما:

خود هنر آن دان كه دید آتش عیان فی گپ دلّ علی النار الدخان
ای دلّیت گندتر نزد لیب در حقیقت از دلیل آن طیب

٣. الكافي، ج ٢، ص ٥٣.

نسب مولوي هذه الحادثة في شعره إلى زيد بن حارثة، فإما أنه أخطأ في النقل أو نقل عن كتب أهل السنة، فإن الغزالي في إحياء العلوم (ج ٤، ص ١٥٧) و أبي الفتح في تفسيره (ج ١، ص ٤٣) نسبوا هذا القول إلى زيد بن حارثة، كما و نسب هذا القول ابن الأثير في أسد الغابة (ج ١، ص ٦٥١) إلى حارثة بن سراقه، و أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء (ج ١، ص ٢٤٢) إلى معاذ بن جبل.



معرفة أسرار العبادات بالأئمة والأنبياء عليهم السلام وإن كانت لديهم مقامات لا تطمع أفكارنا في إدراكها وإن أهل البيت عليهم السلام لا يقاسون بأي أحد، كما قال أمير البيان: «لا يُقاس بآل محمد عليه السلام من هذه الأمة أحد»^١.

* * *

القسم الخامس:

الصوم وحكمته

ذمّ البطنة

يعتبر شهر رمضان المبارك خير فرصة للوقوف على أسرار العالم، و لا بدّ في الطعام من الاكتفاء بالمقدار الذي يُؤمن طاقة الإنسان، فما من أحد يصل عبر كثرة الأكل إلى المقصد وقد ورد في التعابير الأخلاقية الإسلامية: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن»^١، فإنّ البطن إذا امتلأت أغلق طريق الفهم، والإنسان الأكل لا يفهم بتاتاً ولا يقف على أسرار العالم وباطنه على الإطلاق.

وإنّ البطنة تورث الخمول و ضعف الإرادة و مراعاة الاعتدال في الأكل تورث الصحة و طول العمر و نورانية القلب. و إنّ كثرة الأكل تبعث الروح على هضم الغذاء الزائد و البدن كذلك إلى مزيد من الأيض و التفاعل و بالتالي تسوق الإنسان سراعاً إلى الضعف و الانهيار، و إنّ من يكثر أكلهم في الأغلب لا تطول أعمارهم.

ثم إن الإكثار من الأكل يزيد في الكسل والنوم. وقد كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال لأصحابه: «هل من مبشرات؟»، يعني به الرؤيا التي توجب البشارة. فإنَّ الإنسان يلجأ إلى النوم ليفهم لا أنه يُكثر من الأكل ليطول نومه.

و روي أن رجلاً تجشأ في مجلس رسول الله ﷺ فقال: «أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا»^١.

و ورد في أحوال أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ذات يوم لمزارع له: هل عندك من طعام؟ فقال له: طعام لا أرضاه لأمر المؤمنين عليه السلام قرع من قرع الضيعة صنعته بإهالة سنخة، فقال: عليّ به. فقام إلى الربيع وهو جدول فغسل يده ثم أصاب من ذلك شيئاً... وقال: من أدخله بطنه في النار فأبعده الله^٢.

قيمة الحرية في الإسلام

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لذة ما في النداء أزال تعب العبادة والعناء»، يريد بالنداء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾^٣.

و قال رسول الله ﷺ في خطبة له في آخر جمعة من شهر شعبان: «يا أيها الناس إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم»^٤، فالناس سجناء وليسوا بأحرار و هم لا يعلمون بذلك، و قد سجنتهم ذنوبهم فعليهم بتحرير أنفسهم في شهر رمضان

١. الكافي، ج ٨، ص ٩٠.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٤١٠.

٣. الكنى والألقاب، ج ٣، ص ١٣٨.

٤. مجمع البيان، ج ٢ - ١، ص ٤٩٠.

٥. سورة البقرة، الآية ١٨٣.

٦. الأمالي والمجالس للشيخ الصدوق، ص ٨٥، المجلس ٢٠، ح ٤؛ عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٩٥.



المبارك عبر الاستغفار. والإنسان المذنب مدين وعلى المدين إعطاء رهن. ولا يُقبل هنا العقار والأرض للرهن بل تُرْتَن النفس. وإنّ من يقول: أنا أفعل ما أريد وأذهب إلى حيث أشاء وأقول ما أبغي فهو أسير الهوى وعبد الطمع وليس بحرّ. ولا شيء في الإسلام يضاهي قيمة الحرية. وروي عن علي عليه السلام أنه قال: «من ترك الشهوات كان حرّاً»^١. وقد أوصانا المعصومون (عليهم السلام) في الكثير من كلماتهم بالتحرّر، وهو من العدو الخارجي لا يتمتع بأهمية بالغة، بل المهم التحرّر من العدو الداخلي.

والطريق لمعرفة الرقبة والحرية هي أنّ الإنسان إذا اتّبع هواه فهو أسير في سجن الحرص والطمع وإن اتبع الله سبحانه فهو حرّ والإنسان الحرّ لا يُفكّر بغير الله. وإنّ من أهمّ الوظائف في شهر رمضان المبارك هو التحرّر والتخلّص. فعلى الإنسان أن يُحطّم القيود والأغلال الفولاذية التي صنعها بنفسه. والطريق للحرية هو الاستغفار وطلب العفو. ولذا قالوا: كرّر في اليوم والليلة قول «استغفر الله ربي وتوب إليه»^٢.

فاستغفروا الله في الصلاة وغيرها لأنفسكم ولغيركم ولا يكون الهدف من ذلك هو الخلاص من النار أو الدخول إلى الجنة والتنعّم فيها بل لا بد وأن يكون الهدف أسمى من ذلك.

وقد اندلعت الثورة الإسلامية أيضاً للحرية والتحرر، ولكن لا التحرّر من عبودية الله. بل الهدف منها هو عبادة الله ليس إلا، وإنقاذ الدين من حكومة الآخرين ليكون لله لا غير.

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٢٣٩.

٢. قال النبي: «إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة» (بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٤٤).

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه لمالك الأشتر أنه قال: «إن هذا الدين كان أسيراً في أيدي الأشرار، يُعمل فيه بالهوى ويُطلب به الدنيا»^١.

فإن الذين يُهزمون في الحياة الدنيا قد وقعوا في أسر النفس، يرغبون في البقاء في الدنيا ويهابون التحرر منها، وقد رفض الإسلام هذين الأصلين واستبدلها بأصلين أصيلين هما: عدم التعلق بالطبيعة وعدم الخوف مما وراء الطبيعة.

حيث قال الإمام علي عليه السلام: «ألا حرّ يدع هذه اللّماظة لأهلها»^٢. فإن ما هو موجود حالياً باسم الدنيا كالمقام والمسكن والأرض أو الثروة وما شاكلها قد استخدمتها الأجيال الغابرة وبقيت بين أسنانها وصلت اليوم إليكم. وما هو موجود على الأرض حالياً وكلّ هذه المقامات والثروات والأوهام والتخيلات إنما هي متبقية وماظّة لا بد للحرّ أن يتخلّص منها.

وقد قال الله سبحانه: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^٣، وقال أيضاً: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^٤، سوى طائفة من الأحرار: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾^٥، فإنهم يُصاحبون ويُجالسون بيمين وبركة. ولا يُتوقع منهم إلا البركة ولا يصدر منهم من عمل إلا وهو مقرون باليمين والبركة. وهذه هي أفضل نعمة دعانا الله سبحانه إلى اكتسابها.

إنّ شهر رمضان هو شهر التحرر؛ ويتحتم في كلّ يوم يمضي منه فكّ قيد من القيود التي ربطناها بأيدينا للتحرر. وإنّ أفضل طريق للتحرر هو الوقوف على حِكم العبادات.

١. نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

٢. نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٦.

٣. سورة الطور، الآية ٢١.

٤. سورة المدثر، الآية ٣٨.

٥. سورة المدثر، الآية ٣٩.



الصوم وجزاء الصائم

ورد في بعض الروايات بأن الصوم يزيل الطراوة والحيوية والبهجة في غير شهر رمضان المبارك؛ لأنها نشاط كاذب و عابر. فإن صام الإنسان وتعلّق بالصوم، توصّل شيئاً فشيئاً إلى باطنه الذي يسوقه إلى لقاء الله حيث قال سبحانه وتعالى: «الصوم لي وأنا أجزي به»^١، وليرد هذا التعبير إلا في الصوم.

ثم إنّ جميع الأشياء والموجودات في عالم الإمكان لله سبحانه، ولا يوجد في عالم الخلق شيء خارج عن دائرة ملكه؛ لأنها مخلوقة ومملوكة له. كما أن أبصارنا وأسماعنا أيضاً لله: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾^٢.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «... أعضاؤكم شهوده وجوارحكم جنوده وضمائرهم عيونه وخلواتكم عيانه»^٣. انتبهوا واعلموا أنكم في الخلوة والجلوة والسرّ والعلن في محضر الله سبحانه، وخلواتكم وجلواتكم في مشهده ومرآه.

ولا يوجد في العالم شيء إلا ويذكر الله سبحانه. وهذا الإنسان قد يكون غافلاً وقد لا يكون غافلاً. وإنّ الملائكة تعدّ أنفاس الخلائق لترى لِمَ يَتَنَفَّسُ الإنسان. وإذا كان العالم بأسره على حدّ تعبير القرآن مِلْكُ الله ومُلْكُ له^٤، فإنّ أعضاءنا وجوارحنا جنود لله كذلك: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٥.

وفي قوله: «الصوم لي» خصوصية جديرة بالالتفات والنظر.

١. روضة المتقين، ج ٣، ص ٢٢٥. قرأ البعض كلمة «أجزي» في هذه الرواية بصيغة المجهول: «الصوم لي وأنا أجزي به» أي أنا أكون جزاؤه! (راجع: النهاية لابن الأثير، ج ١، ص ٢٧٠، مادة «جزا»).

٢. سورة يونس، الآية ٣١.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٩.

٤. سورة آل عمران، الآية ١٨٩.

٥. سورة الفتح، الآية ٤.

فقد يُمسك الإنسان منذ السحر حتى الإفطار؛ وهذه هي مرتبة من مراتب الصوم و جهْدُ بأن لا يحترق بالنار في يوم القيامة أو يدخل الجنة على أكثر تقدير؛ وهي ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^١، ولكنه يُمنع الدخول في تلك الجنة التي يقول فيها: ﴿فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾^٢، فكما أنَّ للصوم حكم وأدب خاص، له حكمة وهي لقاء الله ومحبة.

وإنَّ هذا الحديث يبعث الشوق في الإنسان ليكون عاشقاً. فإنَّ الإنسان من دون اشتياق لا يسعى ومن دون سعي لا يصل. وإن كان الصوم لله، فإنَّ الله بنفسه هو الذي يتكفل بجزاء الصائم.

يذكر المرحوم المولى محمد تقي المجلسي رحمته الله الذي يعدُّ من أساطين الفقه إضافة إلى ضلوعه في كثير من المعارف الإسلامية والعلوم العقلية؛ بأنَّ الله سبحانه لم يكتف بقول: «الصوم لي» بل أردفها بقوله: «و أنا أجزي به»، ومعنى ذلك أنه قد طرح نفسه بتقديم ضمير المتكلم قبل الفعل منفصلاً وبقوله: «أنا»^٣.

كيفية الجزاء

للذين يصومون نفلاً كأولياء الله ويهبون إفطارهم لليتيم والأسير والمسكين علاوة على أنَّ لهم ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^٤، يُقال لهم: ﴿فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، لأنهم يصومون لهدف أسمى. وأما الصوم لدخول الجنة والالتذاذ بشاهاها فهو ضرب من التجارة.

١. سورة آل عمران، الآية ١٥.

٢. سورة الفجر، الآية ٢٩ - ٣٠.

٣. روضة المتقين، ج ٣، ص ٢٢٥.

٤. سورة البقرة، الآية ٢٥.



وإنّ من الفروق بين الصوم و سائر العبادات هي أنّ ملائكة الله فيها يخص باقي الأعمال يستقبلون المؤمنين عند الموت قائلين لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^١، و أما حول الصائم فيقول الله سبحانه: أنا أجزي به. وهذه لا تدخل في عداد أحكام الصوم و آدابه؛ و لذا لمرتد في سلسلة الأبحاث الواجبة و المستحبة الذي يتناولها الفقه و لم ترد كذلك في بحوث آداب الصوم؛ و إنما هي من حجّم العبادات التي تبيّن كيفية وصول الإنسان إلى مرتبة يكون الله سبحانه و تعالى هو المتكفل مباشرة بجزائه.

يقول ابن الأثير: «(الصّوم لي و أنا أجزي به) قد أكثر الناس في تأويل هذا الحديث... و أحسن ما سمعت في تأويل هذا الحديث أن جميع العبادات التي يتقرّب بها العباد إلى الله عزّ و جل - من صلاة، و حجّ، و صدقة، و اعتكاف، و تبتّل، و دعاء، و قربان، و هدي، و غير ذلك من أنواع العبادات - قد عبد المشركون بها آهتهم، و ما كانوا يتخذونه من دون الله أنداداً، و لم يسمع أن طائفة من طوائف المشركين و أرباب النحل في الأزمان المتقدمة عبدت آلهتها بالصّوم، و لا تقرّبت إليها به، و لا عرف الصوم في العبادات إلا من جهة الشرائع، فلذلك قال الله عزّ و جل: (الصوم لي و أنا أجزي به): أي لم يشاركني أحد فيه، و لا عبد به غيري، فأنا حينئذ أجزي به و أتولّى الجزاء عليه بنفسي، لا أكيله إلى أحد من ملك مقرب أو غيره على قدر اختصاصه بي»^٢.

درجات التقوى و لقاء الله

إنّ الهدف من الصوم هو الوصول إلى التقوى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^٣. و للمتقي

١. سورة الزمر، الآية ٧٣. فيما يخص روايات البرزخ راجع: تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٥٠٦ و ٥٠٧؛ بحار

الأنوار، ج ٦، ص ١٣٩؛ علم الباقين، ج ٢، ص ١٠٦٠.

٢. النهاية لابن الأثير، ج ١، ص ٢٧٠، «جزأ».

٣. سورة البقرة، الآية ١٨٣.



درجتان: الأولى هي تلك الجنة التي تضم نعماً كثيرة ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾^١ وهي للذائد الظاهرية، والثانية هي مرتبة المقام عند الله ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^٢، والكلام في هذه المرحلة لا يدور حول التفاح والكمثرى، لأن الجنات والأنهار إنما هي مأكولات ومشروبات للجسم والبدن وأما لقاء الله فهو للروح. وهذا هو سر الصوم وباطنه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «للصائم فرحتان، فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه»^٣، ويقول في موضع آخر: «للصائم فرحتان، حين يفطر وحين يلقي ربه عز وجل»^٤.

وفي بعض الأدعية يطلب الصائم من الله الجمال التام: «اللهم إني أسألك من جمالك بأجمله وكل جمالك جميل»^٥.

ويقول الشاعر نظامي كنجوي في بيان العشق المجازي والعشق الحقيقي: حين مرضت ليل في نهاية الأمر أوصت أمها قائلة: أماه أوصلي رسالتي إلى قيس و قولي له: إن أردت التعلق بأحد فلا تتعلق بموجود يفنى بجمي.

فمن المؤسف أن يتعلق الإنسان بنفسه وبغير الله وبكل ما هو متغير؛ لأن كل ما سوى الله معرض للزوال والتغير ولا يمكن أن يكون هذا هو جزاء الإنسان، فإن جزاء الصائم هو لقاء الله.

وقد قالوا لنا اطلبوا الجمال المطلق في أسحار شهر رمضان المبارك ولا تكتفوا

١. سورة القمر، الآية ٥٤.

٢. سورة القمر، الآية ٥٥.

٣. وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤٠٣.

٤. روضة المتقين، ج ٣، ص ٢٢٦؛ وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤٠٠.

٥. مفاتيح الجنان، دعاء السحر.



بالاستماع، لأن الاستماع غير الطلب. فإيا لهذا المقام الرفيع الميسور للإنسان حتى حَرَضُونَا عَلَى أَنْ نَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ نورك بَانُورِهِ وَكُلِّ نورك نَيْرٍ»، وقد عَلَّمُونَا هَذِهِ الْأَدْعِيَةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ لِأَنَّهُ يَلِيقُ بِالْإِنْسَانِ الصَّائِمِ هَذَا الْكَلَامُ وَبِمَكَانِهِ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ جَلَالِكَ بِأَجَلِّهِ وَكُلِّ جَلَالِكَ جَلِيلٍ»^١.

فَالْكَلَامُ لَيْسَ فِي الْحُورِ وَالْغُلَّامِ وَالتَّفَاحِ وَالكَثْرَى وَالْجَنَاتِ وَالنَّهْرِ، بَلِ الْكَلَامُ فِي الْكِمَالَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَهَذَا الْمَقَامُ مُتَوَافِرٌ لِلْإِنْسَانِ إِذْ لَوْلَا لَرِكَنٌ كَذَلِكَ لَمَّا أَمْرُونَا بِقِرَاءَةِ هَذِهِ الْأَدْعِيَةِ. إِذْ يُمَكِّنُ الْوَصُولُ إِلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ، لِأَنَّهُ يُمْكِنُ الصَّوْمُ نَفْلًا وَإِعْطَاءَ الْإِفْطَارِ لِأَسِيرٍ غَيْرِ مُسْلِمٍ.

فَإِنْ جِزَاءُ مَنْ أَحْكَامَ الْفَقْهَ الْإِسْلَامِي هِيَ الْأَحْكَامُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِ«الْوَقْفِ»، وَقد قَالَ الْفَقْهَاءُ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْتَطِيعُ وَقْفَ مَزْرَعَةٍ أَوْ مَلِكٍ أَوْ مَحَلٍّ لِإِمْرَارِ مَعَاشِ الْكَافِرِ وَهُوَ بِذَاتِهِ عِبَادَةٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَافِرُ حَرِيْبًا وَمَهْدُورَ الدَّمِ. وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لِكُلِّ كَبِيدٍ حَرَاءٌ أَجْرٌ»^٢، وَقد تَمَسَّكَ الْفَقْهَاءُ بِإِطْلَاقِ هَذَا الْحَدِيثِ وَقَالُوا بِأَنَّ مَنْ أَشْبَحَ حَيَوَانًا جَائِعًا أَوْ رَوَى سَبْعًا فَلَهُ الْجَنَّةُ.

فَمَنْ الْمُمْكِنُ أَنْ يَصُومَ الْإِنْسَانُ نَفْلًا وَيُعْطَى مَا صَنَعَهُ مِنْ رَغِيفٍ بِالرَّحَى لِلْأَسِيرِ قَائِلًا لَهُ: «إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ»^٣، لِأَنَّهُ «فَإَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ»^٤. وَإِنْ كَانَتْ

١. نفس المصدر.

٢. بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٧٠. يقول المرحوم المحقق الحلي: يجوز الصدقة على النذمي وإن كان أجنبيًّا لقوله ﷺ: «على كُلِّ كَبِيدٍ حَرَاءٌ أَجْرٌ» (شرائع الإسلام، كتاب الصدقة). وهذه المسألة من باب الإنسانية لا لتعزيز قوتهم ومذهبهم. والشاهد على ذلك هو أَنَّ المحقق الحلي لَا يُجَوِّزُ الْوَقْفَ عَلَى الْكَنِيسَةِ وَمَعَابِدِ أَهْلِ الْكِتَابِ. لاكتساب المزيد من المعلومات راجع: جواهر الكلام، ج ٢٨، ص ٣٠؛ بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٧٠-٣٧١.

٣. سورة الدهر، الآية ٩.

٤. سورة البقرة، الآية ١١٥.

فضة، خادمة أهل بيت العصمة حاضرة في عملية الإطعام، يظهر أن بإمكاننا الوصول إلى هذا المقام، وإن بعنا أنفسنا بثمن بخس فقد خسرنا.

قيمة الإنسان

نقل المرحوم الكليني عن الإمام الكاظم عليه السلام رواية لطيفة و للمحقق الداماد في شرحها بيان عذب.

يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها»^١.

و يقول المرحوم المحقق الداماد: «جعل عليه السلام الجنة ثمن البدن، إشارة إلى أن ثمن جوهر النفس المجردة هو الله سبحانه فكأنه عليه السلام قال: أما إن أبدانكم ثمنها الجنة فلا تبيعوها و أما نفوسكم المجردة و أرواحكم القدسية فإنما ثمنها هو الله سبحانه و الفناء المطلق فيه و في مشاهدة نور وجهه الكريم فلا تبيعوها بغيره»^٢.

فإن باطن الصوم يظهر بصورة لقاء الله و لا تفترض للإنسان همة أعلى من لقاء الله. لأن الإنسان موجود أبدي لا يفنى أبداً، بل ينتقل في نهاية المطاف من عالم إلى آخر. فإن حاز على باطن الصوم فهو في محضر الحق على الدوام، من دون أن يصيبه سأم و ضجر من هذا الحضور الدائم. فإن الرتبة في الجنة غير مقرونة بالملل بل و لا يوجد ملل و لا كلل فيها؛ سواء كانت الجنة الظاهرية ﴿جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أو الجنة المعنوية.

و إن الإنسان يشعر بلذة الشبع من دون تذوق السأم و التعب و العطش و الجوع، لأن الجنة تختلف في حالاتها عن الدنيا.

١. الكافي، ج ١، ص ١٩، ح ١٢.

٢. تعليقة الميرداماد على أصول الكافي، ص ٣٨.



دور الصوم في حل الصعاب

تواجهنا في مسيرة حياتنا صعاب ومشاكل وقد أمرونا بالصوم في تلك الشدائد. ومعنى ذلك أننا إذا طلبنا الاستعانة من الله سبحانه في كل صلاة عدة مرات قائلين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فقد علمنا الله طريق الإعانة أيضاً، إذ لا يتم ذلك عبر التفوّه بالاستعانة فيعيننا من دون عمل، بل أرشدنا إلى طريق ذلك قائلاً: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾، وقد تم تفسير هذا الصبر وتطبيقه على الصوم وورد في الحديث: «إذا نزلت بالرجل النازلة والشديدة فليصم»^١.

ولا يقتصر هذا الأمر بالحرب بل يرد في كل نازلة وشدة تحلّ بالإنسان. فما هو دور الصوم في حلّ الشدائد؟ وإلى أين يوصل الإنسان حتى يتغلب على الصعاب؟ وهذا هو الإمساك الظاهري؛ وأما الصوم فله حكم حيث يأخذ بالروح إلى مقام رفيع والروح العالية مهيمنة على الطبيعة.

فإن صام المرء لله يتولى الله تسهيل صعابه لأن الأمور بيده فقد قالوا: «يَا مُسْهِّلَ الْأُمُورِ الصَّعَابِ»^٢، وقال الله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾^٣، فإن الله يُيسر الأعمال لمن يسير في الصراط المستقيم وقد بين لنا نماذج من ذلك في الأنبياء العظام.

فإن موسى كلم الله حين طلب من الله قائلاً: ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾^٤، أجابه الله:

١ . سورة البقرة، الآية ٤٥ .

٢ . الكافي، ج ٤، ص ٦٣ .

٣ . دعاء ورد على لسان الكبار من الحكماء .

٤ . سورة الليل، الآية ٥ - ٧ .

٥ . سورة طه، الآية ٢٦ .

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾^١، فأعطاه ما طلبه منه من تيسير الأمور للإطاحة بفرعون الطاغية وأعطاه كل ما سألته منه من شرح الصدر وحل عقدة اللسان وإشراك أخيه في أمره ووزارته له وجعله ممن يوحى إليه.

وقال أيضاً في رسول الله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^٢.

فقد بين لنا القرآن هذه الطرق؛ لأن الصوم قوي بدرجة يجعل الإنسان بإذن الله مهيمناً على عالم الطبيعة.

الملائكة و الدعاء للمصائم

إن الملائكة موكلون بالدعاء للمصائم؛ قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى وكل ملائكة بالدعاء للمصائمين، وقال: أخبرني جبرئيل عليه السلام عن ربه تعالى ذكره أنه قال: ما أمرت ملائكتي بالدعاء لأحد من خلقي إلا استجبت لهم فيه»^٣، وإن دعاء الملائكة للإنسان طلب الخير والصلاح له.

بالاجتهاد يصل الإنسان إلى مرتبة الملائكة كما تبدل ورقة التوت تدريجياً إلى حرير^٤.

فإن تبدل ورقة التوت في هذا العالم إلى حرير وتستطيع دودة القز أن تصنع من ورقة التوت الإبريسم، فيمكن كذلك أن يصبح الإنسان ملكاً، والتكامل ميسر كصناعة دودة القز الحرير من ورقة التوت!

١. سورة طه، الآية ٣٦.

٢. سورة الانشراح، الآية ١ - ٤.

٣. روضة المتقين، ج ٣، ص ٢٢٨.

٤. بيت بالفارسية في ديوان سنائي وهذا نصه:

برگ توت است به تدریج کنندش اطلس

تو فرشته شوی از جهد کنی از پی آنک



يقول الله سبحانه: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَانُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾^١، والله أعلم بظواهرها لأن للفرش بطانة تقع على الأرض وظهرها يجلس عليها الإنسان، والفرش الجنة بطائن وظواهر، بطانتها من حرير وإستبرق ولكن ما هي ظواهرها؟ إذ لا يوجد في عالم الطبيعة شيء أسمي من الحرير والإستبرق حتى يحرضونا به. ولذا لم يذكر ظاهراتها فلا بد أن نذهب ونرى بأعيننا.

وهذه الفُرُش التي بطانتها من حرير لم تُنسج بواسطة دودة القز، بل نسجها الصوم والصلاة. فإن الحرير المنسوج بواسطة دودة القز، يتضرر بدودة أخرى؛ وأما الفرش المنسوج بالصلاة والصوم لا يتضرر أبداً. علماً بأن هذه الفُرُش من اللذائذ الجسمانية. وأما «جنة اللقاء» التي لا تُثَمَّنُ فهي باطن الصوم حيث قال: «الصوم لي وأنا أجزي به»^٢، وإن الذي يسأله الملائكة للصائمين هو باطن الصوم.

يقول الله حول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾^٣، فالملك الموكل بالدعاء للعباد المخلصين الصائمين هو غير الملك الموكل بالدعاء لغير الصائمين. كما وأن درجات الملائكة وأدعيتهم متفاوتة.

فإني أي درجة نتعرض نحن لباطن الصوم بحيث أن لا تقتصر على صوم ظاهرها والإمساك عن الطعام والشراب فحسب، بل لابد وأن يصوم سرنا وباطننا كذلك؟ وأن نمنع الخواطر المبعوضة لدى الله أن تخطر في القلب. فلا نحمل الضغائن في قلوبنا لأحد، ولا يُتَصَوَّر أن الخواطر إن مرّت عابرة من قلوبنا فإن الله سبحانه لا يعلم بها أو أنها لا تسود قلب الإنسان.

١. سورة الرحمن، الآية ٥٤.

٢. روضة المتقين، ج ٣، ص ٢٢٥.

٣. سورة الصافات، الآية ١٦٤.

و هناك فرق بين صوم العوام و الخواص و الأخص. فلو صمنا و بتنا نفكر لا سامح الله بأذى أحد أو بالوصول إلى مقام و منصب أو لرعد أنفسنا إن تقلدنا منصباً أن لا نولي له أهمية، لرصم باطننا و من أجل ذلك لم نصل إلى باطن الصوم.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك و تعالى و كل ملائكة بالدعاء للصائمين، و قال: أخبرني جبرئيل عليه السلام عن ربه تعالى ذكره أنه قال: ما أمرت ملائكتي بالدعاء لأحد من خلقي إلا استجبت لهم فيه»^١.

طيب فم الصائم

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أوحى الله تبارك و تعالى إلى موسى عليه السلام: ما يمنعك من مناجاتي؟ قال: يا رب أجلك عن المناجاة لخُلف فم الصائم، فأوحى الله عز و جل إليه: يا موسى، لخُلف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك»^٢.

ألا يريد الإنسان أن يكون مُطيباً و مُعطراً في ذلك العالم، و لا يوجد هناك خبر عن الغزال و سُرّة الغزال ليفوح منها العطر، بل هناك الصوم هو الذي يُعطر الإنسان. فإن باطن الصوم يظهر على هيئة عطر على الجسد و أما ما فوق ذلك فلا يعلمه إلا الله سبحانه.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من صام يوماً في الحرّ فأصابه ظمأ و كل الله عز و جل به ألف ملك يمسحون وجهه و يشربونه حتى إذا أفطر قال الله عز و جل: ما أطيب ريحك و روحك، يا ملائكتي اشهدوا أي غفرت له»^٣.

١. روضة المتقين، ج ٣، ص ٢٢٨.

٢. روضة المتقين، ج ٣، ص ٢٢٩.

٣. نفس المصدر.



فإن باطن الصوم يسوق الإنسان إلى مرتبة يكون فيها مخاطباً لله، فإن كان حتى الآن يقول: «يا الله» للبعيد، سيقول الله له من الآن فصاعداً: «يا عبدي».

وإن دعا الله شيئاً بالعظمة فلا يمكن أن يُشَبَّه بَسْرَةِ الغزال، «فإن المسك بعض دم الغزال»، ولا يُقاس بالعطر الذي يذكره الله سبحانه.

ومن جانب آخر فقد ورد في مواضع عدة من القرآن الكريم بأن الملائكة يضربون البعض على وجوههم وأدبارهم عند الموت: «يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ»^١.

إن للمرحوم الشيخ محمد علي الشاه آبادي، أستاذ الإمام الخميني عليه السلام في العلوم العرفانية كتب نافعة، منها «شذرات المعارف» يقول فيه: إن الذين يقع عليهم ضرب الملائكة عند الموت هم الذين لم يقوموا بعمل ولم يتعلموا، فيقوم الملائكة الموكلون بالدنيا بضربهم بشدة على أدبارهم قائلين لهم: اخرجوا من هنا فقد انتهت وقتكم في الدنيا. ويقوم الملائكة الموكلون بذلك العالم بضربهم على وجوههم لأنهم يرون هذا الشخص قد وفد عليهم بيد خالية ووجه أسود قائلين له: لماذا أنت خلوا اليدين مع أنك عشت عمراً في الدنيا؟^٢

رمضان شهر الله

نقل علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه الطاهرين عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ خطبنا ذات يوم فقال: أيها الناس قد أقبل إليكم شهر الله^٣. و ذلك لأن الكلام في هذا الشهر عن صوم الله، فإن الصوم لله والشهر هذا هو شهر الصوم، فأطلق على شهر رمضان المبارك «شهر الله». كما أن شهر رجب هو «شهر

١. سورة الأنفال، الآية ٥٠.

٢. راجع شذرات المعارف، ص ٦٤.

٣. الأربعين للشيخ البهائي، ص ١٧٩، ح ٩.

الولاية» و شهر شعبان أيضاً هو «شهر النبوة و الرسالة». و من هنا فنحن نسأل الله في أدعية شهر رجب أن يُوفّقنا للعبادة في شهر رمضان المبارك لنتهيأ أرضيتها من شهر رجب، و ما دام الإنسان لم يَطوِ بعض المقدمات، لا يستطيع إدراك عظمة شهر رمضان المبارك.

و ورد في رواية: «لا تقولوا هذا رمضان، و لا ذهب رمضان و لا جاء رمضان، فإن رمضان اسم من أسماء الله عزّ و جلّ»^١، بل قولوا: جاء شهر رمضان و ذهب شهر رمضان. فإنّ شهر رمضان في الحقيقة هو «شهر الله». فإن لم يصل الإنسان في شهر الله إلى لقاء الله، لم يدرك باطن الصوم، بل صام على مستوى الطبيعة و لا يكون جزاؤه إلا بنفس ذلك المستوى.

و قال ﷺ: «بالبركة و الرحمة و المغفرة» فاستقبلوه و استعدّوا له لتدركوه بشكل صحيح.

و إنّ البركة هي الخير الدائم. و يُطلق على الوهاد التي تجتمع فيها المياه في الصحاري «البركة». و الرحمة و المغفرة لا تختص بغفران الذنوب؛ فإنّ الله سبحانه يُطلق على تلك الدرجات العالية بالرحمة أيضاً، علماً بأنّ الرحمة الخاصة مختصة بالمؤمنين: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٢. و اكتساب هذا النوع من الرحمة يتيسّر في شهر رمضان المبارك.

و قال في تمة كلامه: «شهر هو عند الله أفضل الشهور»، و قد عيّن الله فضل هذا الشهر. فكما أن الإنسان المتقي و الورع يكون أكرم عند الله، كذلك الشهر الذي تزيد فيه البركة و الرحمة و المغفرة يكون أفضل الشهور.

١. تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ١٦٦، في وجه تسمية رمضان و راجع أيضاً: مجمع البحرين، ج ٢، ص ٢٢٣، مادة «رمض».

٢. سورة الأعراف، الآية ٥٦.



و هناك في شهر رمضان المبارك أمران:

١ - عام: بأن يعتبر الإنسان جميع الشهر أمراً واحداً و ينوي له و ذلك بأن ينوي في الليلة الأولى منه أن يصوم إلى آخر الشهر.

٢ - خاص: بأن يكون لكل يوم منه تكليف مستقل و منفصل أيضاً. «و أيامه أفضل الأيام و لياليه أفضل الليالي و ساعاته أفضل الساعات».

و قوله: قد أقبل إليكم شهر الله، يتناسب مع الحديث الشريف «الصوم لي»، فإن كان الصوم لله يكون هذا الشهر أيضاً شهر الله. و بنفس تلك النسبة تكون سائر الأعمال علاوة على الصوم لله أيضاً كأدعية الأسحار و العبادات الأخرى لأن هذا الشهر هو شهر الله، فإن كان كذلك، تكون أعمال هذا الشهر برمتها سواء أدعية الليل و السحر أو عبادات اليوم و الصوم كلها لله.

شهر رمضان و التخلّق بأخلاق الله

قال: «هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله»، و على الضيف أن يماثل عمله رب البيت. فإن الصائم ضيف ربّ «يُطْعَم و لا يُطْعَم»، فيمكنه أن يكون كذلك «يُطْعَم و لا يُطْعَم». و إن كان الله سبحانه يُعطي و لا يأخذ، فلا بد للإنسان في هذا الشهر أن تكون خصلته الإعطاء لا الأخذ؛ إذ لا يد أفضل من اليد المُعطية و لا يد أدون من اليد الآخذة. لأن الله يبغض خصلة الاستجداء و يحبّ خصلة الإعطاء. فإن حاول أحد أن يذهب الآخرون من جنب مائدته إلى الجنة تكون يده يدٌ مُعطية، و إن سعى أحد لأن يذهب إلى الجنة ببركة الآخرين تكون يده يدٌ آخذة.

١. قال الإمام الصادق عليه السلام: «اذكر اسم الله عزّ و جلّ على الطعام فإذا فرغت فقل: الحمد لله الذي يُطْعِم و لا يُطْعَم» (الكافي، ج ٦، ص ٢٩٤).

ومن كلمات رسول الله ﷺ الرفيعة التي لم يسبقه أحد بها هي: «اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى»^١، فإنَّ الإنسان إن أعطى تكون يده هي العليا وإن أخذ تكون هي السفلى.

وإنَّ من الأدعية في ليالي شهر رمضان المبارك هي امتلاك مثل هذه الروح حيث نقول لله تعالى: إلهي أنت الذي تحفظ دينك ولا تتركه فوقني لإحياء دينك على يدي، لا أن يقوم بإحيائه الآخرون وأنا أجلس إلى جانب مائدة الدين. ووقفتي لإحياء الصلاة والصوم على يديّ وعبر دمي ويكون الآخرون ضيوف مائدتني، لا أن يجاهد الآخرون ويسفكون مائتهم لإحياء الدين وأنا أصلي وأصوم. «واجعلني ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري»^٢.

وقد هدّد الله سبحانه طائفة قائلاً لهم: أنا أدافع عن ديني ولا أتركه ولكنكم إن لم توفّقوا لإجراء هذا الفيض فسأستبدلكم بقوم غيركم: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمُ﴾^٣. فإنَّ الله لا يترك دينه إن اصطفّ الأعداء أمام الإسلام وسيتولى حفظه على اليقين. فإن لم يتم حفظ الدين على أيديكم وفقدتم الخلوص، سيُبعدكم ويأتي بقوم غيركم.

وبالاستناد إلى هذا التهديد والتعليم القرآني أوصونا بأن نقول في ليالي شهر رمضان المبارك: «واجعلني ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري» فهذه هي اليد المعطاء والهمة العالية.

وفي أدعية هذا الشهر عرّفوا لنا ربّ البيت: «و هو يُطْعِم ولا يُطْعَم ويُجِير ولا

١. الكافي، ج ٤، ص ١١.

٢. مفاتيح الجنان، أعمال ليالي شهر رمضان، الدعاء الثالث عشر.

٣. سورة محمد، الآية ٣٨.



يُجار عليه^١، أو: «يُهلك ملوكاً ويستخلف آخرين»^٢، ثم قالوا لنا أنتم ضيوف لمثل هذا الرب.

شهر رمضان و طلب كرامة

و قال أيضاً: «و جعلتم فيه من أهل كرامة الله»، فاطلبوا الكرامة في هذا الشهر؛ لأن الله لا يريق ماء وجه الإنسان الكريم و يحفظ كرامته إلى الأبد. و إن الكرامة هي الصفة الخاصة بالملائكة فهم عباد مكرمون^٣، و قد دعيتم أنتم كذلك إلى مائدة الكرامة فحاولوا أن تتصفوا بها.

و الكرامة هي النزاهة عن الدناءة و الحقارة؛ و إن جميع تعاليم الإسلام تهب للإنسان روح الكرامة لأنها نزلت من عند الله الكريم. يقول علي عليه السلام: «من وجد ماءً و تراباً ثم افتقر فأبعده الله»^٤، فإن هذا الكلام يدعو إلى الإنتاج و الابتعاد عن البطالة، حيث أن الإمام يلعن الشخص أو الجماعة العاطلة و يهب للأفراد روح الكرامة.

و يستدل أيضاً في نهج البلاغة بصورة منطقية قائلاً: «و لقد كان في رسول الله ﷺ ما يدل على مساوى الدنيا و عيوبها إذ جاع فيها مع خاصته و زويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فليُنظر ناظر بعقله أكرم الله بذلك أم محمداً أم أهانه فإن قال أهانه فقد كذب و الله العظيم بالإفك العظيم و إن قال أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له و زواها عن أقرب الناس منه»^٥، و من يلتهى بالمال لا يسعى

١. بحار الأنوار، ج ٦٣، ص ٣٨١.

٢. من فقرات دعاء الافتتاح.

٣. ﴿... يَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يُعْمَلُونَ﴾، سورة الأنبياء، الآية ٢٦ - ٢٧.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٦٥.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.

لاكتساب المعارف.

ولم يتناف هذا التحليل مع ما ورد في سورة الفجر حيث جاء فيها: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾^١، ولم يقل بأن الذي عنده مال فهو ليس بحقير. وحصيلة ما ورد في نهج البلاغة هو أن من بسط الله له الدنيا سيقضي كل عمره في الصرافة وليعلم أنه مطرود من عناية الله.

وإن الكرامة لا تُحدّ بحدود الاعتبارات الدنيوية، وكل ما انطلى عليه طابع الدنيا فهو لا يورث الكرامة بل ويوجب الدناءة أيضاً.

وقد ورد في الأخبار - على ما يبدو عن الإمام السجاد عليه السلام - بأنه إذا جرى الكلام في القرآن عن العلم والمعرفة والتوحيد، قرن الله أصحاب هذه النعم بالملائكة وإن دار الكلام عن المأكّل والملبس و... قرن الله أصحابها بالأنعام فقال في الطائفة الأولى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾^٢، حيث ذكر العلماء إلى جانب الملائكة.

ولكن إذا جرى الكلام عن الأمور المادية قال: ﴿... أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغَطَّسَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالُ أَوْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾^٣، وقال أيضاً: ﴿كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ﴾^٤.

فلو صرف الإنسان عمره للدنيا أكثر مما يحتاج إليه لحفظ كرامته فقد خسر وصار

١. سورة الفجر، الآية ١٥ - ١٦.

٢. سورة آل عمران، الآية ١٨.

٣. سورة النازعات، الآية ٢٧ - ٣٣.

٤. سورة طه، الآية ٥٤.



وبالآ عليه. إذ أنّ الإسلام يأمرنا من جانب بعدم التعلّق بالدنيا ويوصينا من جانب آخر بالحياة الكريمة وبالإنّاج من أجل كرامة المجتمع الإسلامي وبالسعي والجهّد لعزة النفس والمجتمع الإسلامي وإشراك الآخرين في هذا النّاج. وقد روي أنّه بعد أن حفر عليّ عليه السلام قناة أو بئراً بتعب وعناء أوقفها وقال: «هذه صدقة»^١.

قبول العمل وتقبّل الصّالح

ويقول في تمة الخطبة الشعبانية: «أنفاسكم فيه تسبيح»، فكأنّه يقول في كلّ نفس يخرج منه: «سُبّوح قدّوس».

«و نومكم فيه عبادة و عملكم فيه مقبول» و قبول العمل مقدّمة لأن يتقبّل الله الإنسان نفسه. ولذا تجد في القرآن الكريم نمطين من التعبير:

١. أنّ الله يقبل عمل البعض.

٢. أنّ الله يتقبّل البعض، لا أنّ يكون عملهم مقبولا فحسب.

إذ أنّ البعض له عمل صالح والبعض الآخر صالح بذاته. فمن كان من ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^٢، وكانت له أعمال صالحة ولكنه لم يصل بعد إلى مقام الصّلاح في ذاته فهو قد يتعرّض للخطر.

و أما الطائفة الثانية فهم من «الصّالحين»، كإبراهيم الخليل عليه السلام الذي يقول القرآن في شأنه: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^٣، فالصّالح هو الصّالح في جوهر ذاته و هو الذي يكون مقبولا عند الله.

١. الكافي، ج ٧، ص ٤٩.

٢. سورة البقرة، الآية ٢٥.

٣. سورة النحل، الآية ١٢٢.

فقد قال الله سبحانه في شأن السيدة مريم عليها السلام: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَلْبَسَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾^١، ولم يقتصر قبوله على عباداتها وصلاتها وصيامها؛ إذ أنه يقبل صلاة الآخرين وصيامهم؛ بل أنه يتقبل جوهر ذات الشخص الكريم، وقبول العمل طليعة لوصول الإنسان إلى أن تكون ذاته مقبولة كذلك.

الصوم والإيمان بيوم القيامة

لما يتمتع به شهر رمضان المبارك من أهمية بالغة، قال النبي في شهر شعبان — حاشاً على الاستعداد والطلب من الله بدرك شهر رمضان الذي ملؤه البركة والرحمة والمغفرة: «فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه. فإن الشقي من حُرِمَ غفران الله عزَّ وجلَّ في هذا الشهر العظيم. اذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه»^٢.

وقد ورد في بعض الروايات حول فضل الصوم بأنه سبب لأن يشعر الإنسان بالجوع ويحس بالمر الفقير الجائع^٣. وهذا هو من باب التكلم على قدر عقولنا ومن الخطأ الأولى وإلا فلماذا يكون الإنسان شعباناً على الدوام وإلى جانبه شخص جائع؟ فإن في يوم القيامة ثمة طائفة جائعة حقيقة، يأكلون الطعام ولكنهم لا يشبعون أبداً كما أنهم كانوا لا يشبعون في دار الدنيا أيضاً. إذ ليس للحرص والطمع زوال وانتهاء وهو يظهر في الآخرة على صورة ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾^٤.

١. سورة آل عمران، الآية ٣٧.

٢. الأربعين للشيخ البهائي، ص ١٧٩، ح ٩.

٣. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٧٣.

٤. سورة ق، الآية ٣٠.



ومن هنا قال النبي: «اذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه» وليريقل جوع الآخرين وعطشهم فإنّ هذا ما لا بد من تأمينه في المراحل الأولى.

التصدّق والإطعام

لقد ورد في بعض الأخبار عن المعصوم عليه السلام بأن المؤمن كريم وإن كان فقيراً، والفقر ليس بذل؛ فإنّ الخزي والضعة أمر مشين وقد يقترن بالغني. وقد دارت شبه مناظرة بين علي بن أبي طالب والخضر عليه السلام فقال الخضر عليه السلام: «ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله»، وقال الأمير عليه السلام: «وأحسن منه تبه الفقراء على الأغنياء اتكالاً لما عند الله»، فإنّ الفقير الذي لا يعتني بالأغنياء يكون قد أتكّل على الله وهي بذاتها كرامة أسمى من التواضع. ثم يقول النبي في تمة الخطبة وبيان وظائف الصائمين: «وتصدّقوا على فقرائكم ومساكينكم»، ولا بد أن يكون التصدّق هذا مقروناً بالاحترام وقصد القرية لا بالتحقير والترحم.

وفي مقطع آخر من هذه الخطبة، دعا النبي ﷺ الجميع إلى إطعام الصائمين: «أيها الناس، من فطر منكم صائماً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة - فقليل يا رسول الله وليس كلنا نقدر على ذلك فقال ﷺ: - اتقوا النار ولو بشق تمرة» ولعل علة العتق (لأن الصائم قد حرّر نفسه).

حيث كانت تلك الفترة فترة عصبية ولربّما كان يُحسب شق التمرة إفطار أيضاً، فقد كان يُجَيِّم الفقر أحياناً على المسلمين إثر أحداث طارئة كأصحاب الصفة الذين كانوا لا يتمتعون بأبسط الإمكانيات، وكان يقع المسلمون أحياناً ولمدة مديدة في حصار اقتصادي وعسكري. واستمر الوضع على هذا المنوال بعد ذلك أيضاً وبات

أهل الباطل تبريراً لفقر الناس و ثروتهم يُروّجون مذهب الجبر^١.

ففي يوم خطب معاوية مدّلساً في جمع من الناس مخدّره من الاعتراض عليه في عدم توقّر ما يحتاجونه أو ارتفاع الأسعار و قال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^٢، فعلام تلومونني إذا قصّرت في إعطائكم؟ (هنا يضعف عن الجواب من ليرقّر القرآن و ليرى عنده نصيب من فهمه) فقال الأحنف بن قيس: إنا و الله ما نلومك على ما في خزائن الله و لكن على ما أنزله لنا من خزائنه فجعلته أنت في خزائنك و حلت بيننا و بينه (فماذا تخلط بين المفاهيم).

فلو وقف الجميع على وظائفهم و لم يعتمد البعض كالفتران إلى الادّخار و الاحتكار لما وقع سائر الناس في مشكلة. فإنّ البعض في يوم القيامة يُحشرون على هيئة نمل و فأر لأنّ صفات هذه الحيوانات كانت في دار الدنيا قد ترسّخت في نفوسهم.

توقير الكبار و العطف على الصغار

«وَقَرُّوا كِبَارَكُمْ و ارحموا صغاركم»، و الكِبَر ليس بالعمر فحسب؛ فمن كان أعظم منزلة و أصغر سنّاً يتوجّب احترامه و إكرامه.

١ . لقد كان لبني أمية و بني العباس دور هام في ترويح مذهب الجبر و استخدام هذه الحرية لتحكيم أسس سلطتهم. حيث كانت حكومة بني العباس يدعمون الأشاعرة القائلين بالجبر و يقفون بوجه المعتزلة القائلين بالتفويض و كذا بوجه الإمامية الذين لا يعتقدون بالجبر و التفويض و ذلك بعدم إدخالهم في السلطة. و كان يُقوَّى هذا المذهب لتبرير جرائم الهيئة الحاكمة. و نجد اليوم أيضاً طائفة من وعّاظ السلاطين أشعريون في أصول الدين و المسائل الكلامية و وهابيون و حنبليون في فروع الدين و المسائل الفقهية.

٢ . سورة الحجر، الآية ٢١.

سُئِلَ العباس، عَمَّ النبي ﷺ: «أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟» قال: هو أكبر وأنا أسنّ، أو «هو أكبر وأنا وُلِدْتُ قبله» وهذا هو الأدب في الكلام.

فلا بد في شهر رمضان المبارك من العطف والملاطفة مع من هو تحت تكفلنا وقد يتحدّد الأدنى والأعلى في يوم القيامة: «إنّ الفقر والغنى بعد العرض على الله»^١.

فكم من راجل يأتي هناك راكباً وكم من راكب يأتي هناك راجلاً
وكم من أسير يأتي هناك أميراً وكم من أمير يأتي هناك أسيراً.

حفظ اللسان

«وصلوا أرحامكم واحفظوا ألسنتكم» ولا تقتصر مراعاة هذه الأمور خلال النهار وحين الصوم بل لابد من مراعاتها طوال الشهر أيضاً. إذ أنها ليست من آداب الصوم بل هي من آداب شهر الصيام. فلا كلام في أن الصائم مكلف بحفظ لسانه و لكنه إذا حان الليل فهل بإمكانه التكلم بما يشاء؟ قال: احفظوا ألسنتكم طيلة هذا الشهر.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه الطاهرين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام وعنا نفسه بالصيام والقيام»^٢، فحفظ اللسان يستوجب معرفة الله، ومن عرف الله وعظّمه لا يرد على لسانه كلّ كلام أمام الله العظيم ولا يُلَوِّث بطنه بكل طعام وإن لم يكن حراماً فإنّ لذة

١. كحل البصر في سيرة سيد البشر، ص ٥٨.

٢. نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٢.

٣. بيتان بالفارسية وهذا نصها:

بسا پیاده که آنجا سواره می آید بسا سواره که آنجا پیاده خواهد شد

بسا اسیر که آنجا امیر می آید بسا امیر که آنجا اسیر خواهد شد

٤. الأربعين للشيخ البهائي، ص ٧٦، ح ٢.

الأكل لا تجتاز اللحظات التي يكون الطعام فيها داخل الفم، ومن عرف الله لا يجلس عند كل مائدة، ويُري بالصوم نفسه ولا يغفل عنها.

كتب رجل من طلاب النصيحة إلى أبي ذر: يا أبا ذر أظرفني بشيء من العلم، فكتب إليه أن العلم كثير ولكن إن قدرت أن لا تسيء إلى من تحبه فافعل، فقال: هل رأيت أحداً يسيء إلى من يحبه؟ فقال: نعم، نفسك أحب الأنفس إليك فإذا عصيت الله عز وجل فقد أسأت إليها^١.

فمن حفظ لسانه ومنع بطنه من كثرة الأكل أو أكل كل شيء وصام وصلى فهو مؤمن عادي وليس من أولياء الله. فإن أولياء الله هم أهل التأمل والتفكير والتعمق. يجانبون الكلام وإن نطقوا كان نطقهم ذكر الله^٢. إذ يُقال للمؤمن العادي: تكلم قليلاً، ويُقال للمؤمن العارف: تكلم كثيراً واهدِ الناس وذكرهم بالله.

قيمة اكتساب العلم

لقد أدرك رسول الله ﷺ عدة آلاف^٣؛ وكان كلهم من جانب و علي بن أبي طالب عليه السلام من جانب آخر. وقد شهد النبي ﷺ اثني عشر ألف صحابي وجلسوا تحت منبره سنين عديدة واثتموا به في الصلاة سنوات مديدة وحضروا مجالس درسه وبحته كراراً ولكنهم لم يستفيدوا منه ولم يتحدثوا بمثل علي عليه السلام. فقد كان ديدنهم أن يأتون النبي و يجلسون لفترة عند مجلس درسه ويتباهون بذلك ابتهاج و سرور

١. إرشاد القلوب، ج ١، ص ٣٤٥.

٢. قال رسول الله ﷺ: «إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، ونظروا فكان نظرم عبدة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لولا الأجل التي كتب الله عليهم لم تستقر (نقر) أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب»، (الكافي، ج ٢، ص ٢٣٧).

٣. أسد الغابة، ج ٤، ص ٨٧.



لكنه عابر وزائل؛ وأما علي عليه السلام فقد كان ملازماً للنبي في كل مكان: «وضعتني في حجره وأنا ولد... كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه»^١.

و روي أن رجلاً من الأنصار كان يجلس إلى النبي ﷺ فيسمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه فشكا ذلك إلى النبي، فقال له رسول الله ﷺ: «استعن بيمينك» وأما بيده أي خطاً^٢.

و كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا قدم من السفر أتى رسول الله ﷺ وسأله عن نزول الآيات وفحواها وتفسيرها. أو كان يبعث إليه رسول الله بعد قدومه من السفر ويخبره بالآيات التي نزلت في غيابه وفحواها ومعناها. فلم يكن كل أولئك الأصحاب الاثني عشر ألف من أولياء الله بأن يكون كلامهم ذكراً و....

يصف الله البعض في القرآن الكريم بأن له نوراً قائلاً: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^٣، فيتشعشع منه النور حين يمشي بين الناس؛ وكلامه وعمله وسلوكه نور. إذا جالسه المرء يتذكر الله سبحانه؛ إذ لا يتكلم عن المتاع والمأكّل بل يتحدث عن الآيات والروايات. وكذلك كان مجلس رسول الله ﷺ المبارك.

فلا يوجد شيء في ليالي القدر يضاهي اكتساب العلوم الإلهية والتحدث بالمعارف الدينية. فعلى المرء أن ينظّم أو يشارك في برامج كجلسة التفسير أو الحديث أو الأحكام التي هي سعادة وتوفيق بحدّ ذاتها، وإلا فليأمر بالمعروف وينه عن المنكر وإن لم يستطع فليذكر الله على الأقل.

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

٢. بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٥٢.

٣. سورة الأنعام، الآية ١٢٢.

فإن من أفضل الكتب الفقهية لدى الإمامية وأهمها هو كتاب الجواهر الذي كتبه مؤلفه الجليل خلال ثلاثين عاماً. إذ يقول في نهاية كتابه: تم كتاب جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام في ليلة الثلاثاء ثلاثة وعشرين في شهر رمضان المبارك، ليلة القدر التي كان من تقدير الله تعالى فيها أن يتفضل علينا بإتمام الكتاب. فقد كان هذا الفقيه الجليل مشغولاً بكتابة الجواهر في الليلة الثالثة والعشرين التي هي أفضل من جميع ليالي شهر رمضان المبارك وحتى من الليلة الحادية والعشرين والتاسعة عشرة.

فلا يوجد شيء أعلى من أن يكون الإنسان عالماً عارفاً. لأن العلم هو الذي يهيء الأرضية للوصول الإنسان إلى «العقل»، والإنسان العاقل في راحة وقرار ولا يقع في اضطراب وعذاب أبداً.

الابتعاد عن النظر المحرّم والتوجّه إلى الدعاء

قال النبي ﷺ: «وَعَضُّوا أَبْصَارَكُمْ عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ».

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «النظرة سهم من سهام إبليس» أي النظرة إلى غير المحارم. فالإنسان المبتلى والمملوث بالنظرة المحرمة يستطيع أن ينجو من هذا الخطر عبر التمرين وتهذيب النفس.

وعلى المرء أن لا ينظر حتى إلى رسائل الآخرين ومدوناتهم وأسرارهم لأننا أمرنا أن نغض أبصارنا في شهر رمضان المبارك عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ.

ومن الوظائف الأخرى في هذا الشهر هي التوبة والدعاء حيث قال: «وتوبوا إلى الله من ذنوبكم وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم» فإنه مستجاب لأن أفضل حالة هي حالة الصلاة ولا سيما الأدعية الواردة في تعقيبات الصلاة التي قد



أوصينا بها.

وكلما قرأ الإنسان الدعاء بتأنّ وخفوت، كلّما راعى أدب الدعاء بشكل أمثل، و على المرء أن يسعى لأن لا يدعو ويسأل الله لنفسه فحسب، و لا يطلب من الله له هذه و تلك، بل يطلب الخير و العافية للجميع.

و قد بين لنا القرآن أدب الدعاء و نوعه قائلاً: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾^١.

المفتاح و المغلاق

قال النبي ﷺ في تمة الخطبة: «أيها الناس إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة فاسألوا ربكم أن لا يغلقها عليكم و أبواب النيران مغلقة فاسألوا ربكم أن لا يفتحها عليكم»، فإن أبواب الجنة و إن كانت مفتوحة على الدوام إلا أنها تمتاز بميزة خاصة في هذا الشهر.

ثم إنّ رحمة الله تسبق غضبه باستمرار. و إنّ الله يذكر ربوبيته و يتحدث عن كيفية تدبيره بأسلوب تظهر على كلامه علامة الرحمة.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾^٢، و حركة هذه المقاليد و المفاتيح على نحوين، فإن تحركت بأحد الاتجاهين تكون مفتاحاً يفتح الخزانة، و بالاتجاه الآخر تكون مغلاقاً يغلق باب الخزانة. فإنّ هذا المفتاح مفتاح و مغلاق في الوقت نفسه، و هو أداة للفتح و وسيلة للإغلاق أيضاً، و إنّ الله كذلك يغلق و يفتح ولكنه لم يقل: «و عنده مغاليق الغيب»، بل قال: ﴿وَ عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾^٣، فإنّ الذي بيد الله هو المفتاح لا المغلاق،

١. سورة البقرة، الآية ٢٠١.

٢. سورة الزمر، الآية ٦٣.

٣. سورة الأنعام، الآية ٥٩.

فالمفتاح في اختياره و الإغلاق لا يتحقق إلا عبر السيئات التي يقترفها الإنسان. وإن الله لا يغلق باب الرحمة بوجه أحد بل هو الذي يفتحها. فاسعوا إلى أن لا يتبدّل المفتاح إلى مغلاق إذ أنّ الإنسان هو الذي يتسبب الإغلاق.

و أما التعبير عن تدبير الله و ربوبيته بالمفتاح فهو يدلّ على أنه «دائم الفضل على البرية»^١، أي أنه يتفضّل على الإنسان و يفيض عليه باستمرار و على الإنسان من هذا الجانب أن يتقبل الفيض و يتلقاه. ففي الوقت الذي يُحرم الإنسان من الفيض تجد آخر يتمتع به. فعلى المرء التأهب و التلقي من هذه الجهة و إلا فهو الذي يغلق باب الفيض. و قلب الإنسان أيضاً هو الذي يغلقه بنفسه. و لذا قال رسول الله ﷺ: «إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة»، و قوله مفتحة دليل على فتحها بأسرها و إلا لقال مفتوحة و هذا هو الفرق بين الفتح و التفتيح.

و إنّ أبواب جهنم تغلق باستمرار بعد دخول أهل النار فيها؛ على العكس من أبواب الجنة فإنها مفتوحة على الدوام سواء قبل دخول أهلها فيها أو بعدها: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾^٢ و العدن بمعنى الخلود.

فإنّ أبواب الجنة لا تغلق أبداً و أبواب النار لا تبقى مفتوحة أبداً؛ لأنّ إغلاق الباب بذاته ضرب من العذاب و فتحه رفاة و نعمة، فغير المؤمن لا يستطيع دخول الجنة و المؤمن لا يخرج منها. و أما إغلاق الباب فهو عذاب مضاعف: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ* فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾^٣، أي أنّ جميع أبواب جهنم مطبقة عليهم و لا تخرج لهم منها.

١. من الأدعية الواردة في ليلة الجمعة.

٢. سورة ص، الآية ٥٠.

٣. سورة الممزة، الآية ٨ - ٩.



فإن الأقفال على نوعين: قد تكون بصورة قطعة حديدية صغيرة توصل بين دفتي الباب، وقد تكون على هيئة شريط كبير يغلق دفتي الباب بأسرها. وقد جاء في هذه الآية بأن باب جهنم مطبقة بأسرها ولا مخرج لهم منها. وقوله ﷻ: «وَأَبْوَابُ النَّارِ مَغْلُوقَةٌ»، يعني أن غضب الله وسخطه وانتقامه قليل جداً في هذا الشهر.

أسباب تعزيز أسس الدين

وقال أيضاً: «وتحتنوا على أيتام الناس يُتَحَنَّنْ على أيتامكم». ويُعدّ هذا الحنان بمثابة الملاط الذي يستند إليه بناء الإسلام والإيمان. فإن الحجر الصلب والآجر واللبننة تتماسك فيما بينها بذلك الملاط ويُبنى عبر ذلك صرح مشيد. وهذا هو نفس اللين الذي يربط الأشخاص والأعضاء فيما بينهم. وقد هدّد الله سبحانه قائلاً: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^١، أي أنكم لا تظلموا أيتام الناس حتى لا تُظلم أيتامكم.

فإن الإنسان بعد الموت يكون مطلعاً على أحوال عائلته. فإن كان حرّاً يزور أهله، إذ أن من الأموات من هو حرّ وذو منزلة يزور أهله في اليوم مرة ومنهم من هو مبتلى يزور في الأسبوع مرة ومنهم من يزور في الشهر مرة ومنهم من يزور في السنة مرة كلّ على قدر منزلته لا أنهم يتقطعون كلياً عن أهاليهم^٢.

فلا بد وأن تكون الروح الحاكمة على المجتمع الإسلامي روح الأخوة والمحبة مع جميع طبقات المجتمع؛ المسلمون منهم وغير المسلمين، وإن كان للمؤمن ميزة خاصة.

١. سورة النساء، الآية ٩.

٢. الكافي، ج ٣، ص ٣٢٠، باب أن الميت يزور أهله.

قال الإمام الصادق عليه السلام لإسحاق بن عمار: «صانع المنافق بلسانك واخلص وُذْكَ للمؤمن وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته»، فعلى الإنسان مراعاة الأدب مع الجميع سواء كان مسلماً أم كافراً، فإن الأدب من الواجبات الإسلامية حتى مع اليهودي. فيا حبذا لو كانت هذه الروح حاكمة على المجتمع.

موقع الشيطان في شهر رمضان

واحدة من المشاكل التي تلمّ بحياة البشر ولاسيما المؤمنين هي الوسواس الشيطانية. وقد قال في هذا الشأن: «و الشياطين مغولة»، فهم مكبّلون بالأغلال في هذا الشهر وينحون ليس إلا ولا يعطّون أحداً. فإن الشيطان موجود يوسوس بإذن الله سبحانه. وإنّ وسوسته نعمة ورحمة؛ إذ لم يصل أحد إلى مقام ومرتبة إلا عبر الجهاد مع الوسواس والانتصار في ميدان الجهاد الأكبر. ولو لم تكن الوسوسة ولم يكن الطريق مفتوحاً لاقتراف الذنوب لكان طريق الإطاعة أحادي الاتجاه وكانت الطاعة ضرورية ولو كان كذلك لارتفعت ضرورة الوحي والرسالة والتكليف والدين. وإنّ العالمَ العاري من الذنب ليس بعالم دين وتكليف وأمر ونهي وأشباه ذلك.

فإن الشيطان مأمور بالنباح على حدّ الوسوسة، والعارف لا يعتني بهذا النباح ويطوي الطريق ويصل إلى المقصد. وأما الأجنبي فينحرف عن الجادة ويقع في شرك الشيطان. وعندها سيستبدل الشيطان النباح بالعصّ يأخذ بالعصّ بعد ذلك. علماً بأن الشيطان تحت ولاية الله ولا يقوم بفعل من دون إذنه ويُصرّح في يوم القيامة قائلاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُضِرِّ خَيْرِكُمْ وَ



ما أَنْتُمْ بِمُضِرِّ خِيٍّ^١.

فمن أعرض عن وعد الله عامداً و اتبع مكر الشيطان يُمهله الله سبحانه، فإن انتهز هذه الفرصة و إلا فَيُسَلِّطُ الشيطان عليه بعد ذلك و لذا قال من باب الجزاء: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا^٢ أَي تُوْذِيهِمْ بِشِدَّةٍ وَ تَحْرِمُهُمْ مِنَ السَّعَادَةِ الْآبِدِيَّةِ وَ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ^٣، وَ قَدْ سَلَّطَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمْ كَالْكَلْبِ الْمَعْلَمِ. وَ إِنَّ هَذَا الْكَلْبَ الْمَعْلَمَ مَغْلُولٌ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ فَلَا تَقُومُوا بِمَا يَفْتَحُ أَغْلَالَهُ، وَ إِنَّهُ يَنْبَحُ مِنْ بَعِيدٍ لَيْسَ إِلَّا فَلَا تَفْكُوا أَغْلَالَهُ بِأَيْدِكُمْ فَيُسَلِّطَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ.

و هنا يرد سؤال و هو أَنَّ الشيطان كيف اقترب ذنباً رغم أَنَّ الملائكة لا يذنبون ؟ و الجواب هو أَنَّ الشيطان كان مع الملائكة و لكن لم يكن منهم بل كان من الجنّ و قد قال الله في القرآن حول الشيطان: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ^٤، وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لِلَّهِ: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ^٥، وَ اللَّهُ أَيْضاً لَمْ يَكْذِبْهُ. وَ قَدْ صَادَقَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَى أَنَّ الْجِنَّ مَخْلُوقٌ مِنَ النَّارِ^٥.

فَالْمَلَكُ لَا يَعْصِي وَ الْجِنُّ تَارَةٌ طَيِّعٌ وَ أُخْرَى يَعْصِي. وَ لَذَا قَالَ ﷺ: «وَالشَّيَاطِينُ مَغْلُولَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُسَلِّطَهَا عَلَيْكُمْ». فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُسَلِّطَ الشَّيْطَانَ عَلَيْنَا، سَيَقُومُ بِذَلِكَ عِبْرَ الْوَسَائِلِ الْبَاطِنِيَّةِ وَ الْخَوَاطِرِ النَّفْسَانِيَّةِ، وَ يَجْعَلُ قَوَانَا النَّفْسَانِيَّةَ آلَةً بِيَدِ الشَّيْطَانِ.

١ . سورة إبراهيم، الآية ٢٢.

٢ . سورة مريم، الآية ٨٣.

٣ . سورة الأعراف، الآية ٢٧.

٤ . سورة الكهف، الآية ٥٠.

٥ . ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السُّمُومِ﴾ (سورة الحجر، الآية ٢٧)، و جمع الجنّ «جَنَّة».

الورع

لما وصل النبي ﷺ إلى هذا الموضوع من كلامه: «قال أمير المؤمنين عليه السلام - وهو الذي سمع كل هذه المعارف من لسان رسول الله ﷺ - فقلت وقلت: يا رسول الله: ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل».

وللورع درجات: أول درجاته وأقلها مرتبة هي ورع أهل التوبة الذين يعمدون إلى اجتناب المحرمات والتوبة والطاعة.

و الأعلى من ذلك ورع أهل الصلاح الذين يمتنعون المشتبهات أيضاً. فقد قال رسول الله ﷺ: «دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك»، وذلك بترك كل أمر وعمل مشتبّه لا يُعلم حليته كالطعام والكلام الذي فيه شبهة وشك في حليته وإن كان ظاهره حلالاً فهذا هو ورع الصالحين.

و الأسمى من ذلك ورع أهل التقوى الذين يُجانبون المحرمات والمشتبهات بل ويتعدون عن الحلال الذي يسوق الإنسان إلى الشبهة أيضاً. فلا بد من ترك الحديث الذي قد يؤدي شيئاً فشيئاً إلى موضع يُحتمل فيه هتك حرمة مؤمن وغيبة ولا بد من ترك الأموال التي قد تلوث يد الإنسان بهال الشبهة ولا بد من ترك الحلال الذي قد يؤول شيئاً فشيئاً إلى مآل مشوب بالشبهة. فهذا هو ورع أهل التقوى.

و الأرقى من ذلك ورع الصديقين المنقطعين عن كل ما سوى الله والمبتعدين عن كل ما عدا الحق. فإن كان القلب لا يستقبل سوى محبة الله فهو قلب الصديقين. فقد قال الله سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾^١، والقلب هو

١. وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ١٢٤.

٢. سورة الأحزاب، الآية ٤.

تلك الروح اللطيفة الإلهية وقد علمونا بأن نسأل الله أن لا يحلّ في هذا القلب سوى حبة الله، «و قلبي بحبك متيمّاً»^١. فهذه هي تربية الصّديقين بأن ينقطع القلب عن ما سوى الله.

وداع شهر الله

يعتبر الإمام السجاد عليه السلام أن شهر رمضان المبارك عيد أولياء الله. فقد ورد في الصحيفة السجادية دعاء حول مقام الدعاء ووداع شهر رمضان المبارك أحصى فيه الإمام في مقدمته النعم الإلهية العامة وأنّ منته ابتداء وليست من باب الاستحقاق. ثم يقول بعد ذلك: «اللهم وأنت جعلت من صفايا تلك الوظائف، وخصائص تلك الفروض، شهر رمضان»^٢.

العرفاء يعيدون في كلّ نفس بعيدين والعناكب يصنعون من الذباب قديداً^٣. فإنّ عمل العنكبوت هو نسج الخيوط لاقتناص الذباب وصناعة القديد والرق. ولم يجتاز عمله إلاّ ذخار؛ بيد أن للعارف في كلّ نفس عيدين كما قال سعدي: «كلّ نفس إذا دخل كان ممدّاً للحياة وإذا خرج كان مفرّحاً للذات؛ ففي كلّ نفس نعمتان موجودتان ولكلّ نعمة شكر واجب».

ولذا كان للعارف في كلّ نفس عيدين، وأفضل أنفاس الإنسان ما كان منها في شهر رمضان المبارك فإنّ «أنفاسكم فيه تسبيح» وإنّ التنفّس في هذا الشهر بمثابة قول «سبّوح قدّوس».

١. من فقرات دعاء كميل.

٢. الصحيفة السجادية، الدعاء الخامس والأربعون.

٣. «القديد» اللحم الباقي المحقّف. بيت بالفارسية في ديوان سنائي غزنوي وهذا نصه:

عارفان هر دمي دو عيد کنند عنكبوتان مگس قديد کنند

و إنّ عيد الفطر في آخر شهر رمضان المبارك، إنما هو لإعطائنا جوائز هذا الشهر، وهو في الحقيقة حصيلة شهر رمضان المبارك. فإنّ ضيافة الله يتبعها لقاء الله. إذن فالعظمة ليست لشهر شوال، وإنما هي لشهر رمضان المبارك حيث يعطون في عيد الفطر حصيلة هذا الشهر.

يوم عيد وأنا واقف متحيراً أمام هذا التدبير حيث سأعطي حصيلة ما قدمته خلال ثلاثين يوماً وأتسلم منحتي^١.

ولقد أشار الإمام السجاد عليه السلام بادئ الأمر إلى نعم الله ثم قال: «و أنت جعلت من صفايا تلك الوظائف، و خصائص تلك الفروض، شهر رمضان الذي اختصصته من سائر الشهور، و تخيرته من جميع الأزمنة و الدهور، و أثرته على كلّ أوقات السنة بما أنزلت فيه من القرآن و النور، و ضاعفت فيه من الإيمان، و فرضت فيه من الصيام، و رغبت فيه من القيام، و أجللت فيه من ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. ثم آثرتنا به على سائر الأمم، و اصطفيتنا بفضله دون أهل الممل... و قد أقام فينا هذا الشهر مقام حمد و صحبنا صحبة مبرور»^٢.

و لا يتحقق الوداع إلا لمن كان مأنوساً بشهر رمضان المبارك و كان مصاحباً له و إلا فلا وداع لمن لم يكن مع هذا الشهر. فإنّ الإنسان يُودّع صاحبه أو من كان مأنوساً معه مدة من الزمن. و لا وداع لمن لا يعرف أساساً متى حلّ شهر رمضان المبارك و متى ارتحل، و لماذا أتى و لماذا انقضى.

فكان الإمام السجاد عليه السلام إذا حلّ آخر شهر رمضان المبارك، يقرأ هذا الدعاء بتضرّع و ابتهاج قائلاً: «و قد أقام فينا هذا الشهر مقام حمد، و صحبنا صحبة مبرور»

١ . بيت بالفارسية و هذا نصه:

روز عيد است و من مائده در این تدبیرم که دهم حاصل سی روزه و ساغر گیرم

٢ . الصحيفة السجادية، الدعاء الخامس و الأربعون.

حيث كان مقرونًا بالرحمة والمغفرة والفضائل والنعم.
وقال رسول الله ﷺ في الخطبة الشعبانية: «قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة». فمن رافق هذا الشهر وصاحبه حلت به بركته ورحمته ومغفرته.

أفضل ما يُنتفع من شهر الله

ثم قال عليه السلام: «و أربحنا أفضل أرباح العالمين». فلم يربح أيّ تاجر في أقصى بقاع العالم ما ربحناه في هذا الشهر، ولر ينتفع أيّ أحد بما حصلنا عليه من هذا الشهر. فإنّ الإنسان مسافر إلى الأبد ولا بد من إعداد زاده في هذه الأيام القلائل. وإن أبواب السماء تنفتح بوجه المؤمن في هذا الشهر ويكون بإمكانه عبر الورع الوصول إلى باطن العالم، ولو كانت فرصة شهر رمضان المبارك هي أفضل فرصة، تكون أفضل الأرباح لهذا الشهر وأهله أيضاً.

و إنّ أول السنة لطائفة من الناس هو أول فروردين، وإنّ الشاب في أول فروردين يسعى لأن يعدّ لنفسه ثوباً جديداً. كما أنّ أول السنة للأشجار أيضاً فروردين حيث يرتدون فيه ثياباً جُددًا. و أول السنة للمزارع فصل الخريف حيث يحسب حصيلة مزرعته. و كلّ من التاجر والصانع يعيّنون وقتاً آخر كبداية للسنة، وأما المرحوم السيد ابن طاووس، فهو يشير إلى أنّ أول السنة لأرباب السير والسلوك هو شهر رمضان^١. حيث يُحاسبون أنفسهم من شهر رمضان إلى الشهر المقبل؛ عن الدرجات التي توصلوا إليها في السنة الماضية والحالية والمسائل التي أدركوها وعن مدئ قدرتهم على الوقوف أمام الذنوب ووجه الأعداء. فإنّ شهر رمضان المبارك للسالكين إلى الله هو شهر المحاسبة. ومن هنا قال الإمام السجاد عليه السلام: «و أربحنا أفضل أرباح العالمين».

أنين الفراق

و قال في تنمة الدعاء: «ثمّ قد فارقنا عند تمام وقته و انقطاع مدّته و وفاء عدده فنحن مودّعوه وداع من عزّ فراقه علينا». و أيّ وداع هذا؟ هل هو وداع صوريّ؟ كلا؛ و إنما هو وداع مع عزيز عزّ فراقه؛ و مرتحل صعب ارتحاله و أوجع فقده و هو شهر زاخر بالرحمة، فمن كان من أهل المعنى ازداد في هذا الشهر خيره و من كان من أهل المعاصي قلّت فيه ذنوبه.

و قد قال أعظم فقهاءنا أمثال المرحوم صاحب «جواهر الكلام» رحمته الله: «الصوم الذي هو من أشرف الطاعات و أفضل القربات، و لو لم يكن فيه إلا الارتقاء من حطيط النفس البهيمية إلى ذروة الشبه بالملائكة الروحانية لكفى به منقبة و فضلاً»^١. و قد أوصونا بالصيام بعد عيد الفطر و في الأيام الأولى من شهر شوال لمدة ستة أيام توديعاً و مشايعة لشهر رمضان؛ لأنّ من يريد توديع صديق عزيز له فإنه سيُشايعه خطوات قليلة.

قال الإمام السجاد عليه السلام: «و أوحشنا انصرافه عنّا»، و من هنا كان أولياء الله يشعرون بالغربة في نهاية شهر رمضان المبارك.

«و لزمنا له الذمّ المحفوظ و الحرمة المرعية و الحقّ المقضيّ. فنحن قائلون السلام عليك يا شهر الله الأكبر، و يا عيد أوليائه»، و هذا هو سلام توديع.

«السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات، و يا خير شهر في الأيام و الساعات». و قد كرّر الإمام السجاد عليه السلام على هذا الشهر لعدة مرات. و لو كان شهر رمضان منقضيّاً زماناً عابراً عارياً من الباطن و السرّ و الحقيقة لترك الإمام السلام عليه. و إنّ هذه الأقوال المعرفية ليست - معاذ الله - نظير أشعار الشعراء



الخيالية حتى تُحمل على الخطابات الخيالية كمخاطبة الجبال والأطلال. وفحوى كلام الإمام هو أن لدينا الكثير من الأصدقاء والأصحاب ولكن لا يوجد صديق بعظمة هذا الشهر. ذلك الشهر الذي أيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي.

رمضان وتعليم الدعاء

«السلام عليك من شهر قربت فيه الآمال، ونشرت فيه الأعمال»، فقد عرفنا فيه ماذا نريد ولذا لا يطول أملنا وهو شهر قربت فيه الآمال المشروعة.

وقد روي عن الإمام السجاد عليه السلام في الدعاء الوارد في أسحار شهر رمضان المبارك بأن الله يرزق من لم يعرفه ولم يعبد. وأنه يرزق حتى الأفاعي والعقارب، فمن المؤسف أن يُلخّص الإنسان حاجاته بأسرها في محور المادة والماديات. ثم إن الله يرزق جميع الكفار والمنافقين في العالم أيضاً، فهل من الحرّي أن يصبّ الإنسان جهده في طلب الطبيعة والدنيا من الله؟ ومن هنا قال الإمام: «السلام عليك من شهر قربت فيه الآمال ونشرت فيه الأعمال» فمن خلال هذا الدعاء عرفنا ماذا نطلب من الله وهو ما يبقى لنا ولا يزول.

لما عزم المسلمون على الهجرة إلى المدينة، منعهم كفار مكة من نقل أموالهم أو بيعها فنزلت الآية ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^١.

فهاجر المسلمون من مكة إلى المدينة قائلين بأننا لا نحمل معنا أرزاقنا فإن إله مكة هو إله المدينة أيضاً، ومن كان يرزقنا في مكة يرزقنا في المدينة كذلك. فقصدوا المدينة صفر اليدين وسُمّوا بالمهاجرين؛ فرزقهم الله أيضاً وأمن احتياجاتهم. وليس من كان دينياً يكون رغيد العيش ومن كان عظيماً يكون منكّد العيش.



ولذا قال بأننا عرفنا ماذا نطلب من الله في هذا الشهر و وقفنا أمام آمالنا و قمنا بالعبادة.

الوداع من صفاء الباطن و النشاط

«السلام عليك من قرين جلّ قدره موجوداً، و أفجع فقداه مفقوداً، و مرجو آمل فراقه».

فإنّ الشهر الذي ترسّخ في الروح إذا فارقها و انفصل عنها حلّ الأمل محلّه؛ إذ لا يبقى أثر لصفاء الضمير و يزول ذلك النشاط الذي يحصل عليه المرء في شهر رمضان من التضحية و الإيثار في غيره. فلو طلب الإنسان من الله في ضيافته الغنى، لم يعد شيء يشغله و لا يخاف من أحد و لم يتقاعس عن بذل مهجته.

«السلام عليك من أليف آنس مقبلاً فسرّ و أوحش منقضياً فمضّ»^١. هذا هو كلام من أدرك باطن الصيام في هذا الشهر و باطن ليلة القدر.

القلوب الرقيقة و الأفكار الصافية

و قال أيضاً: «السلام عليك من مجاور رقت فيه القلوب و قلت فيه الذنوب»، السلام عليك أيها الجار العزيز الذي كنا نعيش بجوار رحمته، و على أثر حسن جوارك رقت قلوبنا و قلت ذنوبنا. فإنّ اقتراف الأعمال المكروهة و الذنوب الصغيرة تقطع على الإنسان طريقه شيئاً فشيئاً.

إنّ للمناطق الرقيقة و الأراضي الخضرة و النظرة مياه صافية تشقّ طريقها إذا نبتت من العين و لا تقطع الطريق على أحد و تروي كل شجرة و نبتة عطشانة في طريقها. و هذه هي خصيصة الماء الصافي حيث يبحث عن العطشان و يجابه الصخور

١. «مضّ» هو الأمل الموجه. كالآمل الذي يصيب الإنسان إثر الحديد المنصهر.



و يبذل قصارى جهده للوصول إلى العطاشى و ربيهم.

و لكن إذا اختلط الماء بالأملاح و الرسوب تجده يتوقف بمجرد نبوعه من العين و يؤول مصير تلك المزارع بعد بضع سنين إلى تلّ من الأحجار و تيبس كلّ تلك الأراضي الخضرة و يتعذّر فيها النبات و الزرع.

و هذا هو حال الأفكار فإن كانت صافية نبعت من القلب و انتشرت عبر البيان و البنان و وصلت إلى الأسماع و الأنظار و جرت في قلوب الآخرين. و لذا فإن أحد ألقاب العالم هي «الماء المعين» الذي أطلق في الأصل على الإمام المهدي عليه السلام.

فإن الله سبحانه و تعالى يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾^١، و الماء المعين هو الماء الجاري و المشهود، و يُطلق على العالم لأنه يتدفق كالعين الصافية. فالكلام الذي ينطق به و المسألة التي يدونها إنها هي علم يترشح من قلبه و يصل إلى سمع امرء و نظره فيفهمه و ينقله إلى آخر فيفهمه أيضاً و ينقله إلى ثالث و هكذا يجري كالعين الصافية و يصل إلى أهله.

و أما الأفكار و الخيالات الباطلة فهي تسدّ طريق القلب كتلك الترسبات و الأملاح المعدنية فيفسد ذلك القلب و يتصلّب و يُطبع عليه شيئاً فشيئاً. و عندها لا يخرج منه شيء إلى الآخرين و لا يلج فيه شيء منهم و لا يؤثّر في الآخرين و لا يتأثر منهم.

يقول الإمام السجاد عليه السلام أنه ترقّى في هذا الشهر القلوب و تقلّ فيه الذنوب.

شهر السيطرة على الشيطان

«السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان و صاحب سهّل سُبُل الإحسان»،

١. الكافي، ج ١، ص ٣٣٩، ح ١٤.

٢. سورة الملك، الآية ٣٠.

فإن الإنسان في هذا الشهر يتغلب على الشيطان حقاً ولا يسمع وساوسه فهو يتغلب عليه إيجاباً حيث يطوي سبل الخير بجودة وسهولة، فضلاً عن النجاة فيه سلباً حيث يتبعد عن السيئات. فلو كان العمل الصالح في غير شهر رمضان أمر عسير فهو فيه يسير.

التحرّر من قيد الشهور و نيل السعادة

وقال أيضاً: «السلام عليك ما أكثر عتقاء الله فيك»، حيث فكّ الله فيه الأغلال عن أولئك الذين سقطوا في النار و ابتلوا بالردائل الأخلاقية و هل توجد نعمة أعظم من الحرية.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان صفات الإنسان المتدين حيث قال: «و رفض الشهوات فصار حرّاً^١. فلا نعمة أفضل من الحرية و التحرر، بأن لا يكون الإنسان أسير شهوته و غضبه و عبد هواه و لا يسلم زمام أموره بيد ميوله و أهوائه. «و ما أسعد من رعى حرمتك بك» و حفظ لسانه من الكلام الباطل و نفسه من الخيال و الذنب.

«السلام عليك ما كان أحماك للذنوب و أسترّك لأنواع العيوب»، فالمرحلة الأولى هي الستر و تليها المغفرة، و أنّ الله سبحانه يستر ليحفظ كرامة الإنسان ثم يعفو حيث إن الستارية تهيء المجال لمغفرة الغفار.

فعلى الإنسان أن يحفظ كرامة الآخرين ليحفظ الله كرامته أيضاً.

«السلام عليك ما كان أطولك على المجرمين»، حيث يمضي عليهم و كأنه عدة أشهر.

«و أهيبك في صدور المؤمنين»، حيث يحلّ في قلوبهم بهيبة وهيمنة وجلال وعظمة.

المنافسة مع سائر الشهور

و يقول في تمة وداعه: «السلام عليك من شهر لا تنافسه الأيام»، فإنّ الإنسان إذا عدا و سابق، تابع نفسه ليصل إلى المقصد. و قد قال الله سبحانه تنافسوا و تسابقوا في ذكر الفضائل: ﴿و فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^١، فعليكم بالمنافسة للوصول إلى ذلك المقام النفيس.

فقال إن هذا الشهر لا تنافسه الشهور و الأيام و الليالي و اللحظات، و هو الرائد المقدم و سائر الشهور على إثره.

فلا يتأتى للإنسان أن يقول بأني أسمع الكلام في هذا الشهر ثم أعمل بعد ذلك، فإن لم يعمل في هذا الشهر، لا يمكنه العمل بعده أيضاً لأن باقي الأوقات عاجزة عن منافسة شهر رمضان في اجتلاب التوفيق للإنسان و تأمينه.

التطهير و التغميل لا التعب و النصب

«السلام عليك غير كرية المصاحبة و لا ذميم الملابسة»، ففي الفترة التي كنت بضيافتنا أو كنا بخدمتك لم نشعر بعذاب و مشقة و لم نسأم من صحبتك بل سررنا بلقائك و وفدت علينا ضيفاً كريماً.

«السلام عليك كما وفدت علينا بالبركات و غسلت عنا دنس الخطيئات»، فقد طهرتنا و وضعت عنا وزرنا و إن تلوثنا بعدك فمن عند أنفسنا.

«السلام عليك غير مودّع برماً ولا متروك صيامه سأمًا»، فإن الإنسان إذا استضاف ضيفاً لمدة مديدة سيُشعر بالتعب؛ سوى أن الإمام يقول بأننا لنشعر بالتعب والنصب بعد الصيام والضيافة الطويلة بل كان لنا مدعاة للسُرور والابتهاج.

الوداعات الأخيرة

«السلام عليك من مطلوب قبل وقته و محزون عليه قبل فوته، السلام عليك كم من سوء صُرف بك عنا و كم من خير أفيض بك علينا»، فقد كنا في الواقع نحن الضيوف الوافدون عليك و لست أنت الضيف الوافد علينا.

«السلام عليك و على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر»، وهذا هو سلام توديع.

«السلام عليك ما كان أحرصنا بالأمس عليك و أشدّ شوقنا غداً إليك»، ومراسم التوديع هذه لم نقم بها من باب أداء الواجب فحسب.

«السلام عليك و على فضلك الذي حُرمناه و على ماض من بركاتك سُلبناه».

ثم يخاطب الإمام الله سبحانه قائلاً: «اللهم إنا أهل هذا الشهر الذي شَرَفْتنا به و وقَفْتنا بمتنك له حين جهل الأشقياء وقته و حرموا لشقائهم فضله، أنت وليّ ما أترتنا به من معرفته و هديتنا له من سنته، و قد تولينا بتوفيقك صيامه و قيامه على تقصير و أدينا فيه قليلاً من كثير، اللهم فلك الحمد إقراراً بالإساءة و اعترافاً بالإضاعة و لك من قلوبنا عقد الندم و من ألسنتنا صدق الاعتذار، فأجرنا على ما أصابنا فيه من التفريط أجرأ نستدرك به الفضل المرغوب فيه و نعتاض به من أنواع الذخر المحروص عليه، و أوجب لنا عذرنا على ما قصّرنا فيه من حقك».

فقد قال الله سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^١.



«و أبلغ بأعمارنا ما بين أيدينا من شهر رمضان المقبل فإذا بلغتاه فأعنا على تناول ما أنت أهله من العبادة و أدنا إلى القيام بها تستحقه من الطاعة، و أجر لنا من صالح العمل ما يكون دركاً لحقك في الشهرين من شهور الدهر... و اجبر مصيبتنا بشهرنا و بارك لنا في يوم عيدنا و فطرنا... اللهم و من رعى حق هذا الشهر حق رعايته و حفظ حرمة حق حفظها و قام بحدوده حق قيامها و اتقى ذنوبه حق تقاتها أو تقرب إليك بقربة أو جبت رضاك له و عطفت برحمتك عليه فهب لنا مثله من وجدك و إحسانك و أعطنا أضعافه من فضلك فإن فضلك لا يغيض و إن خزائنك لا تنقص بل تفيض... و اكتب لنا مثل أجور من صامه أو تعبد لك فيه إلى يوم القيامة».



الفصل السابع:

الاعتكاف وحكمته

من شؤون العبادة

إنَّ لعبادة الله تقدّست أسأؤه شؤون. فتارة تتجلّى على صورة فكر و ذكر و شكر و تارة على صورة حركة و أخرى على صورة سكون لانتظار ما يأمر به المعبود و ما يأتي به رسوله ﷺ .

فما كان منها على صورة فكر و ذكر و شكر وردت فيه آيات و روايات كثيرة و لا حاجة لشرحها، و ما كان منها على صورة حركة كالطواف حول الكعبة و السعي بين الصفا و المروة و الهرولة الواردة فيها فهي بنفسها عبادة و لا بد من أدائها بقصد القرية، و ما كان منها على صورة توقّف فهي نظير الوقوف في عرفات و المشعر و منى علماً بأن الوقوف هناك لا يعني السكون و لكن لا تحجب الحركة فيه بل إن مجرد المكوث في عرفات و المشعر و منى واجب مع تلك الآداب و السنن الخاصة.

فقد يأمر المعبود بالحركة و الهرولة كالسعي بين الصفا و المروة أو بالطواف حول بيته كما في الحج و العمرة، و قد يعتبر الوقوف و العكوف و الإقبال مع التعظيم و التكریم في بيته واجباً أو مستحباً كالاكتكاف.

فالعكوف هو الإقبال على الشيء و التوجه إليه مع تعظيم و تكريم^١. فلا اعتكاف في المسجد ضرب من العبادة التي لا يُشترط فيها الحركة و لا يُعتبر فيها السكون كذلك كالوقوف في عرفات و المشعر و منى.

أبرز مصداق للعبادة

يكفي في فضل الاعتكاف أنه جُعل عدلاً لطواف بيت الله و قسيماً و مثيلاً للركوع و السجود.

و قد أمر نبيّين من أنبياء الله العظام أن يطهّرا الكعبة و حريمها من لوث و جود الوثنية و الثنوية ليقوم العابدون في هذا المطاف و إلى جانب القبلة و حرم الله جلّت عظمتها بالطواف و الاعتكاف و الركوع و السجود.

حيث يقول الله تعالى ذكره في هذا الشأن: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^٢.

و يظهر من عدّ الاعتكاف عدلاً للطواف و الركوع و السجود أنه من أبرز مصاديق عبادة الله سبحانه و تعالى.

مسألتان مهمتان في الاعتكاف

إنّ ما يضيفي في أهمية الاعتكاف و فضله مسألتان إحداهما مهمة و الأخرى أهم؛

١. «عكفه أي حبسه و وقفه ... و منه الاعتكاف في المسجد، و هو الاحتباس و عكفَ على الشيء يعكفُ و يعكفُ عكوفاً، أي أقبل عليه مواظباً» (الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١٤٠٦). «العكوف الإقبال على الشيء و ملازمته على سبيل التعظيم له، و الاعتكاف في الشرع هو الاحتباس في المسجد على سبيل القرية» (مفردات الراغب، ص ٣٥٥) مادة «عكف».

٢. سورة البقرة، الآية ١٢٥.



فالمهمة أنّ الاعتكاف ليس كالصلاة حتى يمكن الإتيان به في أيّ مكان، إذ أنّ الصلاة بالاستناد إلى «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً»^١ يمكن أداؤها في كلّ مكان، بخلاف الاعتكاف فإنه لا بد أن يكون في المسجد وبيت الله، ولا يصح في كلّ مسجد بل لا بد أن يكون في المسجد الجامع أو المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ أو المسجد الذي أقام فيه معصوم أو إمام عادل وإن كان غير معصوم صلاة الجمعة أو الجماعة.

إذن فالاعتكاف لا بد وأن يقام في مسجد يصلي فيه جماعة المسلمين، وهو المسجد الجامع والمسجد الذي يعدّ في المدينة من أكبر المساجد والذي تقام فيه الجماعات الرسمية. فالمسجدية ميزة بحدّ ذاتها وإقامة صلاة الجمعة أو الجماعة فيه ميزة أخرى، ولا يصح انعقاد الاعتكاف في المسجد المتروك والمهجور. ومن خصّ الاعتكاف بالمسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ أو المساجد الأربعة لا بد من حمل كلامه على الأفضلية لا على التعيّن.

والمسألة الأهم أنّ الصوم الذي هو من أركان الدين المهمة وركائز الإسلام الأصلية حيث: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والولاية»^٢، يعتبر من شرائط الاعتكاف، وأنّ قيمة الاعتكاف بحدّ يعدّ أحد أبرز أركان الدين من شروطه! وكما أن الصلاة لا تتحقق من دون طهارة «لا صلاة إلا بطهور»^٣، لا يصح الاعتكاف أيضاً من دون صوم «لا اعتكاف إلا بصوم»^٤، وهذه هي من غرر كلمات الأئمة الأطهار (عليهم السلام).

١. وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٤٢٢، ح ٢.

٢. الكافي، ج ٢، ص ١٨.

٣. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٣١٩، ح ٢.

٤. الكافي، ج ٤، ص ١٧٦.

الاعتكاف الباطل

يعتبر الاعتكاف من أجل مقامات العبودية والرقية لله سبحانه وتعالى. وهناك من يقوم بنفس هذا العكوف والإقبال والتعظيم أمام الأوثان والأصنام كالسامري الذي عكف أمام عجله، وقد ختم الله على كل أصناف الاعتكاف والعبودية المزيفة بالبطلان.

ونقل سبحانه وتعالى الكلام الباطل والزائف لعباد الأصنام والثنية قائلاً: ﴿فَاتَّوَا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾^١.

ويقول في مكان آخر نقلاً عن النبي موسى عليه السلام حول السامري: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾^٢.

والعكوف في هذه الآية هو الإقبال والتعظيم والتوجه والخضوع وصار مرفوضاً ومذموماً لأنه كان أمام الباطل.

وقد نهى أنبياء الله العظام ومنهم إبراهيم الخليل عليه السلام الناس عن الخضوع والعكوف والتذلل للأصنام حيث نقرأ في القرآن المجيد مقولة النبي إبراهيم مخاطباً عمه وقومه: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾^٣.

فإن مثل هذا العكوف بكل أنواعه باطل ومحرم؛ بيد أن العكوف والاعتكاف لله وحده وبآدابه وسننه الخاصة صحيح ومشروع وبناء.

١. سورة الأعراف، الآية ١٣٨.

٢. سورة طه، الآية ٩٧.

٣. سورة الأنبياء، الآية ٥٢.



الاعتكاف عبادة مستقلة

إنَّ للمرحوم المقدس الأردبيلي الذي استطاع في مقام العلم أن يكون محققاً وفي مقام العمل أن يكون منزهاً ومقدساً بيان بليغ في باب الاعتكاف حيث يشير إلى أنه لا يزعم البعض أنَّ الاعتكاف مقدمة لعبادة أخرى، فالدخول إلى المسجد بطهارة و الصوم وقصد الاعتكاف قربة إلى الله عبادة بحد ذاتها؛ لا أن يكون الاعتكاف شرطاً ومقدمة لعبادة أخرى وإنما هو عبادة مستقلة كما هو الحال في الحج والعمرة والصوم والصلاة^١.

اعتكاف الصالحين

يظهر مما قيل من أن الصوم بكل ما له من فضل شرط للاعتكاف، أن الإنسان المعتكف قد عكف على الله جلّت عظمتة وتوجّه إليه وابتعد عما سواه. ولو عكف المعتكف على الله الذي ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^٢، فإنه سوف لا يضاهي اعتكافه أيّ عكوف؛ لأن قيمة أيّ اعتكاف ومرتبه منوطة بقيمة المبدأ الذي تم الاعتكاف في محضه وله، ومعنى هذا أن أيّ اعتكاف لا يضاهي ولا يكافئ اعتكاف عباد الله الصالحين.

وبما أن للاعتكاف عند الله سبحانه حرمة ومنزلة، فقد كان الرسول الأكرم ﷺ ذلك الإنسان الكامل يعتكف في المسجد في كثير من الأوقات ولا سيما في شهر رمضان وبالأخص في العشرة الثالثة منه.

وقد ورد في هذا الشأن عن العترة الطاهرة (عليه السلام) بأن أقل مدة للاعتكاف هي ثلاثة

١. مجمع الفائدة والبرهان، ج ٥، باب الاعتكاف، ص ٣٥١.

٢. سورة الإخلاص، الآية ٤.

أيام^١. وهذه النظرية بعيدة عن تفريط ساعة واحدة ولا إفراط عشرة أيام.

الاعتكاف وقضاء حاجة المؤمن

صحيح أنه لا يصح للمعتكف الخروج من المسجد ولكن يمكنه الخروج للمشاركة في صلاة الجمعة أو لإنجاز الأعمال الضرورية، وبما أنه مأذون بالخروج من المسجد لحل مشكلة مسلم واحد وعد ذلك بمثابة الاعتكاف، فكذا للمعتكف أن يخرج من المسجد في حال الاعتكاف لحل مشاكل النظام الإسلامي أو قضاء حاجة المحتاجين في المجتمع الإسلامي وذلك لأهمية هذه المسألة ثم يعود إلى مكانه وهي تعتبر تمة لهذه العبادة لا غريبة ومنفصلة عنها؛ لأن قيمة الاعتكاف بكونه عبادة كما هو الحال في الوقوف بمنى والمشرع وعرفة.

فقد روي عن إبراهيم بن ميمون أنه قال: كنت جالساً عند الحسن بن علي عليه السلام وكان معتكفاً فأتاه رجل فقال له: يا ابن رسول الله ﷺ، إن فلاناً له علي مال يريد أن يجبسنه فقال: «و الله ما عندي مال فأقضي عنك»، فقال: فكلّمه، ولبس نعله فقلت له: يا ابن رسول الله ﷺ، أنسيت اعتكافك؟ فقال: «لرأنس ولكني سمعت أبي يحدث عن جدي رسول الله ﷺ أنه قال: من سعى في حاجة أخيه المسلم فكأنما عبد الله تسعة آلاف سنة صائماً نهاره وقائماً ليله»^٢.

و روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من سعى في حاجة أخيه المسلم فاجتهد فأجرى الله على يده قضاها كتب الله عزّ وجلّ له حجة وعمرة واعتكاف شهرين في المسجد الحرام وصيامهما»^٣.

١. وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٥٤٣.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٥٥٠، ح ٤.

٣. وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٥٥٥، ح ١.

الدعاء و المناجاة في حال الاعتكاف

إنّ للاعتكاف في أيام البيض (١٣ و ١٤ و ١٥) من شهر رجب فضل خاص، لأنّ شهر رجب شهر الولاية و شهر أولياء الله، و الاعتكاف في هذه الأيام مقترن بالزمن الذي يُستجاب فيه الدعاء، فمن الواضح أن له في مثل هذه الفترة فيض خاص. فإنّ الدعاء عبادة في كلّ حال و لاسيّما إذا اقترن بالاعتكاف.

و إنّ الصائم الذي يتجنّب اللذائذ الجنسية المحللة استناداً إلى الآية الشريفة ﴿وَلَا تَبَايَسُوا وَهْنَ أَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾^١، فهو يُعرض عن المحرمات قطعاً. فمن لم يعمد إلى إرضاء غرائزه عبر أيّ طريق و إن كان حلالاً، سيصل إلى صفاء الضمير و طهارة الروح يقيناً. و عندئذ يستطيع بصفاء ضميره و طهارة روحه أن يناجي الله جلّت عظمته، لأنّه مصلّ و صائم و معتكف في المسجد و في بيت من لا يردّ ضيفه خائباً، و لذا فإنّ دعاء العبد الصائم و المصلي و المعتكف مستجاب لا محالة.

ثم إنّ الله قريب من الجميع و لكنه من الصائمين و الداعين و المصلّين و الضيوف الوافدين عليه المتّسمين بضيوف الرحمان أقرب. إذن فالإنسان المعتكف قريب من الله من جهات عدة، لأنّ صيامه سبب لقربه حيث قام به قربة إلى الله، و صلاته مدعاة لقربه لأنّ «الصلاة قربان كلّ تقى»^٢، و حضوره في المسجد باعث على تقربه لأنّه في بيت من لا يردّ عباده الصائمين الصالحين، و الاعتكاف أيضاً بحدّ ذاته أداة لتقربه.

فإنّ الله سبحانه و تعالى لا يردّ المعتكفين في روضة قدسه و ساحة جلاله و جبروته خائبيين، إضافة إلى أنّ المعتكف إذا اشتغل بالدعاء يعدّ من هذه الجهة أيضاً سبباً لقربه من الله تعالى، فهو يملك هذه العناصر المحورية الخمسة (الصلاة و الصوم و الدعاء و الحضور في المسجد و الاعتكاف) و من خلالها يتوافر له أفضل حال للدعاء.

١ . سورة البقرة، الآية ١٨٧.

٢ . نهج البلاغة، الحكمة ١٣٦.

و حرّي بالمعتكف في مثل هذا الحال أن يطلب من الله تقدّست أسماؤه أولاً ظهور
وليه بقية الله ﷻ، ثم بقاء الثورة و استدامتها و صيانة قائد الثورة الإسلامية و
عظمته و بقاء الحوزة و دوامها و تكاملها و تعاليها الروحي و صيانة مراجع التقليد و
عظمتهم و صيانة الأمة الإسلامية و عظمتها و نجاة المسلمين المستضعفين في شرق
العالم و غربه.

لأن استجابة الأدعية الجزئية لا تتطلّب الكثير من الشروط و يمكن القيام بها في
كلّ وقت، و لذا فهي تُستجاب في كثير من المواطن. و أما الأدعية الكلية فهي لا
تُستجاب على الدوام؛ لأن استجابتها منوطة بتوفّر العديد من الشرائط. فإنّ الأدعية
الكلية و الواسعة تنبع من روح واسعة، و هي التي وصلت إلى عرش الله بل اجتازته،
فإنّ «قلب المؤمن عرش الرحمن»^١، و قلب وليّ الله كرسيّ الله. و إن قامت هذه القلوب
بالدعاء ستستجاب على اليقين؛ لأنّ العناصر الخمس المذكورة تهيء جيداً أرضية
استجابة الدعاء.

و نحن نقترح أن تشارك الأخوات المكرّمات أيضاً في الاعتكاف؛ لأنّ فضل
الاعتكاف يختص بالإنسان لا بالذكور أو المؤنث. فإنّ الذكورة و الأنوثة صفة البدن لا
صفة الروح و الاعتكاف متعلق بروح الإنسان.

و على الأخوات و الإخوة أن يكون لهم دعاء كلي و واسع و جامع في محضر الله
سبحانه و تعالى، لإنقاذ العالم الإسلامي بأسره من خطر المستكبرين و غيرهم.
فيتخلّص النظام الإسلامي من شرّ المستكبرين و تنجو الشعوب الإسلامية من سيطرة
الظالمين.

فإنّ النظام الإسلامي و المراجع العظام و الأساتذة و العلماء الكرام يؤيدون

الاعتكاف، و الطلاب الأفاضل يساندون الاعتكاف و يُكرمونه، و طبقات المجتمع من طلبة العلوم الدينية و غيرهم جالسون على مائدة الاعتكاف، فحقيق بنا أن نستفيض بالكامل من هذا الفيض و الفوز الإلهي و لا نفكر بأنفسنا و أقربائنا فحسب بل نفكر بالإسلام و المسلمين و ندعو للجميع.

على أمل أن يكون العالم بأسره معتكفاً في محضر القرآن و العترة و ذات الله القدسية.

* * *

الفصل السابع:

تلاوة القرآن وحكمتها

مع القرآن

إن لتلاوة كتاب الله أحكام و آداب منها كيفية أداء الحروف من مخارجها ومنها مراعاة الوقف والوصل.

و أما حكمة تلاوة القرآن هي أن تؤدي كيفية التلاوة إلى مشاهدة المعبود، و المرحلة النازلة لذلك هي أن لا يستقر في ضمير العبد و قلبه سوى محبة المعبود. و قد توافرت للإنسان بسهولة معرفة أن هل يوجد في قلبه شيء سوى الله أم لا؟

قال الإمام السجاد عليه السلام: «لومات من بين المشرق و المغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي»^١، و معنى ذلك أن العالم بأسره لو أصبح كافراً و كان القرآن معي لما استوحشت. لأن الموت في الواقع هو موت الروح و الإنسان الكافر ميت حقاً، و الأحياء في الرؤية القرآنية هم الذين آمنوا بدين الله: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^٢.

١ . الكافي، ج ٢، ص ٦٠٢.

٢ . سورة يس، الآية ٧٠.

فالإمام يقول بأن الناس لو اعتنقوا الكفر بأجمعهم لما أضرنا ذلك ولما أصابنا الخوف، لأن الإنسان لا يفقد شيئاً لا يمكن تداركه في حربه مع الكافر سوى أن يعرج من عالم محدود إلى عالم خالد ولا ضير في ذلك؛ ومن لا يرهب الانتقال من عالم الطبيعة إلى ما وراءها، لا يتغلغل الخوف في قلبه من الكفر العالمي.

إذن فحكمة العبادة أن يشاهد العابد المعبود في ضميره ولا يستحيل طي هذا الطريق بل أن له شرائط وآداب وأحكام. وللوصول إلى شهود المعبود علينا أن نبذل قصارى جهدنا لمراقبة أنظارنا وأسماعنا ومراقبة أنفسنا بأن لا نقوم إلا بواجبنا الشرعي وأن لا نلوث الوسط الذي نعيش فيه من عملنا وبيتنا بالغفلة عن الله. وتلاوة القرآن أيضاً عبادة ولا يصل قارئ القرآن إلى حكمة تلاوته إلا إذا شاهد صاحب هذه الكلمات بعين قلبه.

ضياء البيت

ينقل المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين الجبل عاملي رحمته في ترجمة بعض الصحابة والأعلام من أهل العلم والدين والسير والسلوك أنهم كانوا يقسمون برامجهم في البيت، وكان أفراد العائلة في اليوم واللييلة يسعون في أن يبقى البيت مضيئاً، حيث لا تنام العائلة جميعاً بعد تناول الغذاء من المساء وحتى الصباح بل كانوا يتناوبون في الحراسة، فيحیی أحدهم شطراً من الليل بالعبادة والدرس والبحث والتلاوة والدعاء وينام الآخر، ثم يقوم هذا ويشغل بالعبادة وينام الأول، وتبعه الثالث يقوم ويتصدى للعبادة، بحيث أنه لا يُذكر في هذا البيت سوى اسم الله.

فإنه قد يترعرع في عائلة عَلم كالشيخ الأنصاري أو يترتب إنسان كامل كبحر العلوم وهو حصيلة ما تجشّمه آباؤهم وأجدادهم من عناء لسنوات مديدة، لأن الله سبحانه لا يهب لعائلة فرداً متميزاً من دون سبب. فلإنهم كانوا يسعون في أن يبقى

البيت مضيئاً على الدوام ولا يُفعل فيه ما لا يرضي الله عز وجل، حتى يتبدّل شيئاً فشيئاً إلّا مركز من نور وبالتالي ينير مدينة بأكملها.

وإنّ البيت الذي يُقرأ فيه القرآن والدين هو الحاكم فيه، يضيء للملائكة كما تضيء نجوم السماء لأهل الأرض^١. وكما أن الإنسان إذا أجال ببصره في أرض مستوية، رأى بعض مواضعها مظلمة وبعضها الآخر مضيئة، كذلك فإنّ البيت الذي يُقرأ فيه القرآن والدين هو الحاكم فيه، فإنه يضيء لأهل السماء.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام لما سُئل عن فاطمة لم سميت زهراء؟ أنه قال: «لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض»^٢. وهكذا شأن الإنسان الكامل حيث يضيء لأهل السماء.

ظلمة غير المؤمن

هناك آيتان في القرآن الكريم تشير إحداهما إلى أن الملائكة وحمة العرش يستغفرون للمؤمنين والثانية إلى أن ملائكة الله يستغفرون لأهل الأرض: حيث قال سبحانه في الأولى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^٣، وقال في الثانية: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^٤.

وقالوا: بأن الجمع بين هاتين الآيتين هو أن المراد بالذين آمنوا بأهل الأرض

١. قال رسول الله ﷺ: «... فإنّ البيت إذا كثرت فيه تلاوة القرآن كثرت خيره واتسع أهله وأضاء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الدنيا» (الكافي، ج ٢، ٦١٠).

٢. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٢، ح ٦.

٣. سورة المؤمن، الآية ٧.

٤. سورة الشورى، الآية ٥.

الذين تستغفر لهم الملائكة هم المؤمنون؛ فأنّ الملائكة لا يرون غير المؤمنين لأنهم مظلّمون. وإن البيت الذي يراه الملائكة يستغفرون لأهله ولا يرى الملائكة إلا البيت المنير وهو الذي يكون الدين حاكماً فيه، وأما الكافر فهو مظلّم ولا يراه الملائكة بل ولا ينظر إليه الله في يوم القيامة ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^١، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^٢.

فإن استطاع الإنسان أن ينير بيته ومحل عمله وبيته هكذا، تيسر له شيئاً فشيئاً الوصول إلى المقام السامي. وإن كان ذلك أمر عسير في بادئ الأمر، ولكنه يعرف بعد ذلك بأن الكلام الباطل يؤلمه شيئاً فشيئاً. فإن الإنسان قد يتحدّث بين جمع عن المسائل العقلية والمعارف فتتلبّد وجوههم لأنها مرّة في مذاقهم ولكنه يلتذّ بهذه الكلمات ويتأذّى إذا جلس في مجلس ليس فيه إلا القيل والقال واللهو واللعب. فإن استطاع الإنسان أن يربّي نفسه حيث أراد، فلم لا يربّيها بالطريق الصحيح؟ ولماذا يروّض نفسه على الأعمال الصالحة؟

إذن فالذي يصل إلى باطن القرآن ويتلوه بشكل جيد يستنير بيته.

وقد روي أن عزرائيل عليه السلام يتصفّح البيوت في كلّ يوم خمس مرات، وقال النبي ﷺ: «إنما يتصفّحهم في مواقيت الصلاة، فإن كان ممن يواظب عليها عند مواقيتها لقّنه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»^٣.

وقال ﷺ أيضاً في هذا الشأن: «نوروا بيوتكم بتلاوة القرآن ولا تتخذوها قبوراً كما فعلت اليهود والنصارى، صلّوا في الكنائس والبيع وعطلوا بيوتهم»^٤، فلو اجتمع

١. سورة البقرة، الآية ١٧٤.

٢. سورة آل عمران، الآية ٧٧.

٣. الكافي، ج ٣، ص ١٣٦.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٦١٠.

جمع في بيت لم تظهر منهم آثار علمية ولا خدمة للإسلام والمسلمين، فهو ليس بيت بل مقبرة عائلية يسكن فيها عدد من الأموات. فاليوم الذي لا يترك أثراً يتبدل إلى مقبرة عائلية. فاجعلوا من بيوتكم مصدراً للإنارة المجتمع ولا تكونوا كاليهود والنصارى الذين تركوا العبادة في بيوتهم ولخصوها في الكنائس وفي وقت معين؛ بل عليكم بأداء العبادات العامة في المسجد والعبادات الخاصة في البيت.

ولا بد من الحفاظ على المراكز الدينية والمساجد وصلاة الجمعة والجماعة ولا ينبغي أن يحرم الإنسان نفسه من هذا الفيض العظيم. فقد ورد عن علي عليه السلام أنه قال: «الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب»^١.

وروي أن رجلاً أعمى أتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، إني ضير البصر وربما أسمع النداء ولا أجد من يقودني إلى الجماعة والصلاة معك، فقال له النبي ﷺ: «شُدْ من منزلك إلى المسجد حبلاً واحضر الجماعة»^٢، حيث أمره أن يحضر المسجد بأية وسيلة كانت فإن الابتعاد عن الأمة الإسلامية وجماعة المسلمين أمر خطير والدخول في صفوفهم تتبعه بركات عديدة.

تجلي الله سبحانه

لو أردنا أن نعرف هل أننا وصلنا إلى حكمة تلاوة القرآن أم لا؟ علينا أن نرى هل أننا نشاهد المتكلم في كلامه أم لا؟ فإن العابد لا يصل إلى حكمة العبادة إلا إذا كان لا يرى سوى الله ولهذا المقام أركان، أهمها أن لا يُحِبَّ الإنسان سوى الله، فمن أعرض عن غير الله ولم يسكن في قلبه سواه لا يصيبه القلق والاضطراب لأن الفاني لا يطلبه وما يطلبه لا يفنى ولذا فإن العارف لا غم فيه ولا هم يعتره.

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧.

٢. وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٢٩٣.

يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: «ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك، لقد خاب من رضي دونك بدلاً».

إنّ الإنسان قد يأسى على ما مضى و يقلق على ما سيأتي؛ يأسى على ما فاتته في الماضي و يقلق على ما قد لا يحصل عليه في المستقبل. و أما إذا نجا من الماضي و المستقبل و فاق الزمان و وطأ ما مضى و ما سيأتي، لا يأسى على ما فاتته و لا يفرح بما أتاه فهو على حدّ قول علي عليه السلام قد ملك الزهد كله^١.

و قد ورد في حالات الإمام السجاد عليه السلام أنه: كان إذا قرأ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يكرّرها حتى كاد أن يموت^٢.

و إنّ واحدة من آداب تلاوة القرآن هو أنّ الإنسان إذا مرّ بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال لبيك^٣. أي أنه خطاب حاليّ و أنّ الله يخاطبنا الآن أيضاً. فإنّ لبيك هو قول الإنسان للمنادي و يظهر من ذلك أنّ هذا الخطاب كلام الله في هذا الوقت أيضاً و قد تجلّى الله في كلامه هذا و إنّ ما يقرؤه الإنسان هو كلام الله الذي يُسمع من هذا اللسان و من هذا الفم.

و كما أنّ يد المؤمن يد الله، فإنّ كلام المؤمن كلام الله أيضاً شريطة أن لا يقول إلا الحق و لا يطلب إلا الحق، و لذا قال الله في كتابه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾^٤ أي إذا أراد الكافر أن يسمع آيات الله فأجره.

و قد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه»^٥ علماً بأنهم يتأملون و يقرؤون القرآن.

١. «الزهد كلّ بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، سورة الحديد، الآية ٢٣. (نهج البلاغة، الحكمة ٤٣٩).

٢. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٢.

٣. المحجة البيضاء، ج ٢، ص ٢٢٨.

٤. سورة التوبة، الآية ٦.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٧.

معنى تجلي القرآن

إن من أفضل المفاهيم وأدقها في الثقافة الإسلامية هو مفهوم التجلي. والمراد به في الآيات والروايات هو أن الله سبحانه يُنزل حقيقة من عالم الغيب وبيئتها لنا.

والتجلي غير التجافي. فإن القرآن نزل في شهر رمضان ولكن ليس كما ينزل المطر من السماء، لأن نزول المطر على نحو التجافي. أي أنه حين كان في السماء لم يكن في الأرض وحين نزل إلى الأرض لم يبق في السماء ولكن إذا قال الله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، فإن نزول القرآن ليس كهطول المطر بأن لا يكون عندنا إذا كان عند الله ولم يبق عند الله إذا نزل إلينا.

وإن معنى قوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^١ وكذا ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^٢، هو أن القرآن تنزل في هذا الشهر ولم ينزل، أي أن هذه الحقيقة التي كانت ولا تزال وستكون دوماً عند الله، ترققت وتنزلت وظهرت على شكل ألفاظ ليستطيع الإنسان أن يقولها ويسمعها ويكتبها ويقرأها.

كما أن المجتهد الفقيه أو الحكيم الإلهي يُبلور في عقله مسألة عقلية أو عقلية من المعارف الإسلامية العالية ثم ينزلها ليستفيد منها الآخرون أيضاً على نحو ألفاظ أو خطوط في الكتاب أو أمواج في الكلام أو يُبدلها إلى أثر مكتوب، ولكن لا يعني ذلك أن لا يبقى لها أثر في عقله وفكره. وكذلك الحال في البحوث الفقهية حيث يُظهرها الفقيه على نحو مسائل مبسطة يفهمها الجميع وذلك مع بقاء ملكة الاجتهاد فيه، لأنه لم يُنزل ملكة الاجتهاد وإنما نزل تلك الحقيقة وعلى أساسها وضع بين يدي الآخرين ألفاظاً ومعاني ومفاهيم.

١. سورة القدر، الآية ١.

٢. سورة البقرة، الآية ١٨٥.

تجلي ملك الموت

تعتبر الصحيفة السجادية للإمام السجاد عليه السلام من الكتب القيمة لدى الإمامية و تُعدّ في عداد القرآن الكريم و نهج البلاغة. و قد تحدّث فيها الإمام السجاد عليه السلام في دعاء ختم القرآن الذي يُقرأ بعد الفراغ من تلاوته عن عظمة القرآن و بركاته للقارئ إلى أن يقول مخاطباً الله سبحانه: «و تجلّ ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب و رماها عن قوس المنايا بأسهم وحشة الفراق»^١ عسى أن يرحمنا في ذلك اليوم. حيث عبّر عن نزول عزرائيل عليه السلام بالتجلي و أنّ ملك الموت يتجلّى للمحتضر. كما ورد اصطلاح التجلي في القرآن في قضية موسى الكليم عليه السلام أيضاً: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾^٢.

فضل حفلة القرآن

هناك كتاب مشتمل على عدة أبواب في جوامعنا الروائية حول تلاوة القرآن و عظمة شأنه. و قد أفرد المرحوم الكليني رحمته الله في الكافي كتاباً باسم «فضل القرآن»^٣ و باباً باسم «فضل حامل القرآن»^٤، حيث يُستفاد من بعض الأخبار فيه أن حامل القرآن يُحشر مع الملائكة، و لا يكون كاليهود الذين حمّلوا التوراة و لكنهم لم يحملوها. فقد قال القرآن فيهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^٥. و قد تحدّث في عدة مواضع من هذه السورة عن خطر اليهودية محذراً

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٢.

٢. سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٥٩٦.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٣.

٥. سورة الجمعة، الآية ٥.

رواجها بين المسلمين، حيث قال: لا تفعلوا بالقرآن كما فعل اليهود بتوراتهم حيث حملناها عليهم فلم يحملوها و أعطيناها إياهم فلم يأخذوها.

فإن الفضل لمن حمل القرآن و فهم معانيه و عمل بأحكامه و تأدب بآدابه ثم أدرك حكمته، فمن انتهج مع القرآن هذا المنهج يعتبر حاملاً له.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة»^١ أي يحشر معهم.

و ما ذكر في عظمة القرآن يدل على أن باطن القرآن أعلى شأنًا يوم القيامة من المسلمين و الأنبياء و الملائكة حيث ورد في الخبر: «يجيء القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورة فيمرّ بالمسلمين فيقولون: هذا الرجل منّا، فيجاوزهم إلى النبيين فيقولون: هو منّا، فيجاوزهم إلى الملائكة المقربين فيقولون: هو منّا حتى ينتهي إلى رب العزة عزّ و جلّ...»^٢.

و السرّ في قوله «الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة»، هو أن الوحي ينزل عن طريق الملائكة: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾^٣. و روي عن الإمام الصادق عليه السلام نقلًا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حملة القرآن عرفاء أهل الجنة»^٤.

تعليم القرآن و تعلّمه

من شقّ عليه تعلّم القرآن و تحمّل هذه المشقة فله أجران، و من سهل عليه حفظه

١ . الكافي، ج ٢، ص ٦٠٣، ح ٢.

٢ . الكافي، ج ٢، ص ٦٠١، ح ١.

٣ . سورة عبس، الآية ١٥ - ١٦.

٤ . الكافي، ج ٢، ص ٦٠٦، ح ١١.

و تعلّمه فله أجر واحد. يقول الإمام الصادق عليه السلام كما في النقل: «إن الذي يُعالج القرآن و يحفظه بمشقة منه و قلة حفظ له أجران»^١.

و قال في موضع آخر: «ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلّم القرآن أو يكون في تعليمه»^٢.

فكما أنّ للمقاتل في ساحة المعركة ثلاث حالات، للمبارز في الجهاد مع الجهل و سائر الرذائل النفسانية أيضاً ثلاث حالات: لأنه في ساحة المعركة إما أن يُهزم، سواء يقرّ أو يؤسر؛ أو ينتصر؛ أو أنه يُستشهد في وسط المعركة.

و كذلك الإنسان في الجهاد مع الجهل و العدو الباطني أيضاً لا يخرج عن إحدى هذه الحالات الثلاث: إما أسير أو شهيد أو فاتح. فمن خضع للأميال و الرذائل النفسانية فهو أسير هواه. و من قال: أنا أفعل كل ما يشتهي قلبي؛ فقد هزم في ساحة المعركة ضدّ الكفر و الجهل الباطني، و الهزيمة هذه هي الوقوع في شرك الكفر و الأسر بعينه. و من وقف أمام الحق، فقد هزم و أسر في الجهاد مع هواه، و هو كمن يقف بشدة أمام من يعترض عليه بالحق. و لذا فمن يسعى دوماً لثلاث يقع في شرك الأميال و الرذائل النفسانية التي تسوقه إلى اقتراف الذنوب و يموت و هو في هذا الحال فهو شهيد في ميدان الجهاد مع العدو الباطني. و من ذلّ كل الرذائل بحيث لم تبق في باطنه صفة تؤذيه و تسوقه إليها فهو فاتح في ميدان الجهاد الأكبر.

ثم إنّ لكل أحد شيطان حيث ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليس منكم من أحد إلّا وله شيطان - قالوا: و أنت يا رسول الله؟ قال: - و أنا، إلّا أنّ الله أعانني عليه فأسلم»^٣.

١. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٦، ح ١.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٧، ح ٣.

٣. المحجة البيضاء، ج ٥، ص ٤٩.

فهل أننا في ساحة المعركة هذه منتصرون أو شهداء على أقل تقدير؟ أم لا سامح الله نستسلم أمام ذلة الذنوب و لا ذلة أشد من ذلة الذنوب؟
ولذا قال المعصوم عليه السلام بأن المرء إن جاهد الجهل وتعلم القرآن لتطويع الجهل، فهو فاتح في الجهاد الأكبر حقاً، وإن مات في حين التعلم فهو كالشهيد في ساحة المعركة.

وقد ورد في الأخبار أن من مات على فراش المرض مؤمناً بأحكام الله فقد مات شهيداً، والسّر في ذلك أنه لم يستسلم في ساحة الجهاد مع الهوى، وإن لم يُوفّق في تطويع جميع الأميال النفسانية فقد بلغ الدرجة التي لا يستسلم أمامها. ولذا قال الإمام: «ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن أو يكون في تعليمه»^١.
فعلى المرء أن يسعى لأن يكون في الجهاد مع الجهل إما فاتحاً أو شهيداً وأن لا يكون أسير جهله بتاتاً.
علماً بأن من تعلم القرآن ونسيه بعد مدة لعدم الاهتمام به فإنه قد لا يرتقي إلى الدرجات العالية، وقد وردت أخبار كثيرة في هذا الشأن^٢.

الاعتصام بالعهد الإلهي

قال الإمام الصادق عليه السلام: «القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية»^٣، لأنه قال هو عليه السلام أيضاً: «النظر في المصحف عبادة»^٤.

١. الأمالي للشيخ المفيد، ص ٧٤، المجلس ٧، ح ٥.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٧، ح ٣.

٣. راجع: الكافي، ج ٢، ص ٦٠٧.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٩، ح ١.

٥. الكافي، ج ٢، ص ٦١٤، ح ٥.

فإن تلاوة القرآن مستحبة على الدوام ولكنها تمتاز في شهر رمضان المبارك بميزة أخرى؛ حيث ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «من قرأ في شهر رمضان آية من كتاب الله عز وجل كان كمن ختم القرآن في غيره من الشهور»^١، فإن عظمة شهر رمضان تكمن في أنه أصبح وعاءً لنزول القرآن.

وإن هذا الكتاب لا يماثل الكتب الأخرى بحيث لو لم يعرف المرء معناه لا يقرؤه، بل أن في قراءته ثواب وبركة. فلا بد من السعي لإدراك معانيه والوصول إلى معارفه. وهو كتاب لا يتأتى لأحد الإتيان بها يضاهيه.

فإن نهج البلاغة معروف في الفصاحة ولكن إذا تخللت آية في وسط الخطب العالية لعلي بن أبي طالب عليه السلام تجد لها تالوفاً خاصاً ولا يمكن أن نضع كلمات الإمام إلى جانبها.

كما ولو توسّطت خطب النبي آية قرآنية لكانت بينة ناصعة فلا يمكن كذلك مقارنة القرآن بكلمات الرسول ﷺ.

وإن القرآن جبل الله ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾^٢، فعليكم التمسك بالحبل الإلهي الذي هو دين الله وكلامه فهو متصل بسقف قوي لا يزول. خذوا هذا الحبل واعتصموا به وارفعوا أنفسكم من الهاوية. إذ أن حبل القرآن طرف منه بأيدي الناس وطرف بيد الله.

والغور في القرآن والبحث في آياته لأجل معرفتها سبيل لا غاية له ولا نهاية حتى الوصول إلى مقام «لقاء الله». وهو مقام ممكن المنال والاعتصام بحبل الله لا انفصام له ولا زوال؛ لأنه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^٣.

١. بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٣٤١، ح ٥.

٢. سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٣. سورة فصلت، الآية ٤٢.

و من الواضح أنّ الإنسان الذي وصل إلى حكمة القرآن و حكمة تلاوته هو الذي يرى من الذي مسك بيده الطرف الآخر من الحبل. و لذا أمرونا بأن نقرأ في كل يوم خمسين آية من القرآن الكريم لتكون على اتصال بعهد الله، و ليُعلم أنّ القرآن حبل طرف منه بيد الإنسان و طرف بيد الله.

ثم أنّ آيات القرآن خزائن إلهية ليس لها انتهاء، فقد روي عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال:

«آيات القرآن خزائن فكّلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها»^١ من درر و لآلى، و لا ينبغي القول بأنّ البحث فيها قد تمّ و مضى، لأنّ القرآن كما يقول الإمام الباقر عليه السلام: «يجري مجرى الشمس و القمر»^٢، فكما أنّ الشمس و القمر تنير أيام حياة الإنسان، كذلك القرآن فإنه يهب للإنسان نوراً في ليله و نهاره و لا سبيل للضمور و الأفول إلى آياته قطّ. و هذا البيان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس.

فهم و شعور الكائنات

من المناسب أن نقول بأنّ فهم المفسرين للقرآن يختلف بعضه عن الآخر. فالبعض يقول مثلاً بأنّ المضاف في جملة ﴿وَسُئِلَ الْقُرَيْةُ﴾^٣ محذوف. فإنّ إخوة يوسف لما أخذوا أخاهم الآخر و لم يرجعوه، سألهم يعقوب عليه السلام: ماذا فعلتم بأخيكم؟ فقالوا: ﴿وَسُئِلَ الْقُرَيْةُ﴾، و المراد بذلك: أسأل أهل القرية بأننا لم نقصّر.

و يقول البعض الآخر بأنه لم يُحذف شيء من هذه العبارة و معنى قولهم ﴿وَسُئِلَ الْقُرَيْةُ﴾ أي سل نفس القرية. فإن استطعت أن تتكلّم بلسان القرية و كنت تعرف

١. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٩، ح ٢.

٢. تفسير العياشي، ج ١، ص ١١.

٣. سورة يوسف، الآية ٨٢.

منطقها ستجيبك جدرانها وأبوابها. سوى أنكم لا تقدرون على ذلك ولا يقدر عليه إلا من يعرف لسان الباب والجدار. وعلى هذا فلم يُحذف منها مضاف.

أليست جدران العالم وأبوابه فاهمة مدركة؟ وهل لا تشهد لصالحنا يوم القيامة إن كنا مطيعين؟ و تشهد علينا إن كنا مجرمين؟ أليست الأرض تشهد^١؟ والمسجد يشكو أو يشفع؟ فيتضح من ذلك أن لجميع الأشياء فهم وشعور.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه مرّ رجل على الحجر الأسود فقال: والله يا حجر إنا لنعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع... فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «... ليعثته الله يوم القيامة وله لسان و شفتان فيشهد لمن وافاه وهو يمين الله في أرضه يبائع بها خلقه»^٢ أي تجلي يمين الله.

وإن أهل المعنى ليستحيون من الذنب قائلين بأن لجميع مخلوقات العالم أعين مفتوحة ينظرون إلينا بها، فكيف نذنب في مشهدهم؟ فهم يتناولون القرآن و يقرؤونه بهذه الرؤية.

ومن كلمات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال: «طَيِّبُوا أفواهكم فإن أفواهكم طريق القرآن»^٣، ونقل الإمام الرضا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفواهكم طرق من طرق ربكم فنظفوها»^٤، أي لا تقتصروا على استيائك الأسنان بل نظفوا الأسنان واللسان و فضاء الفم. واجتنبوا الأكل المشبوه و ابتعدوا عن الكلام المشكوك ليؤهل فمكم أن يكون مجرى لألفاظ القرآن.

فلو مرّ القرآن الذي هو كوثر و ماء معين من فم غير طيب سيفقد أثره و يتأثر لونه

١. ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (سورة الزلزال، الآية ٤).

٢. بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٢٢١.

٣. كنز العمال، ج ١، ص ٦٠٣، ح ٢٧٥٢.

٤. بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ١٣٠.

وطعمه، ومن أراد أن يقرأ القرآن ويؤثر كلامه في نفوس الآخرين ويثأثر هو بسماعه فعليه أن يُطَيِّب فمه على الدوام.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «إنّ هذا القرآن مأدبة الله فتعلّموا مأدبته ما استطعتم»^١، أي أنّ القرآن مأدبة الله الحاضرة، لأنّه مأدبة خالية يأتي كل شخص بطعامه ليأكل عليها. ومعنى ذلك أنّه لا يحقّ لأحد أن يفرض ميوله على القرآن و يضع فهمه في صفاف القرآن؛ لأنّه مأدبة حاضرة يستطعم منها كلّ من كان محتاجاً لنبيل المعارف.

لسان أهل الجنة

إنّ تلقين الميت يقال باللغة العربية وذلك لأنّ باطن الإنسان القرآنيّ المسلم هو الذي يظهر بعد الموت، فيفهم العربية ويتكلّم بها جيداً. ولذا فإنّ لسان أهل الجنة هو العربية.

ولا ينبغي القول بأنّ من لا يفهم اللغة العربية كيف يتكلّم بها في الجنة؛ لأنّ لسان الجنة يتبع عقيدة أهل الجنة، وإنّ اللسان والوجه والهيئة تظهر في قالب يتناسب و قلب الإنسان. ولذا يُجشّر البعض على صورة إنسان والبعض على صورة حيوان والبعض بوجوه مسوّدة والبعض الآخر بوجوه مبيّضة^٢، فإنّ الذي يتولّى الصورة واللفظ والهيئة واللغة والكلمات هو الباطن لا الظاهر. وإنّ العقيدة في يوم القيامة هي التي تعلّم اللسان كيف يتكلّم.

وسيكون خطيب الجنة هو النبي داود عليه السلام؛ فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة واصفاً إياه بأنّه: «صاحب المزامير وقارئ أهل الجنة»^٣.

١. كنز العمال، ج ١، ٥٢٦، ح ٢٣٥٦؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٩.

٢. ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ...﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٠٦).

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.



فإنّ الحاكم في الموت وما بعده هو العقيدة ومن ارتحل عن الدنيا على عقيدة القرآن والإسلام فإنه يتكلم بالعربية ويفهمها يقيناً.

* * *

الفصل الثامن:

الدعاء وحكمته

آداب الدعاء

إنّ للدعاء أيضاً أحكام و آداب و أسرار. أما أحكام الدعاء فهي أن الإنسان ما الذي ينبغي أن يطلبه من الله، فهو مأمور بأن لا يطلب من الله أمراً محرماً، و لا يطلب منه ما يتضرر به الآخرون و... .

و أما آداب الدعاء فهي أن يدعو الله بصوت منخفض، و يعتقد أن رفع بالصوت ينافي الأدب. فقد قال الله في كتابه حول أدب الذكر أو الدعاء: ﴿وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ وَ لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^١، قوله بالغدو و الأصال كناية عن الاستمرار.

و يقول أيضاً في بعض خصائص الدعاء: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خِفَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^٢، يقول بعض المفسرين بأن الخفية هو الدعاء بصوت هادئ منخفض و في

١ . سورة الأعراف، الآية ٢٠٥.

٢ . سورة الأعراف، الآية ٥٥.

السرّ ومن جهر بصوته عالياً في الدعاء فهو معتدّ^١ قد تجاوز حدود الدعاء؛ لأن الله ليس ببعيد.

القرب الإلهي

تنقسم الآيات الدالة على قرب الله منا إلى أربع طوائف:

طائفة من الآيات تدل على أصل القرب و أن الله قريب من الإنسان، مثل: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾^٢.

و الطائفة الأخرى هي الآيات الدالة على أن الله سبحانه أقرب نسبياً من الآخرين إلى الإنسان مثل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾^٣.

و الطائفة الثالثة هي الآيات الدالة على أن الله سبحانه أقرب إلى الإنسان من شريان حياته أيضاً مثل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^٤.

و الطائفة الرابعة هي الآيات الدالة على أن الله سبحانه أقرب إلى الإنسان من نفس الإنسان مثل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ﴾^٥.

إن البحث في الطوائف الثلاث الأولى ليس بالأمر العسير. أما الطائفة الرابعة فلا

١ . كما يحتمل أيضاً أن يتعلق الاعتداء بأصل مسألة الدعاء، فإن الإنسان إن أعرض عن الدعاء فقد تعدى عن حدّ و وظيفة العبودية و المعتدي و المتجاوز مبغوض عند الله.

٢ . سورة البقرة، الآية ١٨٦.

٣ . سورة الواقعة، الآية ٨٥.

٤ . سورة ق، الآية ١٦.

٥ . سورة الأنفال، الآية ٢٤.



يمكن حلها بسهولة؛ وهي أن الله سبحانه كيف يكون أقرب إلى الإنسان من الإنسان نفسه؟ ومن هنا فسرت بعض التفاسير هذه المسألة بحيلولة القدرة تبعاً لظاهر بعض الأحاديث حيث تقول بأن المراد من قوله ﴿يَحْوُلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ هو أن الله قد يفسخ عزيمة الإنسان وينقض همته^١. وهذا معنى متوسط تقريباً؛ بيد أننا إذا وجدنا دليلاً عقلياً يطابق الآية و طائفة من الأدلة النقلية المؤيدة لذلك، لما وسعنا الابتعاد عن ظاهر الآية القائلة بأن الله يحول بين المرء و قلبه. فإن الإنسان ليس بموجود صمدي ممتلئ الداخل، بل هو كسائر الموجودات الممكنة أجوف، كما ورد ذلك في الحديث الذي نقله المرحوم الكليني ثبت^٢، و لو كان كذلك، لكان الذي يحول بين الإنسان و نفسه هو الإحاطة الوجودية للحق. و لذا فإن الله قريب من جميع البشر، و من يطلب من الله شيئاً لا بد و أن يعلم بأن الله ليس ببعيد.

الحبيب أقرب مني إليّ و العجب أني عنه بعيد

فماذا أصنع و لمن أقول بأنه إلى جانبي و أنا مهجور غريب^٣.

فمن أدرك بأن الله قريب منه سيتبين له أسلوب الدعاء؛ بأن يدعو الله بخفية و هو واثق بأنه عارف بجميع ما يحتاج إليه. لأن صفات الله الذاتية هي عين ذاته. فإن كان الله قريباً، فهو قريب بجميع صفاته و لو حضرت صفاته الذاتية كالقدرة و ما شاكلها فإن الصفات الفعلية تتبعها أيضاً في الحضور و التأثير.

إذن فإنّ أدب الداعي هو التضرّع و الابتهاال؛ لأن الدعاء لو خلا من الابتهاال لبان بأن الداعي كان قد اتكل على ما يمتلكه بنفسه من وسائل.

١. مجمع البيان، ج ٤، ص ٨٢٠.

٢. عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله عزّ و جل خلق ابن آدم أجوف» (الكافي، ج ٦، ص ٢٨٢).

٣. بيتان بالفارسية و هذا نصهما:

دوست نزدیكتر از من به من است	وین عجب تر كه من از وي دورم
چه كنم با كه بگویم كاین او	در كنار من و من مهجورم

النداء أم النجوى؟

لا بد من الدعاء بالتضرع والابتغال والخفاء بعيداً عن الآخرين كما في الآية ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾^١، فإنَّ حضور الذهن في الدعاء الجماعي لا يتيسر للجميع، ولا يتحتم على الإنسان في مثل ذلك أن ينادي فإن المناجاة أولى من المناداة وللنجوى فضل آخر.

وقد ورد في سورة البقرة بعض آداب الدعاء. فإن شعر الإنسان بأنه بعيد من الله دعاه عبر النداء سواء صرَّح بحرف النداء «يا رب» أم لم يصرح به «رب». وأما إذا قرب من الله قلَّ دعاؤه بالنداء أو أنه يستبدله بالنجوى.

وقد نقل المرحوم الكليني رحمته الله وغيره في باب آداب الدعاء بأن المرء أن يقول عشر مرات «يا رب» ثم يقول «رب»^٢.

فلا يجب ذكر «يا» ليكون حذف حرف النداء طريقاً لاستبدال المناداة بالمناجاة. يقول النبي الأعظم عليه السلام في الخطبة الشعبانية: «وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم، فإنها أفضل الساعات ينظر الله تعالى فيها بالرحمة إلى عباده و يجيبهم إذا ناجوه و يلييهم إذا نادوه». فقد يشعر العبد بالبعد كالذي ورد في النبي يونس عليه السلام: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ...﴾^٣.

وقد ورد في أخبار المعصومين عليهم السلام و سيرتهم بأن الإنسان إذا رفع يده بالدعاء يستحب أن يمسح يده على رأسه و وجهه لأن الله قد أجاب هذه اليد بلطفه، فإن اليد

١. سورة الأعراف، الآية ٥٥.

٢. الكافي، ج ٢، ٥٢٠؛ بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ١٤٢.

٣. سورة الأنبياء، الآية ٨٧.



التي رفعت إلى الله للدعاء لا ترجع خالية على اليقين و اليد التي مثلت بالعطاء الإلهي كريمة ولذا يستحب مسحها على الوجه أو الرأس^١.

و كان الإمام السجاد عليه السلام إذا أعطى السائل قبل يده فقيل له: لم تفعل ذلك؟ قال: «لأنها تقع في يد الله قبل يد العبد»، فإن الله يقول: ﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾^٢. فمن يملك هذه الشامة، يمكنه عبر شَمِّ اليد أن يشم عطر علامة اليد الإلهية أيضاً. و من هذه الحِكَم ما ورد بأن الجنة يُشَمَّ ريحها من مسيرة ألف عام فمن الناس من يجد ريحها ومنهم من يُجرَم ذلك^٣.

هدية العجز و الذل

ينقل المرحوم الفاضل التوني في الدرس بياناً عن مشايخه العظام و هو أن على العبد أن يقدم لمولاه هدية لا توجد عنده و إلا لفقدت قيمتها. و على الإنسان الذي هو عبد لله أن يقدم له هدية لا توجد عند الله و عدم الوجدان هذا يكون كما لا أيضاً.

فلو قال العبد: إلهي لقد اجتهدت و درست طيلة عمري، لتعذر مقارنة الدرس و اكتساب العلم بعلم الله تقدست أسماؤه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾^٤، فكيف يتأتى للإنسان أن يقدم هذا العلم هدية للعالم المطلق؟

و لو قال امرؤ: لقد عانيت و قدمت العديد من الخدمات، لما أمكن مقارنة هذه الخدمات و القدرة و الجهود بذلك الفيض الذي يُدلي به الله سبحانه في كل يوم. هذا إضافة إلى أن هذه الخدمات الضئيلة أيضاً تابعة من فيضه، إذن فهاذا يقدم الإنسان إلى

١. بحار الأنوار، ج ٨٣، ص ٢١٠؛ فلاح السائل، ص ١٨٧.

٢. سورة التوبة، الآية ١٠٤.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٣٤٩.

٤. سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

الله؟ ولا يجدر أن يذهب صفر اليدين أيضاً. فإن قال: جئت بالعلم، فهناك خزانة العلم العظمية، وإن قال: جئت بالقدرة والخدمة، يرى قدرة الله المطلقة، وإن قال: جئت بالتضحية والإيثار، يشاهد الإيثار والإحسان المحض، فما الذي يقدمه إذن؟ نقول بأن العبد إذا تشرف بخدمة مولاه لا ينبغي له إلا تقديم المسكنة والضعف والعجز والبكاء والابتهاال والتضرع. وحرى بالعبد إذا مُثل أمام ربه سبحانه أن يقول: لا أملك سوى العبودية. فإن إظهار العجز والإفصاح عن الفقر كمال بذاته. وفي هذا المجال يقول أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً ربه: «إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً»، أنا اعترف بربوبيتك وعبوديتي. فحقيق بالعبد أن يقدم عجزه وذله وحقارته؛ وأما باقي المسائل فهي الأعظم والأكثر هناك.

ثم يتابع الإمام مناجاته قائلاً: «أنت كما أحب فاجعلني كما تحب». هذه الجملة الثلاث من الأدعية المعروفة لأمير المؤمنين عليه السلام.

الدعاء والقضاء والقدر

واحدة من الشبهات الواردة في مسألة الدعاء هي أن القضاء والقدر الإلهي حق وأن الله سبحانه عالم بجميع الأمور منذ الأزل، والمسألة المطلوبة مقضية من الأزل بأنها تتحقق أم لا. فلو كان القضاء على التحقق لا يبقى للدعاء أثر؛ لأن المسألة نفسها حاصلة. ولو كان القضاء على عدم التحقق لما بقي للدعاء نفع كذلك؛ لأن المسألة المحتمومة على عدم التحقق لا تحصل بالدعاء.

والجواب: أن هذا الإشكال مشترك بين الدعاء والصدقة وصلة الرحم وأمثالها ولذا لا بد وأن يكون الجواب مشتركاً كذلك.



إن «البداء» له دخل في عالم الحركة وهو عالم التحول والتغيير والتبديل، وهو في التكوينيات كالنسخ في التشريعات. فإنّ هناك تحوّل وتبدّل في إطار عالم الطبيعة وقد قدّر الله سبحانه بأن الصدقة وصلة الرحم والدعاء تتسبب في تحقق العمل الفلاني وأنّ عدم الإتيان بها يوجب عدم تحقق ذلك العمل. ومن جانب آخر فإن الله سبحانه يعلم بأن الشخص الفلاني سيدعو ويتنفع والآخر لا يدعو ولا ينتفع. إذن فلا جهل في علم الله ولا إيهام في عالم الوجود. وقد أرشدونا إلى الدعاء والصدقة وصلة الرحم وأمثالها بأنها مؤثرة إذا أردنا التمتع بمزيد من الخير والحرمان منه في تركها.

إذن فهناك مسألتان: الأولى هي صحيح أن جميع الأمور منتظمة منذ الأزل، بيد أنه قد تم تنظيم كل أمر بعلمه وأسبابه ومن هذه العلل والأسباب في دائرة الحركة وعالم التحول هي الدعاء والصدقة وصلة الرحم وأمثالها. ولو اجتزنا حدود التحول ولوح المحو والإثبات وصلنا إلى عالم القضاء المحض، فلا يبقى هناك مجال للصدقة وصلة الرحم والدعاء.... فإن الدعاء وإن كان أمراً عبادياً وهو مستقل عمّا نحن فيه غير أنه لا يترك أثره في التغيير والتبديل إلا في دائرة لوح المحو والإثبات فما دون لا في عالم اللوح المحفوظ.

والمسألة الأخرى هي أن الله يعلم بأن الشخص الفلاني سيصل رحمه وبالتالي سيتمتع بعمر طويل والآخر سيقطع رحمه ويحرم من العمر الطويل. فلا تردد وإيهام في علم الله ولا في واقع الأمر كذلك؛ ولا ينبغي القول: بأن القضاء والقدر حق فلماذا الدعاء؟ لأن الدعاء نفسه جزء من القدر. أي أن الله قدّر بأن الدعاء سيسبب وقوع الحادث الحسن الفلاني ويدفع الواقعة السيئة الفلانية. ولذا فإن للدعاء أثر وهو جزء من القضاء والقدر في العالم.

فإن الله الذي يقول: ﴿وَسُئِلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾^١، هو نفسه قد حدّد القضاء و

القدر قائلاً: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^١، أو: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^٢، هو نفسه قال أيضاً: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^٣.

التسليم والإخلاص في الدعاء

إن الدعاء بنفسه أمر عبادي كما ورد في الآيات والروايات، ولذا يقول البعض: إلهي لقد أمرتنا بالدعاء ونحن نجيبك؛ سواء تحقق المطلوب أم لا. فإن هؤلاء هم خاصة أوليائك القائلين: «حسبي من سؤالي علمه بحالي»^٤ وهم تسليم محض. فمن كان تسليماً محضاً يدعو تأدباً طاعة لله لأنه أمر بالدعاء ولأنه أمر عبادي، فهو مسلمٌ محض وراضي لرضا الله سواء أعطاه الله أم لا. فهو لا يدعو إلا لكون الدعاء عبادة.

يقول الله في سورة غافر حول الدعاء: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فأمر بالدعاء و وعد بالإجابة والظاهر أن المراد هو الحث على الدعاء، ولكنه يذم في تمتها المعرضين عن الدعاء قائلاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^٥، ويقول في آية أخرى: ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^٦.

١. سورة الرعد، الآية ٨.

٢. سورة القمر، الآية ٤٩.

٣. سورة غافر، الآية ٦٠.

٤. وهو قول النبي إبراهيم عليه السلام حين وضعوه في المنجنيق ورموا به إلى النار ف تلقاه جبرئيل في الهواء فقال: هل لك من حاجة فقال: أما إليك فلا حسبي الله ونعم الوكيل، فاستقبله ميكائيل فقال: إن أردت أخذت النار فإن خزائن الأمطار والمياه بيدي فقال: لا أريد، وأناه ملك الريح فقال: لو شئت طيرت النار قال: لا أريد، فقال جبرئيل: فاسأل الله فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي (بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ١٥٥، ح ٧٠).

٥. سورة غافر، الآية ٦٠.

٦. سورة الفرقان، الآية ٧٧.

ثم إنّ كل عبادة دعاء و كل دعاء عبادة، ولذا فضلاً عن استجابة الدعاء عند المصلحة، فإنّ الدعاء لكونه عبادة يكون للداعي فضلاً ويثبت له درجة من درجات الجنة.

ومن أجل أن يتضح بأن الدعاء أمر عبادي و مطلوب، تعرض لمسألة الإخلاص في الدعاء قائلاً: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^١، أي تعرضوا للدعاء الذي هو من خصال الدين و شؤونه، و ادعوني بإخلاص و لا تضموا إليه شيئاً آخر؛ لأن ما عندنا قد ينفد بسرعة و ما عند الله باق.

و علامة الزهد أن يثق الإنسان بما في يد الله أكثر مما في يده فقد ورد: «أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عز و جل»^٢، فلا بد أن يكون وثوق الإنسان بما في خزانة الله أكثر مما في خزانته، لأن دعاء من يعتمد على خزانته عارٍ عن الإخلاص.

و الدعاء الخالص يحظى بالتكريم بوصفه عبادة كريمة، كما في سائر الموارد التي جرى فيها الحديث عن الدعاء حيث قال: إن الله يستجيب دعاء المؤمنين لأنه عن إخلاص: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فيلبي سؤلهم و زيادة، لأنهم طلبوا ما لصالحهم فيعطيه وفق ذلك و يزيدهم أجراً لكون الدعاء عبادة ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾^٣.

الدعاء في أرض منى

يتفرغ الحجاج في أرض منى و يبيتون فيها ليالي بعد إكمال مناسكهم في عرفات و المشعر و منى و الذبيح. و كان الناس في الجاهلية و في هذه الأرض المقدسة يفتخرون

١. سورة غافر، الآية ١٤.

٢. بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٣١٠، ح ٤.

٣. سورة الشورى، الآية ٢٦.

بأجدادهم و يذكرون آبائهم، سوى أن الله يقول في كتابه: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾^١، ثم يقول بأن دعاء المؤمنين في منى هو: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^٢، فهم في طلب حسنات الدنيا والآخرة وخيراتها، ومعنى ذلك أنهم يطلبون شيئاً حسناً حلالاً طيباً طاهراً وهذا دعاء حسن. فإن الولد الصالح والزوجة المؤمنة والصديق المؤمن والمعلم الصالح والتلميذ الجيد والمباحث المفيد والكسب الحلال والأيدي الاقتصادية الجيدة والقوى العسكرية المقتدرة، كل هذه من حسنات الدنيا. فمن كان يعمل مع أناس مؤمنين صالحين، فذلك من حسنات محل كسبه.

و أما الطائفة الأخرى، فهم الذين يطلبون زخرف الدنيا وزبرجها لا الحسنة: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾^٣، ولا يقتصر هذا على قولهم بل هو منطقهم وفكرهم كذلك حيث تخلو صفقتهم من المعنويات. فمن أراد الوصول إلى الخير، لا يسأل الله أن يعطيه الشيء الفلاني، إذ أن الله في كثير من الموارد يعطي للإنسان نفس ما جرى على لسانه ليمتحنه. ولذا أفضل دعاء هو أن يطلب فضل الله ولطفه وخيره قائلاً: رب هب لي حسنات الدنيا والآخرة.

نماذج من أدعية أولياء الله

علينا أن نتعلم طريقة الدعاء من إبراهيم الخليل عليه السلام، إذ يقول لله سبحانه: ﴿فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾^٤، أي إلى ذريتي واجعلهم محبوبين بين المؤمنين.

١ . سورة البقرة، الآية ٢٠٠.

٢ . سورة البقرة، الآية ٢٠١.

٣ . سورة البقرة، الآية ٢٠٠.

٤ . سورة إبراهيم، الآية ٣٧.



و قد بين القرآن الكريم طريق المحبوبة بين المؤمنين حيث يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^١.

و هل يوجد شيء أسمى وأعلى من أن يكون الإنسان محبوباً في قلوب المؤمنين؟ فإن هذا الطريق وإن كان صعباً عسيراً ولكنه ليس بمظلم معتم، بل هو طريق بين للغاية. فإن الصراط المستقيم لا يعني الطريق المعبد، بل هو الطريق الذي يحتاج إلى الثبات والاستقامة، ومآله السعادة لا محالة.

و يقول الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «ليس من مؤمن يقبل بقلبه في صلاته إلى الله إلا أقبل الله إليه بوجهه وأقبل بقلوب المؤمنين إليه بالمحبة له بعد حب الله إياه»^٢. و أي شيء أفضل من أن يكون الإنسان محبوباً عند الله وفي قلوب المؤمنين.

و جاء في دعاء أبي حمزة الثمالي: «الحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي وأخلو به حيث شئت لسري بغير شفيع فيقضي لي حاجتي»^٣.

و روي أيضاً عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «احتجب بغير حجاب محبوب و استتر بغير ستر مستور»^٤. و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا حجاب بينه وبين خلقه»^٥، و لذا قالوا: «وجودك ذنب لا يقاس به ذنب».

لا يوجد حجاب بين العاشق والمعشوق سوى نفسك فأزحها^٦.
فهنيئاً لمن يسير في هذا الطريق بغير حجاب.

١. سورة مريم، الآية ٩٦.

٢. أمالي الشيخ المفيد، ص ١٦٤، المجلس ١٨، ح ٧.

٣. مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي.

٤. بحار الأنوار، ج ٣، ص ٣٢٧، كتاب التوحيد، الباب ١٤.

٥. الكافي، ج ١، ص ١٣٩.

٦. بيت بالفارسية في ديوان حافظ، الغزل ٢٦٦، وهذا نصه:

ميان عاشق و معشوق هيچ حایل نیست تو خود حجاب خودی حافظ از میان برخیز

العلو و الرفعة في الدعاء

تدل أدعية علي بن أبي طالب عليه السلام على روجه الكبيرة وعلى معرفته الحقبة بالله، و لذا تراه يطلب من الله الغنى و كذلك الآثار و الصفات الإلهية، فيدعوه سبحانه قائلاً: «اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها من كرائمي و أول ودعة ترجعها من ودائع نعمك»، حيث يطلب من الله أن تكون روجه هي أول نعمة يقبضها منه، لا أن يأخذ أولاً أعضائه و جوارحه فيكون محتاجاً إلى ولده و تحيّم على حياته المذلة و المسكنة ثم يُميته. و هذه الخصلة نجدها في سائر أدعية أهل البيت عليه السلام.

فقد ورد في دعاء لأمر المؤمنين عليه السلام و كذا للإمام السجاد عليه السلام: «اللهم صن وجهي باليسار، و لا تبذل جاهي بالإقتار، فأسترزق طالبي رزقك، و أستعطف شرار خلقك، و أبتلي بحمد من أعطاني، و أفتنن بدم من منعني، و أنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء و المنع»^٢.

و قد علمنا أهل البيت عليه السلام في الدعاء أن نتصف بروح عالية رفيعة و أن ندعو كما يدعون. فلا نطلب من الله كثرة المال بتاتاً، بل نطلب منه الكرامة فإنّ المال إن اجتاز عن حدّه صار وبالاً علينا.

و إنّ الإنسان الكريم، هو المتصف بالعلو و الرفعة الذي لم تتلوث نفسه و سريره بالطبيعة و لا يُطلق الكريم على أيّ أحد.

عظمة النبي ﷺ

نزل رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع تحت شجرة على شفير وادٍ، فأقبل سيل

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢١٥.

٢. نهج البلاغة، الدعاء ٢٢٥؛ الصحيفة السجادية، الدعاء ٩٩، ص ٢٠ (دعاء مكارم الأخلاق).



فحال بينه وبين أصحابه، فرآه رجل من المشركين والمسلمون قيام على شفير الوادي ينتظرون متى ينقطع السيل، فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمداً، فجاء وشدّ على رسول الله ﷺ بالسيف ثم قال: من ينجيك مني يا محمد؟ فقال: «ربي وربك»، فنسفه جبرئيل عليه السلام عن فرسه فسقط على ظهره فقام رسول الله ﷺ وأخذ السيف وجلس على صدره وقال: «من ينجيك مني يا غوث؟»، فقال: جودك وكرمك يا محمد، فتركه فقام وهو يقول: والله لأنت خير مني وأكرم. وهذه هي روح الكرم التي يتحلّى بها الإنسان العظيم الكامل.

وفي المناجاة الشعبانية أيضاً لم يجر الكلام عن الدار ومستلزمات الحياة والمسائل المادية، فإنها تُعطى للآخرين أيضاً، وإن الله يرزق الكفار والمنافقين بأسرهم، بل ويرزق السباع الضاريات كذلك، وهل هناك كائن حيّ تركه الله من دون رزق حتى نطلب منه ذلك؟ علماً بأنّ هذا أيضاً ينبغي طلبه ولا بد من الشعور بالافتقار إلى الله للوصول إليه ولا شك في هذا الأمر؛ ولكن لا بد وأن يكون الإنسان أعلى همة من ذلك.

روي أنه كان بين الإمام السجاد عليه السلام وبين رجل آخر منازعة ف قيل للإمام: لو ركبتم إلى الوليد بن عبد الملك ركة لكف عنك من رغب شره، وكان هو بمكة والوليد بها فقال عليه السلام: «ويحك أفي حرم الله أسأل غير الله عز وجل، إني لأنف أن أسأل الدنيا خالقها فكيف أسأل مخلوقاً مثلي»^١.

علو الهمة في الدعاء

لا بد أن نصل إلى هذه المرتبة وهي أن نكون بين المصلين أمثلهم وبين الصائمين

١. الكافي، ج ٨، ص ١٢٧.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٦٣، ح ٢٠.

أفضلهم و بين المقاتلين أعلاهم. وإن المعارف الدينية هي التي تهدينا إلى المهمة العالية و ترشدنا إلى أن الطريق مفتوح و الوصول إلى المقام الرفيع لا يختص بزمرة معينة.

ففي بعض فقرات دعاء كميل نسأل الله تعالى قائلين: «و اجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك و أقربهم منزلة منك و أخصهم زلفة لديك»، و لا تكون همتنا أن لا ندخل النار، فإن هذا ليس بالأمر الهام، إذ أن الله لا يحرق بالنار في يوم القيامة الكثير من الناس كالأطفال و المجانين و كذا المستضعفين الذين لم تصل إليهم المعارف و الأحكام الإلهية.

ولذا قالوا: اطلبوا من الله أن تكونوا من أعلى الناس و أفضلهم. ولذا نسأل الله في ليالي الجمعة أن يرفعنا إلى مقام لا يرقى إليه أحد (غير الأنبياء و المعصومين عليهم السلام) فإن حسابهم على الله).

و قد روى الحسين بن علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله يحب معالي الأمور و يكره سفاسفها»^١ و السفاسف: المتدني و الحقير. فلا ينصب سعي الإنسان على أن لا يدخل النار يوم القيامة و أن تقتصر عبادته على ذلك فإنها عبادة العبيد. و قد أرشدونا إلى إحياء الهمم العالية في نفوسنا و طلب معالي الأمور من الله سبحانه و تعالى.

و إن الحسين بن علي عليه السلام الذي نقل الحديث المذكور عن النبي ﷺ، قد علمنا بسيرته و نهجه العملي كيف يصل الإنسان إلى مرتبة رفيعة و كيف تكون الأمة أمة سامية عالية المهمة.

فإنه لما قيل له: تخرج إلى مكة فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك و إن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن... فإن اطمأنت بك الدار و إلا لحقت بالرمال و شعوب



الجبـال و جُزّت من بلد إلى بلد حتى تنظر ما يؤول أمر الناس و يحكم الله بيننا و بين القوم الفاسقين، قال: «و الله لو لم يكن في الدنيا ملجأ و لا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية»^١. حيث تعلّم الإمام هذه الهمّة و الفكر السامي من ذلك الحديث، و قد ربّى هذا الحديث الشريف لرسول الله ﷺ ولداً كهذا. فإنّ منطق الإمام عليه السلام و فكره هو أنه لو ساد الحجاز و العراق و اليمن و الكوفة و البصرة بل و العالم بأسره الاضطراب و تضافر الجميع على قتاله لما أعرض عن القيام؛ و هذه هي الروح العالية. و من نشأ و ترعرع في أحضان هذه المدرسة لما قال بتاتاً: بأن الخليج غير آمن، و مضيق هرمز غير آمن؛ بل الكلام عن كيفية الإيثار و التضحية؛ إذ قد حلّ بالخوف الخوف في مدرسة الإمامة، و لا سبيل له أن يمثل أمام أولياء الله متعجرفاً.

التوسّع في الدعاء

يقول الحكيم المتألّه ابن سينا في بيان لطيف: «استوسع رحمة الله»^٢، و يذكر المرحوم الخواجه نصير الدين الطوسي، في مقدمته على قسم المنطق من شرح الإشارات بأن هذه العبارة أشبه إلى الرواية منها إلى عبارة في كتاب عادي.

يقول ابن سينا: استوسع رحمة الله، و ائذن للآخرين بالدخول تحت غطاء هذه الرحمة الواسعة. فعلينا في مظانّ استجابة الدعاء أن نترفع في أدعيتنا و أن نغطي الجميع تحت غطاء دعائنا.

نزل رجل عصر يوم عرفة من الجبل و عيناه إحداهما متضررة و الأخرى محمرة من كثرة البكاء، فقال له بعض أصحابه لِمَ كَلَّ هذا العناء و البكاء؟ فقال إني طوال هذه

١. هذه العبارة في جواب محمد بن الحنفية. (بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩).

٢. «و لا تصغ لك من يجعل النجاة وفقاً على عدد و مصروفة عن أهل الجهل و الخطايا صرفاً إلى الأبد و

استوسع رحمة الله تعالى» (الإشارات، ج ٣، ص ٣٢٨).

الفترة لم أطلب لنفسي شيئاً وكانت كل أدعيتي للمؤمنين ولأصحابي. فهؤلاء هم أصحاب النفوس العالية الذين ترعرعوا في أحضان أهل البيت عليه السلام. وإن الدين القائل: إذا قمت عند السحر لصلاة الليل، فاستغفر لعدد كبير (أربعين نفراً أو يزيدون)، يقول أيضاً: اقض في اليوم حاجة أربعين مؤمناً. فإنه حين يوصي بالقيام بالليل والدعاء للآخرين، يؤكد أيضاً على قضاء حوائجهم في النهار أيضاً. وإن هذه الوصية تعلّم الإنسان درس الكرم واستضافة الآخرين.

يقول الإمام السجاد عليه السلام في الدعاء المعروف لأبي حمزة الثمالي: «اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا، ذكرنا وأثنا، صغيرنا وكبيرنا، حرنا ومملوكنا»، فقد يستغفر للجميع تحت عنوان عام وقد يذكر هذه الأصناف طائفة طائفة. فلا ينبغي للإنسان أن يقتصر في دعائه على نفسه وأقربائه، بل لابد وأن يكون دعاؤه عالياً يشمل الجميع.

دعا رجل للنبي ﷺ ولنفسه بالاستغفار (على سبيل المحصر) وكان النبي حاضراً فقال: «إذا دعا أحدكم فليعمّ فإنه أوجب للدعاء»^١ أي للإجابة.

وقال الإمام الرضا عليه السلام في دعاء له وهو ينبأ عن كرمه وعلو شأنه: «و اغفر لمن في مشارق الأرض ومغاربها من المؤمنين والمؤمنات»^٢. وإن كلام الحكيم المتأله، ابن سينا: «استوسع رحمة الله»، يحكي عن مضمون هذه الروايات.

الدعاء المستجاب

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «تبَحّروا قلوبكم فإن أنقاها الله من حركة الواجس

١. بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٣١٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١١٧.



لسخط شيء من صنعه فإذا وجدتموها كذلك فاسألوه ما شئتم^١، فإن دعاء الموحد مستجاب، والموحد هو الذي لا يوجد في قلبه سوى الاعتقاد بالله.

وأما الكفار والمنافقون فلا تُفتح لهم أبواب السماء: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾^٢، والقائمون على السماء ملائكة يهديهم الله بوحيه: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾^٣. وإن لهذه السماء ظاهر يضم الأنوار الظاهرية و سرّ و باطن يحتوي على الأنوار الباطنية.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في جواب من سألته: كم بين السماء والأرض؟ مشيراً إلى السماء الظاهرية والباطنية: «بين السماء والأرض مدّ البصر ودعوة المظلوم»^٤.

فمن أراد الدعاء و وصول صوته إلى باطن السماء واستجابة دعائه على الحتم، عليه قطع جميع علاقته وكل ما يرجوه من غير الله. و بمقدار توحيد الإنسان يُستجاب دعاؤه، فإن الله لا يردّ دعاء الموحد و بمقدار توحيدِهِ يستجيب دعاءه. فإن دعا المظلوم آيساً عن عون كل أحد، فسيُستجاب دعاؤه على اليقين.

و المظلوم على قسمين: الأول هو المظلوم الذي قد يتكل على الآخرين، فإن دعاءه ليس بدعاء موحد. والثاني هو المظلوم الذي لا يجد من ينصره و لا من يلجأ إليه و يطلب المعونة منه سوى الله. فيكون دعاء المظلوم هذا هو الفاصل بين الأرض و باطن السماء كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

و روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لما حضرت علي بن الحسين عليه السلام الوفاة ضمني إلى صدره ثم قال: يا بُنَيَّ أوصيك بها أوصاني به أبي عليه السلام حين حضرته الوفاة و

١. آمالي الشيخ المفيد، ص ٦٧، المجلس ٧، ح ١.

٢. سورة الأعراف، الآية ٤٠.

٣. سورة فصلت، الآية ١٢.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٨٨.

بما ذكر أن أباه أوصاه به فقال: يا بُنَيَّ إياك و ظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله^١.
فإن جميع أقسام الظلم مذمومة، ولكن لا تظلموا من لا ملجأ له سوى الله فإنّ
دعاءه مستجاب لا محالة.

و لا يتحتم أن يكون الإنسان محروماً من جميع الوسائل حتى يكون موخداً، بل لا
يصل إلى التوحيد في الدعاء إلا إذا رأى نفسه محروماً من جميع الوسائل و أنها عديمة
التأثير.

و لابد أن يصل الدعاء إلى موضع صدور الأوامر و هو العرش، فإنه مقام حكم
الله سبحانه و سلطنته، فهو مالك الدنيا و الآخرة و يدير عالم الوجود بهذا المقام. وإنّ
ما قاله رسول الله ﷺ: «إنّ اليتيم إذا بكى اهتزّ له العرش»^٢، يدلّ على أن مقام الملك
و السلطنة هو الذي يُقرر في مسألة ظلم اليتيم.

صفاء الباطن

القلب الذي لا يحمل في مكنونه سوى رضا الله و إحياء دينه فهو قلب طاهر.
و قال رسول الله ﷺ في الخطبة الشعبانية: «فاسألوا الله بركم بنيات صادقة و
قلوب طاهرة». و المراد بالقلب الطاهر كما قال الإمام الصادق عليه السلام هو: «القلب
السليم الذي يلقي ربه و ليس فيه أحد سواه»^٣. و قال الإمام الحسن عليه السلام: «و أنا
الضامن لمن لريه جس في قلبه إلا الرضا بما قضى الله أن يدعوا الله فيستجاب له»^٤.
قلت متى تسأحي و ترحمني و أنا الضعيف، قال في الوقت الذي لا تكون نفسك

١ . الكافي، ج ٢، ص ٣٣٣، ح ٥.

٢ . بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٥.

٣ . الكافي، ج ٢، ص ١٦.

٤ . الكافي، ج ٢، ص ٦٧، ح ١١.



حائلاً فينا بيننا^١.

فإن «الأنا» تحرم الإنسان من الفيض وتجّره إلى مشقة دائمة والتخلي عنها يؤول إلى الدعة والاستقرار.

حينما كان الإمام الخميني رحمته الله في النجف، استجازوه لترجمة رسالته العملية إلى اللغة الأردنية وإرسالها إلى الباكستان، فقال سباحته: هل لا توجد رسالة هناك؟ قالوا: نعم توجد رسالة لبعض المراجع، قال: هذا يكفي!

وقال المرحوم الحاج الشيخ محمد تقي الأملي (١٣٩١ - ١٣٠٤ هـ)، وهو فقيه متكلم متأدب بالأدب الإسلامية، ويوصف بالتواضع والعظمة والكرم: رأيت في عالم الرؤيا بأن العدو قد هاجمني فجأهته وتشابكت معه ولكنه لم يتركني، فاضطرت للنجاة من شره أن أعضّ على يده بقوة؛ ثم استيقظت من منامي وأنا في هذا الحال فرأيت بأني قد عضضت يدي! أي أخبروني في عالم الرؤيا بأن عدوك نفسك ليس إلا فأنج منها. فإن العداء ينبثق من أنفسنا لا من الغير. وإن الله لا ينعم على أي أحد مثل هذه المنامات الحسنة ليفهم الإنسان أن عدوك نفسك.

روي عن النبي ﷺ أنه قال في وصاياه لأبي ذر: «يا أبا ذر ما زهد عبد في الدنيا إلا أثبت [أثبت] الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره بعيوب الدنيا ودائها ودوائها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام»^٢.

إذا لم يواظب الإنسان في يقظته فلا يحظى على منامات ورؤى جيدة.

فضيحة الشرك

لا يوجد شيء في يوم القيامة أشد سوءاً من فضيحة الشرك، فإن نجونا من هذا

١. بيت بالفارسية في ديوان حافظ، الغزل ٣٠٧، وهذا نصه:

گفتم که ب بخشب بر جان ناتوانم گفت آن زمان که نبود جان در میان حایل

٢. مكارم الأخلاق، ج ٢، ص ٥٤٥؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٣.

العار يكون هناك أمل للنجاة. وإن الشرك مكنوز في سريرة الكثير منا ولا سبيل لتشخيصه بالنسبة لنا فضلاً عن علاجه لأننا دوماً نتكل على غير الله في أعمالنا ونؤدي العبادة من باب العادة! فهل حدث بأن لا نمّ يد الطمع إلى غير الله في أعمالنا؟ وأن لا نتكل على أنفسنا أو عملنا؟

فقد جاء في أواخر سورة يوسف: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^١. والسرّ في ذلك قول الناس: لو لم يكن فلان لما تمّ إنجاز هذا العمل. وكذا ما تداول فيما بيننا من القول: نعتمد أولاً على الله ثم على فلان، فإنّ هذه التعابير ليست بتعابير توحيدية لأنه ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^٢، هو الأول الذي لا يقابله ثانٍ.

وسئل الإمام عليه السلام عن جواز القول: لولا أن من الله علي بفلان هلكت؟ قال: «نعم لا بأس بهذا»^٣. فلا بد من النظر إلى الفاعل الحقيقي والنظر إلى الحق ظاهراً، إذ أنّ «هو الظاهر» لا يدع المجال لغير الله. ولذا لا بد أولاً أن نطلب من الله أن يهب لنا قلباً خالصاً مؤهلاً للدعاء ثم ندعو.

المضطر والمجيب

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أراد أحدكم أن لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه، فليأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلا من عند الله عز وجل، فإنه إذا علم الله عز وجل ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه»^٤. ويقول الله سبحانه وتعالى:

١. سورة يوسف، الآية ١٠٦.

٢. سورة الحديد، الآية ٣.

٣. تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٤٧٦.

٤. بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٠٧، ح ٧.



﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^١، فإنَّ الإله و الرب هو الذي يستطيع إجابة المضطر، ومن لا يقدر على ذلك ليس بإله. فإنَّ الذي خلق نظام الكون هو الله، وهو الذي يستطيع حل مشاكل الناس.

وإنَّ قوله ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾، يعني أنَّ غير المضطر لا يفهم أنَّ الأمور بيد من تكون، ولذا يقول: اعتمد أولاً على الله ثم على الطبيب، بيد أنَّ المضطر يعرف بأنَّ الأول هو الله والآخر هو الله أيضاً. وعلى سبيل المثال، إذا عثر إنسان وأخذ آخر بيده يقول: اعتمد أولاً على الله ولكن لو لم يكن هذا الرجل لسقطت من السُّلَم، وأما المضطر فيفهم أنَّ الحقيقة على خلاف ذلك قائلاً: «كم من عثار وقته»^٢، وإنَّ اليد التي ظهرت وأخذت بيدي هي يد الله وهو الذي أمرها بذلك. فإنَّ هذه الآية لا تعني بأنَّ الله يجيب المضطر ولا يجيب غير المضطر، سوى أنَّ المضطر يعلم من هو المجيب وأما غير المضطر فإما أنَّ يكون عديم الفهم من الأساس أو أنَّ فهمه مشوب بالشرك، ولذا تجده يقول: اعتمد أولاً على الله و ثانياً ليغفر الله لوالد فلان، فهل الشرك غير ذلك؟ إذ أنَّ الموحَّد لا يملك مثل هذا المنطق و الفكر؛ بل يقول: أشكر الله على أنَّ حلَّ مشكلتي عبر هذا الطريق. معتبراً هذه الطرق مجرئاً للفيض الإلهي.

حقيقة الدعاء

إنَّ من يعبد الله للخلاص من النار أو للوصول إلى الجنة لا تكون عبادته خالصة؛ لأنه عبد الله لدفع أو استجلاب شيء. فإنَّ عبادته وإن كانت صحيحة وأسقطت عنه التكليف؛ ولكن إذا نظر إليها بنظرة أعلى وجدها مشوبة. ولذا لا ينبغي أن نطلب من الله غير الله، فإنَّ الله تقدَّست أسماؤه يُنجي عبده الصالح من النار و يدخله الجنة، و

١. سورة النمل، الآية ٦٢.

٢. من فقرات دعاء كميل.

لكن لا يسوغ للعبد أن يطلب من الله غير الله.

فإن طلب غير الله من الله نقصان لا زيادة^١.

وإن حقيقة الدعاء هو أن يزور العبد ربه فيستضيفه الله ويُقبل عليه. ولذا فإن أبرز فقرات المناجاة الشعبانية هي: «وَأَقْبَلْ عَلَيَّ إِذَا نَاجَيْتُكَ»، أي أن مناجاتي لم تكن إلا للإقبال لا للإعطاء.

و حكمة الدعاء في الحقيقة هي روح الدعاء بأن يجد الداعي نفسه في مشهد و منظر المدعوّ و هو الله سبحانه فيُشّهد نفسه فيحصل ارتباط و اتصال آخر بين الشاهد و المشهود.

الشاهد و المشهود

إنّ الأصل المشترك في جميع العبادات هي أن الإنسان لا يصل إلى سرّ العبادة إلا إذا شاهد المعبود، و إن باطن عبادة المعبود مشاهدة المعبود.

فإن أراد الإنسان أن يعرف بأنه في العبادة هل يراعي الأحكام والآداب فحسب أم أنه اجتازها و وصل إلى حكمة العبادة، عليه أن يرى بأنه يشاهد المعبود أم لا؟ و إن لمشاهدة المعبود درجات، يكون حساب البدائية منها بيد الإنسان أما الدرجات النهائية إذا وصل إلى تلك المرحلة فلا تبقى بيده.

فإن الدرجات البدائية لمشاهدة المعبود هي أن ينظر الإنسان هل يوجد في قلبه و روحه غير الله؟ و ما هي متعلقاته؟ فإن كان متعلقاً بنفسه و لذائذه الشخصية و تعلقاته الجزئية يتضح أن الله غير خالص في قلبه و لم يصل إلى حكمة العبادة؛ إذ لا يصل إلى حكمة العبادة إلا إذا شاهد العابد المعبود و لم يكن في ضمير العابد حاضر و

١ . بيت بالفارسية و هذا نصه:

ظن فوزني است كل كاستن

از خدا غير خدا را خواستن



لا ناضر سوى المعبود.

وإن المراحل النهائية لمشاهدة المعبود هي قول علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما كنت أعبد رباً لآرأه»^١ في عين الباطن. وإن هذا النمط من العبودية و المعرفة مختصة بأولياء الله. وفي الحقيقة ما هو مراد العابد؟ هل يطلب الله لنفسه أم نفسه لله؟ وهل يعبد الله ليهيئ وسيلة رفاهيته؟ ويجعله وسيلة للتنعم والذهاب إلى الجنة؟ أم يعبد الله لحيه إياه واستجلاب رضاه؟

* * *

الفصل التاسع:

التولي والتبري وحكمتهما

الجاذبة والدافعة في المخلوقات

لا يوجد شيء في العالم يخلو من بعدين هما الجذب والدفع والنفي والإثبات، غير أن هذين البعدين مودعان في الإنسان المؤمن بركة.

و في رسالة منسوبة إلى الخواجة نصير الدين الطوسي رحمته، يقول فيها:

«إن الذي يوجد في نوع الجمادات باسم الجذب والدفع، موجود في النباتات أيضاً»^١.

إذ لو أراد الحجر أو التراب أن «يكون ياقوتاً في بدخشان أو عقيقاً في اليمن» لا بد له من جذب التراب المستعد والمناسب ودفع المواد غير الملائمة. فلا يليق بكل تراب أن يتبدل إلى عقيق أو ياقوت، وإن جذب المناسب ودفع اللامناسب موجود في جميع أنواع المعادن والنباتات والتراب. فإن النبات على سبيل المثال لا يجذب كل غذاء، بل

١ . رسالة التولي والتبري، المطبوعة مع كتاب الأخلاق للمحتشمي، ص ٥٦٢.

يجذب ما يناسبه ويدفع ما لا يناسبه. ويظهر هذا الجذب والردف في الحيوانات على هيئة «شهوة» و «غضب». وفي الإنسان فهما أكثر رقة حيث يتجلى بصورة «محبة» و «عداء» وفي مرتبة أعلى يزاد رقة فيظهر على شكل «إرادة» و «كراهة». فإن اجتاز هذه المراحل كلها وازداد رقة ولطافة ظهر على صورة «تول» و «تبر»، وهذه من صفات خاصة أولياء الله المؤمنين.

فعلى المؤمن أن يتولى وأن يهب الروح لحبه و عداؤه المودعان في ذاته، وأن يذيقها سر هذه المحبة و باطنها لتتحلى بالحياة و إلا فإن الحب و العداء موجودان عند كثير من الناس.

حرم الله

إذا خاف الإنسان من الله و وقع حبه في قلبه و جبت له الجنة؛ إذ قد يجعل الإنسان الله وسيلة للوصول إلى الجنة، وهذا ناجم من الهمم الدنية التي يكرهاها الله و قد لا يطلب من الله شيئاً سواه، و لا يسأله إلا حبه و لقاءه، فإن الله في هذه الحالة سيحبره بهذه النعمة العظيمة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا تجتمع الرهبة و الرغبة في قلبٍ إلا و جبت له الجنة»^١.

و قال أيضاً: «تبحروا قلوبكم فإن أنقاها الله من حركة الواجس لسخط شيء من صنعه فإذا وجدتموها كذلك فاسألوه ما شئتم»^٢.

فإن دعاء الموحّد مستجاب و الموحّد هو الذي لا يوجد في قلبه سوى الإيمان بالله و هو الذي وصل إلى سر التوحيد.

١. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٥، ح ١١.

٢. الأمالي للشيخ المفيد، ص ٦٧، المجلس ٧، ح ١.



تولي رسول الله ﷺ

قال النبي الأكرم ﷺ في الخطبة الشعبانية: «ومن أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقل الله ميزانه يوم تحقّف فيه الموازين»^١.

إنّ لكل متاع أو ظاهرة في الدنيا ميزان خاص بها، فعلى سبيل المثال تُقاس درجة حرارة الهواء وبرودته بجهاز خاص، ويُقاس ميزان ضغط ماء النهر بوسيلة معينة، و هناك في المسائل الأدبية أوزان خاصة لتقييم الشعر. وأعمال الإنسان أيضاً توزن في يوم القيامة بميزان خاص وتُحسب كقيمتها وكميتها بطريقة محددة وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَالْوِزْنُ يُوَمَّزُّ الْحَقُّ﴾^٢، فقد وردت كلمة الحق مع الألف واللام وهذا يعني أن أعمال الناس وعقائدهم وأخلاقهم... توزن يوم القيامة بميزان «الحق»، فيوضع الحق في كفة الميزان والأعمال والأخلاق... في الكفة الأخرى ليعلم أيّ عمل مع الحق وأي عمل عارٍ من الحق؛ فمن ثقلت أعماله فهو من السعداء ومن خفّت أعماله فهو من الأشقاء.

وقد روي عن علي عليه السلام وكذا عن النبي ﷺ أنها قالت: «زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا»^٣، أي زنوا أنفسكم بالحق وبالقرآن الكريم لتعرفوا هل أن أعمالكم مطابقة للحق أم لا؟ وهذا ليس بالأمر العسير.

فأرشدنا النبي إلى أن الصلاة عليه تُثقل ميزان الأعمال، وإلا فلا يصل كمال إليه إثر صلاتنا، حيث أن الله أعطاه ويُعطيهِ ما يليق به من كمال، فإنّ ما نطلبه كواسطة فيض و علة فاعلية لا يوجب خيراً، بل تؤدي صلاتنا إلى ظهور كمالاته، فإنّ علته

١. الأربعون حديثاً للشيخ البهائي، ص ١٧٩، ح ٩.

٢. سورة الأعراف، الآية ٨.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٨٠.

الفياضة هو الله سبحانه و لا يصل إليه منا خير بل إن كل ما نملكه هو حصيلة تربيته؛ و شأن ذلك شأن المزارع الذي يجني باقة ورد من المزرعة في يوم العيد و يهديها لصاحب المزرعة فهل أهدى المزارع شيئاً من عنده لصاحب المزرعة؟ و نحن قد حظينا بأزهار كثيرة من روضة النبي ﷺ و إن قدمنا باقة ورد فهي من روضته بيد أنها مدعاة للقرب و الوصول إلى الكمال.

معنى الصلاة على النبي ﷺ

يُراد بالصلاة على النبي هو: إلهي ارحم النبي و آله، فإن حلت الرحمة به حلت بالآخرين أيضاً لأنه مجرى الفيض و إن أراد الله أن يصيب امرأ خيراً لا بد أن يصيب النبي أو لا كرحمة خاصة ثم يصل إلى الآخرين.

قال علي عليه السلام: «إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على رسوله ﷺ ثم سل حاجتك فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما و يمنع الأخرى»^١.

و قد علمنا الإمام السجاد عليه السلام طريقة الدعاء و طلب الحاجة؛ إذ نجد الصلاة في كثير من فقرات دعائه حيث يبدأ أو يختتم كل حاجة يريد مسألتها من الله بالصلاة، لأن الله ببركة الصلاة يستجيب الدعاء المقترن بها.

و إن الله و ملائكته يصلون على النبي و على المؤمنين كذلك! حيث يصل المؤمن إلى مرتبة يحظى بصلاة الله سبحانه و الملائكة عليه! و هذا ما ورد في سورة الأحزاب؛ و هو صلاة الله و ملائكته على النبي و صلاتهم على المؤمنين.

ثم إن صلاة الله التي تعتبر من صفات فعله إنما هي الإدخال إلى النور، و إن قول



الله عين فعله، وهذا النور إذا وفق إليه الإنسان وشاهده في فضاء قلبه وأحس بانقشاع الظلمة عنه يدل على فوزه بصلوات الله وملائكته.

يقول الله سبحانه في تكريم النبي: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾^١، فإن الله إذا أراد أن يصلي على نبيه العظيم أردف ملائكته بأسرهم معه، كما إذا دخل ضيف عزيز مدينة وأراد أحد أعلامها إكرامه بأحسن وجه خرج لاستقباله مع كل أصحابه وأقربائه.

ولكن الله سبحانه وتعالى يقول في إكرام المؤمنين والصلاة عليهم: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ...﴾^٢، يعني أن الله وملائكته يصلون على المؤمنين كل على انفراد، والفرق الآخر هو أن الله لم يقل حول النبي بأننا نصلي عليه لنخرجه من الظلمات إلى النور؛ لأنه نور بذاته ومصدق كامل لقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ...﴾^٣، ولكنه يقول بشأن المؤمنين: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾؛ فيظهر من ذلك أن صلاة الله هي الإدخال إلى النور وإن انقطع هذا الفيض عن أحد وترك الله الصلاة عليه سيقع في الظلمة.

فلا بد أن نزن أنفسنا بهذا الميزان وهو أن توفيق الطاعة وأداء التكاليف الشرعية وعبور من أحكام العبادات وآدابها ومعرفة حكمتها بشكل من الأشكال يدل على نيل صلوات الله وملائكته وإلا فهي الابتلاء بالذنوب وتراكم العثرات. وإن دخل النور في قلب المؤمن عبر هذا الطريق، استطاع أن يرى طريقه وأن يقود الآخرين يدلهم على الطريق.

١. سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

٢. سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

٣. سورة الأنعام، الآية ١٢٢.

يقول علي عليه السلام: «ليس في البرق الخاطف مستمتع لمن يخوض في الظلمة»^١، فالإنسان الذي يخوض في الظلم والمساfer الذي ظلّ طريقه في غسق الليل لا ينفعه البرق الخاطف ولا يهتدي إلى الطريق. والإنسان الطالب للدنيا شأنه شأن الخائض في الظلمة لا ينفعه النور الذي يبرق في قلبه ثم يُطفأ.

وقد وردت في ذيل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُنْ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^٢ رواية شريفة عن المعصوم عليه السلام أنه قال: «بل قلوبنا أوعية لمشية الله»^٣، فإن أراد الله أن يقوم بفعل معين فعله بإرادته وإرادة الله صفة فعله وزائدة على ذاته وتظهر في المظاهر والمخلوقات الممكنة، والمظهر هو القلب المعصوم لأولياء الله.

ولذا ذكر المرحوم الأستاذ العلامة الطباطبائي رحمه الله أن معنى الصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام هو طلب الرحمة من الله عليهم لتصل منهم إلينا، فإذا أراد الله نزول الرحمة فلا بد وأن يتم في بادئ الأمر على أهل البيت ثم يصل إلى الآخرين ولذا فإن طلب الرحمة يستلزم استجابة الدعاء.

وقد نقل المرحوم السيد حيدر الأملي هذا الكلام الرفيع ويُنسب إلى المحقق الطوسي كذلك أن هذا الكلام يقال لصاحب العصر والزمان عليه السلام لأن: «يُمنه رُزق الورى وبوجوده تنبت الأرض والسماء»^٤. إذن فجميع البركات تحل بالناس من خلال أهل هذا البيت عليهم السلام.

الصورة البهية للولاية

عن أبي بصير أحد تلامذة الإمامين الباقر والصادق عليه السلام عن أحدهما عليه السلام قال:

١. نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٤٣٥، ملحقات الحكمة ١٦٥.

٢. سورة الإنسان، الآية ٣٠.

٣. بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣٣٦.

٤. مفاتيح الجنان، دعاء العديلة.



إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور فيهن صورة هي أحسنهن وجهاً وأبهأهن هيئة وأطيبهن ريحاً وأنظفهن صورة، قال: فيقف صورة عن يمينه وأخرى عن يساره وأخرى بين يديه وأخرى خلفه وأخرى عند رجله وتقف التي هي أحسنهن فوق رأسه فإن أتي عن يمينه منعه التي عن يمينه ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست، قال: فتقول أحسنهن صورة: ومن أنتم جزاكم الله عني خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه أنا الحج والعمرة، وتقول التي عند رجله أنا برّ من وصلت من إخوانك.

ثم يقلن من أنت فأنت أحسننا وجهاً وأطيبنا ريحاً وأبهأنا هيئة؟ فتقول: أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين^١.

نعم فإن اتباعهم ومحبّة علي وأولاده تتجسم بهذه الصورة النورانية الفائقة على غيرها من الصور وهذه هي حكمة المحبة فتارة يتصور الإنسان أهل البيت عليهم السلام ويتعلّق قلبه بهم صورياً وتارة يكون متعطشاً لهم وهذا هو سرّ الولاية.

أفضل دُخر في الحياة

ما لم يصل الإنسان إلى معرفة شيء لا يصل إلى محبته، وقيمة كل امرئ بمقدار حبه وكل يُحشر مع محبوبه.

فإن أراد الإنسان حبّ علي وأولاد علي عليهم السلام، عليه بعد معرفة الله أن يتولاهم إذ لا يوجد دُخر أسمى وأعلى من التولي والتبري.

وإن الاعتراف بالشيء غير المحبة؛ فقد يتحتم على الإنسان في المسائل العسكرية أو القانونية أن يحترم شخصاً، سوى أن المحبة شيء آخر. وقد يتلمذ الإنسان على يد

جمع غفير من الأساتذة ولكنه يقع في قلبه محبة واحد منهم. فإن المحبة غير التعظيم والتجليل والتكريم. تلك الطاعة والانقياد وهذه المودة والعلاقة.

وقد أمرونا بمودة علي وأولاد علي (عليه السلام)، فإنها ذخرك لنا ومن أركان الدين الرئيسة الموسومة بالولاية. وهي لا تقتصر على قبول ولايتهم بل لا بد من ذكرهم في جميع الصلوات. فهل هناك صلاة تخلو من ذكر علي وأولاد علي؟ وهل هناك صلاة لا تشهد فيها؟ فمن واجبات التشهد قول «اللهم صلّ على محمد وآل محمد»، والصلاة عليهم تلي الشهادتين في وسط العبادة.

قال النبي (ﷺ): «من صلّى عليّ ولم يصلّ عليّ آلي، لم يجد ريح الجنة وإنّ ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام»^١. فالكلام لا يدور عن التجليل والتكريم قانونياً والطاعة بما أمروا به، فإن هذا هو أول مراحل الاتباع، بل أمرونا بمودتهم ولا تيسر المودة لأحد إلا من خلال المعرفة والمعرفة هي باطن العبادة.

حكمة المحبة

جاء رجل من أهل البادية فقال: يا رسول الله متى قيام الساعة؟ فحضرت الصلاة فلما قضى صلاته قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: أنا يا رسول الله، قال: فما أعددت لها؟ قال: والله ما أعددت لها من كثير عمل لا صلاة ولا صوم إلا أني أحب الله ورسوله، فقال له النبي (ﷺ): «المرء مع من أحب»^٢ يعني إذا كانت المحبة صادقة فتحشر مع من أحببت، فكيف يمكن أن يكون الإنسان محباً لهم ولا يقتفي أثرهم؟ وإذا كان الإنسان محباً لهم ولكن لا يتحلّى بصفاتهم فهو ليس معهم. فالمحبة الخالية من الطاعة ليست بمحبة؛ بل هي تمنّي لأن المحبة هي أعلى مراتب الإرادة. فأتي محبة هذه

١. سفينة البحار، ج ٥، ص ١٧١.

٢. بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١٣.



إذا شابهها العمل بميول المحب و خلّت عن رضی المحبوب.

ولما حضرت النبي ﷺ الوفاة، أخذ أصحابه يبكون حوله، فسألهم عن علة بكائهم فذكروا له فقدانه و انقطاع الوحي بعده و ما سيجري على الأمة من بعده.

و روي عن عبد الرزاق بن قيس الرحبي قال: كنت جالسا مع علي بن أبي طالب عليه السلام على باب القصر حتى ألجأت الشمس إلى حائط القصر فوثب ليدخل فقام رجل من همدان فتعلق بثوبه و قال: يا أمير المؤمنين حدثني حديثاً جامعاً ينفعني الله به، قال: أو لريكن في حديث كثير؟ قال: بلى و لكن حدثني حديثاً جامعاً ينفعني الله به قال: «... أنت مع من أحببت و لك ما اكتسبت»^١.

فلا ينبغي علينا أن نفكر بكل شيء و لا نفكر بأنفسنا، و لا ننظر إلى سرائرنا لنرى من الذي تريده و ماذا تطلبه. فقد يقضي الإنسان عمراً في غفلة و لا يدري ماذا يريد.

حديث بين الوالد و ولده

عن الأصمغ بن نباتة العبدي - و هو من خاصة تلامذة علي عليه السلام - قال: لما ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام غدونا عليه نفر من أصحابنا أنا و الحارث و سويد بن غفلة و جماعة معنا فقعدنا على الباب فسمعنا البكاء فبكينا فخرج إلينا الحسن بن علي عليه السلام فقال: يقول لكم أمير المؤمنين انصرفوا إلى منازلكم، فانصرف القوم غيري و اشتد البكاء من منزله فبكيت فخرج الحسن عليه السلام فقال: أله أقل لكم انصرفوا؟ فقلت: لا و الله يا ابن رسول الله ما تابعتني نفسي و لا تحملني رجلي أن أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فتلبث، فدخل و لم يلبث أن خرج فقال لي: ادخل، فدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزف و اصفر وجهه ما أدري وجهه أصفر أو العمامة فأكببت

عليه فقبلته و بكيت، فقال لي: لا تبك يا أصبغ فإنها والله الجنة (و هذا هو كلام أهل اليقين)، فقلت له: جعلت فداك إني أعلم والله إنك تصير إلى الجنة وإنما أبكي لفقداني إياك (فهو تلميذ نفس هذا الإمام، حيث ورد في القرآن الكريم بأن البعض صائر إلى الجنة أي يصبح جنة لا أنه سائر إليها)، يا أمير المؤمنين جعلت فداك حدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ فإني أراي لا أسمع منك حديثاً بعد يومي هذا أبداً، فقال: نعم يا أصبغ دعاني رسول الله ﷺ يوماً فقال لي: يا علي انطلق حتى تأتي مسجدي ثم تصعد على منبري ثم تدعو الناس إليك فتحمد الله عز وجل وتثني عليه وتصلي علي صلاة كثيرة ثم تقول: أيها الناس إني رسول الله إليكم وهو يقول لكم ألا إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه أو ادعى إلى غير مواليه أو ظلم أجيراً أجره، فأتييت مسجده وصعدت منبره فلما رأته قريش ومن كان في المسجد أقبلوا نحوي فحمدت الله وأثيت عليه و صليت على رسول الله ﷺ صلاة كثيرة ثم قلت: أيها الناس إني رسول الله إليكم وهو يقول لكم ألا إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه أو ادعى إلى غير مواليه أو ظلم أجيراً أجره، قال: فلم يتكلم أحد من القوم إلا عمر بن الخطاب فإنه قال: قد أبلغت يا أبا الحسن ولكنك جئت بكلام غير مفسر، فقلت: أبلغ ذلك رسول الله ﷺ فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته الخبر، فقال: ارجع إلى مسجدي حتى تصعد منبري فاحمد الله وأثن عليه وصل علي ثم قل: أيها الناس ما كنا لنجيئكم بشيء إلا وعندنا تأويله وتفسيره ألا وإني أنا أبوكم ألا وإني أنا مولاكم ألا وإني أنا أجيركم^١.

فمن لم ينتسب إلى أبيه، لم ينتسب إلى النبي، وقد ورد في هذا الشأن: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»، ومن لم يرتبط بهذا الأب ولم يكن له ولداً فقد شملته لعنة الله وملائكته.



و لا يتأتى هذا الارتباط والانتفاء إلا عبر المحبة، و لا تتيسر المحبة من دون المعرفة و المعرفة من دون الطاعة. فإن طاعة الله و عبادته تصير الإنسان عارفاً و العارف محباً بأمر من النبي ﷺ .

و قوله: أنا مولاكم و أجيركم، أي أنا مولاكم فلا تقطعوا الارتباط معي و أنا أجيركم فلا بد من إعطاء الأجرة لي، و أجرته ليست إلا المودة لأهل بيته: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^١، فإن حصيلة ما بذلته من جهود خلال أعوام هو محبة علي و أولاد علي عليه السلام، فكونوا محبين للعترة الطاهرة، و إن ذكرتموهم فلتفتح قلوبكم و لتنتعش نفوسكم، و خذوا منهم الأوامر و النواهي و اتبعوهم و أطيعوهم، فإن أجر رسالتي المودة و هي وليدة المعرفة و المعرفة أيضاً وليدة الطاعة.

تَقَبَّلُ الْوَلَايَةَ مِنْ أَعْمَاقِ الْقَلْبِ

لا تتأتى مودة هذه العترة لأي أحد، فإنها ليست بالأمر الهين و هي غير الطاعة القانونية. فلا تتولد المحبة بين كل تلميذ و أستاذ و إنما هي شيء آخر. و إن مودة علي و أولاد علي عليه السلام لا تقتصر على قبول كل ما يصدر منهم بل هو فوق ذلك، فالكلام عن المودة و هو الإيذان بالقلب.

و لو كان الناس في بلدة كإيران مستعدون للدفاع عن مملكتهم سواء تعرّضت لهجوم القوى العظمى أم لا، فإن ذلك ناتج من حبهم للحسين بن علي عليه السلام و لا يحفظ البلاد سوى ذلك، فإنهم يعلمون أن الشهيد لا ينال السعادة الأبدية و أن أسرته لا تؤمن حياتهم إلا عبر التعلق و الارتباط بهذه العترة و هذه هي جذبة العشق و المودة لأهل البيت عليه السلام.

كان الحسن بن علي عليه السلام في أكثر أسفاره إلى مكة ومع وجود الدواب والمراكيب الجيدة يخرج ماشياً لاكتساب مزيد من الفيض والبركة وفي إحدى أسفاره توزمت قدماء فقال له بعض مواليه: لو ركبت لسكن عنك هذا الورم، فقال: كلا إذا أتينا هذا المنزل فإنه يستقبلك أسود ومعده دهن فاشتر منه ولا تماكسه، فقال له مولاه: بأبي أنت وأمي ما قدمنا منزلاً فيه أحد يبيع هذا الدواء، قال: بلى إنه أمامك دون المنزل، فساروا أميالاً فإذا هو بالأسود فقال الحسن عليه السلام لمولاه: دونك الرجل فخذ منه الدهن و أعطه الثمن، فقال الأسود: يا غلام لمن أردت هذا الدهن؟ فقال: للحسن بن علي عليه السلام، فقال: انطلق بي إليه، فانطلق فأدخله إليه فقال له: بأبي أنت وأمي لم أعلم أنك تحتاج إلى هذا وترى ذلك ولست آخذ له ثمناً إنما أنا مولاك ولكن ادع الله أن يرزقني ذكراً سوياً يحبكم أهل البيت فإني خلفت أهلي تمخض، فقال: انطلق إلى منزلك فقد وهب الله لك ذكراً سوياً وهو من شيعتنا^١.

المظهر الأتم للولاية المطلقة

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نفسه وهو الذي لا نظير له بعد رسول الله ﷺ: «ألا إني عبد الله وأخو رسوله وصديقه الأول، صدقته وآدم بين الروح والجسد»^٢، فيظهر أن آدم أبا البشر أصبح مسجوداً للملائكة لتكريم الولاية المطلقة التي يعدّه هو عليه السلام واحداً من مظاهرها والمظهر الأتم لها منه علي وأولاد علي عليهم السلام.

فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال في شأن علي عليه السلام: «علي مني وأنا منه»^٣، فهو بمثابة نفس النبي ولذا قال: «يا علي، من قتلك فقد قتلني ومن أبغضك فقد

١. الكافي، ج ١، ص ٤٦٣.

٢. أمالي الشيخ المفيد، ص ١٧، المجلس ١، ح ٣.

٣. بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٣.



أبغضني»^١.

وعلى هذا الأساس ورد في الكتب الكلامية عن المرحوم المحقق الطوسي وتلميذه المرحوم العلامة الحلي رحمهما أنها قالوا: «محاربو علي كفره ومخالفوه فسقة»، وذلك لقول النبي ﷺ فيه: «حريك حربي» والذي يخالف علياً عليه السلام فهو ليس بمعاند بل فاسق.

صاحب الجنة

قال رسول الله ﷺ: «إن حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فإذا دُقت الحلقة على الصفحة، طنت وقالت: يا علي»^٢.

و دق الباب نبأ عن أدب الضيف ولو كان الباب مفتوحاً فإن باب الجنة مفتوح و لكن أصحاب الجنة إذا أرادوا الدخول طرقوا بابها.

يذكر المرحوم العلامة الطباطبائي رحمته في شرح هذا الحديث وآته لماذا يكون طنين دقة الباب يا علي بأن الضيف إذا أراد الدخول إلى دار دعا صاحبه إن كان لصاحب الدار اسم معين. وإن صاحب الجنة ومضيفها علي بن أبي طالب عليه السلام، ولذا صار طنين دقة الباب في الجنة أيضاً يا علي، إذ لا يمكن دخول الجنة إلا في ظل هداية هذه العترة وقيادتهم وهو ضيفهم فيها.

فلو لم تكن هذه الأنوار الطيبة لما سلك أحد طريق الجنة، ونحن الآن يمكننا أن نعرف جيداً بأننا في الجنة أم لا، وأن أبواب الجنة مفتوحة أمامنا أم لا.

مدينة الحكمة

قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «أنا مدينة الحكمة وهي الجنة وأنت يا علي

١. بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ١٩٠.

٢. الأمالي والمجالس للصدوق، ص ٤٧١، المجلس ٨٦، ح ١٣.

بابها^١.

لا تعني هذه العبارة بأن المدينة محيطة بالجدران و بابها في جانب منها، بل إن الباب محيط بكل أطراف المدينة والوصول إلى النبي من أيّ طرف كان لا يمكن إلا من خلال علي عليه السلام. وذلك كما يجعل الله السماء بأسرها باباً عند يوم القيامة حيث قال: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾^٢، فالسمااء كلها باب للعبور واجتياز الإنسان ولم تحتل الباب جانباً وزاوية منها.

إذن فالدخول في مدينة الحكمة وهي الجنة لا يمكن إلا عبر الاستمداد بولاية أهل بيت العصمة والطهارة عليه السلام.

فضائل علي عليه السلام في كلام سعد بن أبي وقاص

قال سعد بن أبي وقاص لرجلين التقى بهما وهو في طريقه إلى مكة: ... الله أكبر الله أكبر قد ضللت إذن وما أنا من المهتدين إن أنا قاتلته (أي علي عليه السلام) بعد أربع سمعتهن من رسول الله ﷺ فيه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من الدنيا وما فيها....

١- علي من النبي والنبي من علي

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ببراءة لينبذ إلى المشركين فلما سار ليلة أو بعض ليلة بعث بعلي بن أبي طالب نحوه فقال: اقبض ببراءة منه وارده إلي، فمضى إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقبض ببراءة منه وردّه إلى رسول الله ﷺ فلما مثل بين يديه بكى وقال: يا رسول الله أحدث في شيء أم نزل في قرآن؟ فقال رسول الله ﷺ: لم ينزل فيك قرآن

١. بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٢٠٠.

٢. سورة النبأ، الآية ١٩.



ولكن جبرئيل عليه السلام جاءني عن الله عز وجل فقال: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك و علي مني و أنا من علي و لا يؤدي عني إلا علي^١.

و هذا شبيه لما ورد في الحسين بن علي عليه السلام: «حسين مني و أنا من حسين»^٢.
و في رواية كان الإمام الصادق عليه السلام يلوم عبد الله ابنه و يعظه و يقول له: ما يمنعك أن تكون مثل أخيك فو الله إني لأعرف النور في وجهه، فقال عبد الله: و كيف أليس أبي و أبوه واحداً و أصلي و أصله واحداً؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنه من نفسي و أنت ابني^٣. ففي ظهورك كان البدن دخيلاً و روحني كانت هي الدخيلة في ظهوره و تجليه، فللابن معنى و لاستخلاف المقام معنى آخر.

٢- سدّ الأبواب إلى باب علي عليه السلام

كنا في مسجد رسول الله ﷺ و آل علي و آل أبي بكر و آل عمر و أعمامه، قال: فنودي فينا ليلاً أخرجوا من المسجد إلا آل رسول الله و آل علي، قال: فخرجنا نجر قلاعنا فلما أصبحنا أتاه عمه حمزة فقال: يا رسول الله أخرجتنا و أسكنت هذا الغلام و نحن عمومك و مشيخة أهلك، فقال رسول الله ﷺ: ما أنا أخرجتكم و لا أنا أسكنته ولكن الله عز وجل أمرني بذلك.

كم من مقام رفيع لعلي عليه السلام فإنه يمكن أن يستفيد من المسجد كاستفادته من بيته. و ما ورد في دعاء النذبة: «و سدّ الأبواب إلا بابه» هو إشارة إلى هذا المعنى.
فيا له من مقام عظيم، حيث تأمر مريم عليها السلام بالخروج من البيت المقدس و يُطلب من فاطمة بنت أسد بالدخول و يفتح لها جدار الكعبة.

١. بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٦١.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٨.

٢- حامل الراية في خيبر

هذه فضيلة أخرى لعل بن أبي طالب عليه السلام حيث بعث رسول الله ﷺ برأيته إلى خيبر مع أبي بكر فردّها فبعث بها مع عمر فردّها فغضب رسول الله ﷺ وقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه، قال: فلما أصبحنا جثونا على الركب فلم نره يدعو أحداً منا ثم نادى: أين علي بن أبي طالب؟ فجيء به وهو أرمد فتفل في عينه وأعطاه الراية ففتح الله على يديه^١.

وقد قال علي عليه السلام: «لا أبالي أدخلت إلى الموت أو خرج إلى الموت»^٢، فلم يفر من أي معركة ولم يكن لدرعه ظهر ولذا قال النبي فيه: «كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه».

هذا وقد حرص أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه بأن لا يخلطوا الأحاسيس والعواطف في المسائل العسكرية والحربية^٣.

وفي إحدى الحروب أُرْسِمَ من أصحاب علي عليه السلام فطلبوا من الإمام أن يُخصّص مقداراً من بيت المال لإطلاق سراحهم فقال: «من استأسر من غير جراحة مُثخنة فلا يُفدى من بيت المال»^٤، أي أن إطلاق الأسير أمر مطلوب واستدامة للجهاد، ولكن من يرفع يده سراعاً ويستسلم لأي حادث فهو ليس بشجاع. فلا بد من إطلاق الأسير الذي جُرح من مقدّمة بدنه لأن ذلك يدل على مقاومته وصموده حتى آخر لحظة، وأما من جُرح في ظهره فقد أُسر حين الفرار. والفار من الزحف لا

١. الأمالي والمجالس للصدوق، ص ٤١٥، المجلس ٧٧.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٥٥.

٣. الكافي، ج ٥، ص ٣٩، ح ٤.

٤. وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٨٦.



ينفع لأنه لا يعرف الشهادة، و يزعم أن الموت فناء و يُفَضَّل البقاء. أَلرَّيْعَلَمُ بأنه: «ما الموت إلا قنطرة تعبر بكم» كما قال الحسين بن علي عليه السلام^١.

فإنَّ علياً عليه السلام الذي يُعْطِي إفطاره للأسير، يأمر حين تحرير أصحابه الأسارى بأن لا يُصْرَف من بيت المال لإطلاق سراح الأسير المجروح من خلف، لأن ذلك ينبأ عن فراره و الفَارَّ من الزحف لا ينفعنا فهو يرى نفسه أعظم من الدين و لا يعلم أن الشهادة هي الجنة و السعادة.

و قال علي عليه السلام في كتابه لسهل بن حنيف الأنصاري: «ما قلعت باب خيبر... بقوة جسدية و لا حركة غذائية لكني أُيِّدْتُ بقوة ملكوتية و نفس بنور ربها مضيئة»^٢.
إن قوة جبرائيل لم تكن من التغذي و إنما هي قوة ربانية^٣

و قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما ضَعُفَ بدن عَمَّا قَوِيَتْ عليه النية»^٤، فالبدن تابع للإرادة بمقدار قوتها و مطاع منها بمقدار ضعفها، و كانت إرادة علي عليه السلام قوية، فاكْتَسَبَ البدن على إثرها قوة خارقة.

٤- حبيب قلب النبي ﷺ

إن رسول الله ﷺ خرج غازياً إلى تبوك و استخلف علياً على الناس فحسدته قريش و قالوا: إنما خلفه لكرامية صحبته، قال: فانطلق في أثره حتى لحقه فأخذ بغرزه ناقتة ثم قال: إني لتابعك، قال: ما شأنك؟ فبكى و قال: إن قريشاً تزعم أنك إنما

١. «صبراً بني الكرام فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس و الضراء إلى الجنان الواسعة و النعيم الدائمة» (معاني الأخبار، ص ٢٨٨).

٢. الأمالي و المجالس للصدوق، ص ٤١٥، المجلس ٧٧، ح ١٠.

٣. بيت بالفارسية في مشنوي مولوي، الكتاب الثالث، و هذا نصه:

قوت جبرائيل از مطبخ نبود بود از ديدار خلاق و دود

٤. وسائل الشيعة، ج ١، ص ٥٣.

خلفتني لبغضك لي و كراهيتك صحبتي، قال: فأمر رسول الله ﷺ مناديه فنادى في الناس ثم قال: أيها الناس أفيكم أحد إلا وله من أهله خاصة؟ قالوا: أجل، قال: فإن علي بن أبي طالب خاصة أهلي و حبيبي إلى قلبي (و كان ذلك منه مع أنه لم يفكر إلا بالله و ليس له محبوب سوى الله، لأن علياً مظهر لله و حبه حب الله)، ثم أقبل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ فقال علي عليه السلام: رضيت عن الله و رسوله^١.

شريك القرآن

يُطلق الشريك على قطعة من الحبل التي تربط بين طرفين مفتوحين. و إن مقام الإمامة و حقيقة القرآن ثقلان ثقلان، و الإمام هو الذي يربط القرآن بالإمامة و الإمامة بالقرآن و لذا فهو شريك القرآن.

قال موسى الكليم مخاطباً الله عز و جل: إلهي لقد وضعت على كاهلي ثقلًا ثقيلاً، و لا بد من مقارعة فرعون؛ فاجعل للنجاح في هذا العمل هارون أخي شريكاً في أمري: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾^٢.

و إن رسالة النبي و برنامجه هو القرآن الكريم، و لذا فإنَّ خُلُقَه القرآن أيضاً، فمن كان شريكاً لرسول الله صار شريكاً للقرآن كذلك و هو بمثابة الحبل الذي يربط الإمامة بحقيقة الوحي.

و هذا ما نقرؤه في زيارة كل إمام معصوم عليه السلام بأنه شريك القرآن، بدءاً من علي بن أبي طالب عليه السلام أول إمام و انتهاء بالحجة بن الحسن عليه السلام آخر إمام.

١. بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٤١.

٢. سورة طه، الآية ٣٢.



قال علي عليه السلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه ألا إن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم»^١، وهذا الإخبار لا يصدر إلا من كان شريكاً للقرآن.

٥- خليفة النبي ﷺ

ثم قال سعد: هذه أربعة وإن شئتما حدثتكما بخامسة: كنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فلما عاد نزل غدير خمّ وأمر مناديه فنادى في الناس ثم قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»^٢.

فكان علي عليه السلام المثل الأعلى في جميع أبعاد العبادة، إذ قال في التوحيد: «ما كنت أعبد رباً لم أره»^٣، وقال في المعاد: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»^٤.
فإن كلام الإمام بإمكانه أن ينير للإنسان الطريق للوصول إلى حكمة العبادة.

بيان المقام الرفيع للإمام عليه السلام

قال الإمام المجتبي عليه السلام حول الإمامة والخلافة لمحمد بن الحنفية: «يا محمد بن علي أما علمت أن الحسين بن علي عليه السلام بعد وفاة نفسي ومفارقة روحي جسمي إمام من بعدي وعند الله جلّ اسمه في الكتاب وراثة من النبي ﷺ أضافها الله عزّ وجلّ له في وراثة أبيه وأمه فعلم الله أنكم خيرة خلقه فاصطفى منكم محمداً ﷺ واختار محمد علياً عليه السلام واختارني علي عليه السلام للإمامة واخترت أنا الحسين عليه السلام».

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢٦.

٣. توحيد الصدوق، ص ٣٠٨، الباب ٤٣، ح ٢.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٣.

فقال له محمد بن علي: أنت إمام وأنت وسيلتي إلى محمد ﷺ والله لوددت أن نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام، ألا وإن في رأسي كلاماً... الحسين أعلمنا علماً وأثقلنا حليماً وأقربنا من رسول الله ﷺ رحماً، كان فقيهاً قبل أن يخلق وقرأ الوحي قبل أن ينطق...^١

فظهر من هذا الكلام أن محمد بن الحنفية لم يكن له ادعاء في الإمامة.

وقوله «كان فقيهاً قبل أن يخلق وقرأ الوحي قبل أن ينطق»، يُراد به أن الإمام كان يعلم الوحي و يقرؤه قبل التكلم، أو أن الإمام كان عالماً به قبل أن يتنزل الوحي إلى عالم النطق و يكتسي بكسوة العبارة.

فإن المعصومون عليه السلام ومن دون الدخول في المدارس البشرية يستقون علومهم مباشرة من خاتم الأنبياء ﷺ و بتعليم رباني و الناس بأسرهم ينهلون من ندير علومهم و معين معارفهم الوضاء.

و قد روي عن الإمام الرضا عليه السلام في تبيان المقام الشامخ للإمامة أنه قال: «و هو بحيث النجم من أيدي المتناولين و وصف الواصفين فأين الاختيار من هذا و أين العقول عن هذا» أي أن مقام الإمام لا تدركه العقول حتى تتمكن من اختياره فهو ليس كالآخرين حتى يعرفوه و يعينوه قائداً و خليفة فهو بمثابة النجم الذي لا تناله الأيدي.

لما توفي الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال سائر بن أبي حفصة لأصحابه: انتظروني حتى أدخل على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فأعزيه فدخلت عليه فعزيت ثم قلت: إنا لله و إنا إليه راجعون ذهب و الله من كان يقول: قال رسول

١. الكافي، ج ١، ص ٣٠٢.

٢. الأمالي و المجالس للصدوق، ص ٥٣٩، المجلس ٩٧.



الله ﷻ فلا يسأل عمن بينه وبين رسول الله ﷺ لا والله لا يرى مثله أبداً، قال: فسكت أبو عبد الله عليه السلام ساعة ثم قال: قال الله عز وجل: إن من عبادي من يتصدق بشق تمره فأرهبها له فيها كما يربي أحدكم فلوه حتى أجعلها له مثل أخذ، فخرجت إلى أصحابي فقلت: ما رأيت أعجب من هذا كنا نستعظم قول أبي جعفر عليه السلام قال رسول الله ﷻ بلا واسطة فقال لي أبو عبد الله عليه السلام قال الله عز وجل بلا واسطة^١.

و معنى ذلك أن الله سبحانه يتوجه إلى أوليائه أي يلقي المعارف في قلوبهم، وليس هذا بالوحي التشريعي فإنه مختص بالنبي ولا ينزل على أحد بعد خاتم الأنبياء كي يأتي بفريضة أو سنة جديدة؛ وأما الإلهامات والإلقاءات والمعارف الحقة باعتبارها وجه الله فإنها تُلقى في القلوب، ولذا يقول الإمام الصادق: «قال الله تعالى...».

الأئمة و المتخرجون من مدرستهم

لا يمكن الوصول إلى مقام الإمام ولكن يمكن الوصول إلى مقام تلامذتهم، فإنهم كانوا بشرأ أمثالنا ونالوا هذه المرتبة ولربكونوا من الأئمة أو من أولاد الأئمة؛ بل هم أناس دخلوا في زمرة أولياء الله عبر السعي والجهد واكتساب المعارف. ولو كان هذا الطريق متعذراً لما صدر هذا الكم الهائل من الأمر بسلوكة والحث عليه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «نعم الشفيع أنا وأبي لحرمان بن أعين يوم القيامة نأخذ بيده ولا نزايله حتى ندخل الجنة جميعاً»^٢. وحرمان بن أعين كان شاباً عادياً فاكسب العلم وأصبح من العلماء ونال هذه المرتبة. فلا يقول أحد: يصعب الوصول إلى مقام الأولياء، و سيتضح في يوم القيامة أن الطريق كان مفتوحاً ولم نسلكه.

١. آمالي الشيخ المفيد، ص ٤٠٦، المجلس ٤٢، ح ٧.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٣٥١.

«ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب»^١.

إنّ المجاهد الذي يُصاب في ساحة المعركة يشعر باللذة ولا يحسّ بضغطة خروج الروح، وأما المنافق أو الكافر إذا أصيب بجلطة فهو يشعر دوماً بضغطة نزوع روحه وشدتها، لأن الموت في لسان الدين يختلف عن الموت في لسان الطب، فالموت في الطب هو برود الجسد وفي الدين هو الانتقال من الدنيا إلى البرزخ وكم تحلّ بمثل هذا الفرد من آلام وشدائد في طريقه إلى البرزخ.

و سئل الإمام الباقر عليه السلام عن شعور شهداء كربلاء أمام كل تلك النبال، فأجابهم بأن شعورهم أمام النبال والسيوف والرماح والسهام كالضغطة بين إصبعين. فإن الروح إذا توجهت إلى شيء آخر لا تشعر بالألم، وإنّ من يتوجه إلى مولاه ويشتاق إلى لقاء لا يشعر بالتعب والجوع والعطش.

وقد ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة همام اشتياق المتقين للحلوق بذلك العالم. وكان أحياناً يأخذ بيد كميل بن زياد النخعي إلى خارج الكوفة ويتحدث إليه كهذا الحديث المعروف: «يا كميل، إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها»^٢ من العلوم والمعارف.

وإن تلامذة الأئمة عليهم السلام لم يكونوا على درجة واحدة، وأهل البيت أيضاً لم يتعاملوا معهم على وتيرة واحدة، فكانوا يجيبون البعض بأجوبة سطحية ويجلسون مع البعض الآخر في جلسة خاصة ويفتحون أمامهم باباً من العلم والحكمة، فانظر كم هناك فارق بينهما.

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣.

٢. نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧.



و روي عن أحمد بن محمد بن يحيى بن أبي نصر البزنطي (أحد تلامذة الإمام الرضا عليه السلام المعروفين) أنه قال: بعث الرضا عليه السلام إلي بحمار فركبته وأتيتُه فأقامت عنده بالليل إلى أن مضى منه ما شاء الله، فلما أراد أن ينهض، قال لي: لا أراك تقدر على الرجوع إلى المدينة، قلت: أجل جعلت فداك، قال: فبت عندنا الليلة و اغد على بركة الله عز و جل، قلت: أفعل جعلت فداك، قال: يا جارية افرشي له فراشي و اطرحي عليه ملحفتي التي أنام فيها و ضعِي تحت رأسه مخدتي^١.

و يُروى أن الإمام أمير المؤمنين و فاطمة الزهراء و الحسن و الحسين عليهما السلام و فضة التي كانت خادمتهم و التي ترعرعت في أحضانهم صاموا العدة أيام. و السبب من نقل هذا الحدث التاريخي هو أن نعلم بأننا نستطيع الوصول إلى هذا المقام؛ لأن فضة كانت امرأة عادية و نالت هذا المقام، علماً بأن مقام أهل البيت عليه السلام أعلى و أسمى مما ورد في سورة «هل أتى»، و أن لهم حساب آخر. فإن هذا مقام الأبرار و هم قد نالوا مرتبة المقربين بل و أعلى من ذلك. و قد قال الله سبحانه في صيام هؤلاء: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينَ وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا﴾^٢، و فضة أيضاً كانت حاضرة في الحادثة و شاركتهم في الإطعام، فيظهر أن هذا المقام متيسر لسائر الناس أيضاً. و كان كلامهم بجمعهم عند إطعام المسكين و اليتيم و الأسير هو: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكُورًا﴾^٣.

إذن فيتأتى لأي أحد نيل هذه المرتبة بواسطة تربية أهل البيت عليه السلام. و يمكننا على أقل التقادير أن نصل إلى مرحلة هذه المرأة المترتبة و لا نقول بأن الطريق مغلق.

١. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٣٦.

٢. سورة الدهر، الآية ٨.

٣. سورة الدهر، الآية ٩.

فيصح قولنا أين نحن من أهل البيت، ولكن لا يصح أن نقول: أين نحن من تلامذة أهل البيت.

* * *

القسم العاشر:

الذكر وحكمته^١

ذكر الله

تتجلى عبادة الله في مظاهر مختلفة، ولها ظهور خاص في «الذكر»، بحيث أن ذكر الله سبحانه عُد من أبرز مصاديق العبادة.

وينقسم ذكر الله كسائر أقسام العبادة إلى أنحاء متعددة، كالذكر العام والخاص، فالعام هو الذي لا يختص بموجود معين، بل يوجد في كلّ شيء، ومعنى ذلك أن جميع الأشياء تذكر الله عز وجل، والخاص هو الذي يختص بنوع محدد من المخلوقات كالذكر المختص بالملائكة أو المختص بالإنسان.

وينقسم الذكر أيضاً إلى القلب والقالب، وهو الذي قد يُعبّر عنه بالذكر القلبي و الذكر اللساني، وهذا التقسيم لا يختص بالإنسان؛ فإن سائر المخلوقات المدركة أيضاً

١ . أضيف هذا القسم إلى الكتاب بعد إعادة تنظيمه وفرز أبحاثه وهو من الآثار المدونة لسماحته (مدّ ظله العالي) وله ميزة خاصة؛ وإنّ عمق أبحاثه وإتقانها نسبة إلى سائر أقسام الكتاب يحتاج إلى مزيد من الدقة وإمعان النظر.

تارة تفكر في الله فيكون ذلك هو الذكر القلبي لها وأخرى تذكره بلسانها الخاص فيكون هذا هو الذكر اللساني لها.

وقد يرد الذكر في قبال الغفلة والسهو والنسيان وأمثالها ويطلق عليه في مثل هذه الموارد بالتذكرة والتذكر وما شابه ذلك، وقد يستخدم في قبال الخمول والخمود ويعبر عنه حينئذ بالمشهور والمعروف والشهير وما إلى ذلك. وأحياناً يرد الذكر بالمعنى المصدري والوصفي كذكر الله وجريان اسمه على اللسان، وأخرى يرد بمعنى الشيء أو الفرد الذي يعدّ مصداقاً مُثَلّاً أو مُجَسِّماً لذكر الله والذي يكون سبباً لذكره عز اسمه، وهو شهير ومدعاة لشهرة الآخرين، كإطلاق عنوان الذكر على القرآن أو على الرسول الأكرم ﷺ، فإن هذه المخلوقات النورانية ذكر مُمَثِّل ومَجَسِّم في الوقت نفسه سبب لإحياء ذكر الله على الألسن وفي القلوب، ودليل لشهرة المجتمع المتذكر لله.

الذكر اللساني

إنّ الذكر اللساني كما يرد في قبال الذكر القلبي يقع في مقابل الذكر الفعلي والعملي أيضاً، فإن الفعل الذي يُذكر بالله يُسمى ذكراً وإن تم إنجازه بواسطة اليد أو الرجل أو سائر الأعضاء؛ لأن ذكر الله لا يختص بالقلب، بل يشمل كلّ فعل يدلّ على ذكره سبحانه. فقد يُعدّ الصمت والسكوت ذكراً لله وذلك لا لكون الصمت مقترن بالفكر والتدبّر والتأمل وهذه العناوين تعدّ ذكراً لله فيُطلق الذكر أيضاً على الصمت، إذ أن إطلاق الذكر على الصمت في هذه الحالة يكون من قبيل الوصف المتعلق بحال الموصوف لا نفس الموصوف؛ بل لكون الصمت والسكوت بنفسه أمراً لازماً وراجحاً، ففي الموضع الذي يكون التكلم فيه منشأ لنشوب الفتنة أو سبباً لسماع كلام الأجنبي الدخيل، يكون السكوت بحد ذاته ذكراً لله. كما أن الصمت إذا آل إلى التفكّر



و التدبّر و الاتعاظ و أمثال ذلك، يكون مصداقاً صحيحاً للذكر من حيث أنه وسيلة للتكامل و سبباً للتعالي من باب المقدمة لا الأصل.

أقسام الذكر

إن للذكر من حيث قيمته و طبقته الوجودية أقساماً مختلفة؛ فتارة يُقيّم بلحاظ المذكور و في هذه الحالة يكون أكمل الذكر، ذكر العبد لله و اسمه الأعظم إذ لا مذكور أكمل من الله سبحانه. و أخرى يُقيّم بلحاظ الذاكر و في هذه الحالة أيضاً يكون أكمل الذكر، ذكر الله لعبده إذ لا يوجد ذاكر يضاهي الله سبحانه فهو كما أنه «خير مذكور» فهو «خير ذاكر» كذلك. و ثالثة يُقيّم بلحاظ كيفية الذكر من حيث الإخلاص و في هذه الحالة أيضاً يكون أكمل الذكر، ذكر الله لشيء معين أو فرد معلوم؛ لأن ذكر الله متصف بالحق و الصواب و منزّه عن كلّ شائبة، إذ لا يظهر من الحق المحض و محض الحق إلا و هو مصون من كل باطل و عدم الصواب. و تارة ينظر إلى كمية الذكر و في هذا الشأن أيضاً يكون الذكر الأفضل هو ذكر الله لشيء معلوم أو فرد معين.

فإن الله الذي هو شهود محض و محض الشهود منزّه عن السهو و الغفلة و النسيان و أمثالها و لا سبيل لوصمة النسيان و سمة السهو إلى حريم أمن كبريائه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^١، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^٢. و بما أن كل العناوين الأربعة المذكورة و هي النظر إلى الذكر من حيث المذكور و الذاكر و كيفية الذكر و كميته و واردة في مظاهر أسماء الله و صفاته، فإن كلّ واحد منهم أيضاً إذا كان أكمل مقاماً في خلافته و أكثر تقرباً من الله سبحانه كان أكثر جدارة لذكره له سبحانه (من حيث المذكور) و ذكر الله له (من حيث الذاكر و كيفية الذكر و كميته).

١. سورة مريم، الآية ٦٤.

٢. سورة يونس، الآية ٦١.

وإن سائر العبادات الخاصة كالصلاة والصوم والزكاة والخمس والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء وأمثالها وإن عدّت في محلها من الذكر وأنّ المعنى الجامع للذكر وحكمته العامة يشمل كل هذه الأمور المذكورة بيد أنّ عنوان الذكر في محله يُحسب عبادة خاصة وله أثره الخاص.

العناصر المحورية للذكر

إنّ العناصر المحورية للذكر هي التي أشرنا إليها بإجمال والتي تعود إلى تحليل حقيقة الذكر من حيث المبدأ الفاعلي والمبدأ الغائي والمبدأ القابلي، وإنّ سائر الأمور كالزمان الخاص والمكان المحدد، وطريقة القيام أو القعود، والحركة أو السكون، وبصورة فرادى أو مثنى، وبالجهر أو الإخفات أو الهمس، وباللغة العربية أو غيرها، وبعدد محدود أو قراءة خاصة، وكيفية وضع القرآن أمام الوجه أو على الرأس، مفتوحاً أو مسدوداً، والتوسل بمعصوم معين أو الاستشفاع بوليّ خاص، وطهارة الذكور ونزاهة ضميره وأمثالها، كلّ ذلك يعود إلى تتميم نصاب القابل، وإن حظيت كل واحدة من هذه الأمور منفصلة في المجامع الروائية بعناية أهل البيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وإنّ لكلّ ذكر أثر عبادي وسبب لتقرّب الذكور إلى الله المذكور، ولا ينبغي تبديل الأذكار الخاصة والمأثورة في الفرائض العبادية أو النوافل الخاصة فإنه لا يحصل الأثر المطلوب من تلك الفريضة أو النافلة من دون الذكر المأثور.

علماً بأنّه قد يحصل لتعدّد المطلوب جانب من الهدف السامي بتبديل الذكر المأثور وإن يفقد جوانبه الأخرى وأحياناً ولو حدة المطلوب قد لا يبقى أيّ أثر من الآثار الخاصة لتلك العبادة المخصوصة الوارد فيها ذكر معين.

وإنّ ما قيل حول النوافل والمستحبات التي يتبنّى أساسها على تعدّد المطلوب مختص بجزء منها لا بجمعها؛ لأنّ بعض السنن الراجحة والنوافل المندوبة لا تحصل



من دون ذكر خاص على الإطلاق، و بالتالي لا يترتب عليها أي أثر، علماً بأن أثر مطلق الذكر و هو العبادة المطلقة حاصل. فعلى سبيل المثال لو بطلت صلاة العبد لعدم مراعاته بعض الأذكار الواجبة عمداً فإن أثرها الذي هو عبارة عن براءة ذمة المكلف من الأداء و القضاء لا يترتب على هذا العمل، و لكن يُثاب الإنسان على قراءة جزء من القرآن مثلاً.

جوهر الذكر و الدعاء و السؤال

سبق و أن أشرنا إلى أن جوهر الذكر يختلف عن جوهر الدعاء و السؤال؛ فإن مطلق التوجه إلى الله ذكر و إن لم يقترن به خطاب أو إنشاء أو طلب، إذن فدعاء الله أو طلب شيء منه و إن كان مقروناً بالذكر بل و إنه ذكر في حد ذاته، بيد أن الذكر قد يتحقق من دون اقترانه بالدعاء أو الطلب اللذان يعد كل واحد منهما إنشاء خاص، و لذا يقع الأجر على الذكر و إن لم يكن هناك استجابة؛ لأن الذكر من حيث هو ذكر منحاز عن الدعاء و ممتاز عن السؤال و لذا لا يقترن بالإجابة، و إن أمكن الذكر الخاص أن يقترن بقضاء حاجة خاصة أو حل مشكلة أو غفران سيئة أو زيادة حسنة، و لكن لم تودع أي واحدة من هذه الأمور و أمثالها في كنهه؛ فإن للذكر في قبال سائر العبادات الأخرى عنوان خاص، و إن السالك الذي أنس بعبادة خاصة و اظب عليها و لم ينقص منها بالتغافل عنها و عُجنت في قلبه أكثر من سائر العبادات، سيتحلى بهذا المقام، و لذا فإن منزلة الذاكرين تختلف عن منازل سائر العابدين و هم يحافظون على مناداتهم و مناجاتهم الخاصة.

و المراد بالذكر القلبي المؤثر هو الذكر التصديقي و الإيماني المستلزم لنسيان أو تناسي الباطل و المسبب كذلك للغفلة أو التغافل عن أي ضرب من الخطأ؛ و إلا فالذكر الخطوري و التصوري ينسجم أيضاً مع الاشتغال بالباطل و الابتلاء بالخطأ؛ إذ

لا يمكن للمبدأ التصوري الصرف أن يكون له أثر من الردع والرفع والدفع، وإن كان قد يقع مقدمة للتصديق.

علماً بأن الأمر المؤثر هو التصديق الإيماني وهو الاعتقاد بنتيجة القضية والإيمان بعصارة ثبوت المحمول للموضوع، وإلا فإن التصديق العلمي الصرف الذي لا يحمل في مكنونه إلا عقد محمول القضية على الموضوع من دون عقد حاصل القضية في روح الإنسان العالم والتصديق بها عبر الإيمان، لا يكون له تأثير في رفع الخطأ ودفع الذنب، لأن المؤثر هو الإيمان لا العلم، وبعبارة أخرى: إن لم يصل العلم في العقل النظري إلى الإيمان في العقل العملي لا يكون منشأ للأثر.

وإن انفصال العلم عن العمل أمر ممكن بل متحقق؛ وذلك لتحقيق انفصال العلم عن الإيمان، وإن الذي يستنبط من الآية: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾^١، و من الآية: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٢، هو إمكانية فصل الإيمان عن العلم، أي أن العقل النظري لم يحلّ دونه مانع من معرفة الحق، بيد أن العقل العملي ولابتلايه بالشهوة والغضب وأمثال ذلك يشكل عليه الاعتقاد والإيمان به.

والآن حيث اتضحت بعض المبادئ التصورية والتصديقية لمسألة الذكر، نسترعي انتباه الذاكرين والمتذكرين وأهل الذكر لبعض النقاط التي نستعرضها خلال فصول عدة:

الفصل الأول: الذكر والعقل النظري والعملي

إن ذكر الله وذكر أسماؤه الحسنی ومظاهره، تظهر في العقل النظري بوصفها فكر

١. سورة النمل، الآية ١٤.

٢. سورة الإسراء، الآية ١٠٢.



إلهي و تتجلى في العقل العملي كذلك بوصفها اتجاه ديني؛ لأن معرفة الله و محبته و علمه و التخلق بأخلاقه و امتثال أوامره و اجتناب نواهيه كلها ذكره سبحانه، إذ كل ما يؤدي إلى حضور الله و أسائه و صفاته فهو ذكر لله و لكل من الجوانب العلمية و العملية أيضاً دور في هذا الشأن.

ولذا فإنَّ عنوان الذكر يعتبر القاسم المشترك لجناحي العلم و العمل، وإنَّ الأمر بكثرة الذكر في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾، يمكن إعادة النظر فيه و امتثاله بدوام الاشتغال بالعلوم الإلهية، أو يمكن إطاعته بالمواظبة على تحصيل الأخلاق أو الاشتغال بالأعمال الدينية، كالامتثال بتوزيع الوقت و اختصاص جزء منه لاكتساب المعارف الدينية و الجزء الآخر منه لتحصيل الملكات الأخلاقية و الفضائل العملية، و كذا يمكن اعتبار الآيات التي تتصدى للتعريف بالذاكرين لله كثيراً أو لمدهم أو لبيان أجرهم شاملة لهذه الطوائف الثلاث، أي الطائفة التي تصرف جلَّ وقتها بإخلاص لاكتساب العلوم الدينية و الطائفة التي تصرف معظم وقتها لتحصيل الملكات الأخلاقية و الطائفة التي توزع وقتها بين اكتساب العلوم الدينية و بين تحصيل الملكات الأخلاقية و الأعمال العبادية، و كلها تعدّ مصداقاً للآيات المذكورة.

و الحاصل أنه يمكن القول بالتوسع في الإنشاء و الإخبار و اعتبار جميع الطوائف المذكورة داخلة في زمرة الذاكرين كثيراً و مصداق لممثلي الأمر بكثرة الذكر (ففي أحدهما يأتي بالإخبار و هو «الوصف» و في الأخرى بالإنشاء و هو «الأمر»). و في هذا المجال، قال المرحوم المولى محمد تقي المجلسي (المجلسي الأول) في شرح من لا يحضره الفقيه بعد نقل رواية عن الرسول الأكرم ﷺ: «ارتعوا في رياض الجنة»، فقيل

له ﷺ و ما رياض الجنة؟ فقال: «خلق الذكر»: «و المتعارف في ذلك خلق الدرس و التعظيم و قيل خلق المواعظ، فإن التذكر فيه أكثر و التعميم أولى لكن إذا كان مذكراً لله^١، ثم تعرض لحسن الاستماع و الإقبال على الدرس و ذكر شعراً بالفارسية و ترجمته:

هذا الكلام كاللبن في نهد الروح و أنا له الخروج دونها امتصاص^٢

حيث شبه إقبال المستمع و حضور و ظهور استعداداته المتألق و المتعشش كامتصاص اللبن الذي ينبع من قبل المعلم و الأستاذ المربي. و لتأمين مثل هذه الكثرة المحمودة و المدوحة لا مناص للسالك الذكر من إخضاع كل قواه المدركة كالإحساس و الخيال و الوهم تحت قيادة العقل النظري و جميع قواه المحركة كالجذب و الدفع و الشهوة و الغضب و الإرادة و الكراهة و المحبة و العدا و بالتالي التولي و التبري تحت سيطرة خاصة للعقل العملي، لتسير آراؤه العلمية و اتجاهاته العملية باسم الله و ذكره، فيكون مثل هذا السالك دائم الذكر، و كل دائم الذكر دائم الصلاة، و كل دائم الصلاة لا يكون هلوياً و جزوعاً و منوعاً^٣، و سيأتي توضيح دائم الذكر و دائم الصلاة و أن الأخير مصون من هذه الأوصاف في محله.

و الحاصل أن القوى العلمية و العملية للسالك الذكر تنظم أفكارها و جهودها بإمامة العقل، و في هذه الحالة ستكون إمامة عقل الذكر و قيادة العاقلة التي يتم تصديقها و تكذيبها و توليها و تبريها بواسطة ذكر الله سبحانه، بمثابة ديبس روح الذكر إلى جميع أبدان القوى التي تحت إمرتها، و حيثئذ تكون كل القوى العلمية و

١. روضة المتقين، ج ٥، ص ٥١٢.

٢. روضة المتقين، ج ٥، ص ٥١٣، و إليكم نص البيت بالفارسية:

این سخن شیر است در پستان جان بی کشنده شیر کی آید برون

٣. سورة المعارج، الآية ١٩ - ٢٣.



العملية للسالك الذكر بمنزلة أمة واحدة بزعامة إمام فارد وذاكر و عندها سيكون بنيناها المرصوص مصوناً من الجهل العلمي و الجهالة العملية. علماً بأن المقام السامي للسالك الذكر الجامع بين العلم الصائب و العمل الصالح سيكون مصدراً لظهور العقل النظري و حضور العقل العملي، و تكون هذه المرتبة الرفيعة أولاً ضامنة لانضمام العقلين المذكورين و ثانياً يتولى كل واحد من هذين العقلين إمامة الذي تحت إمرته؛ أي أن قمة هرم الإنسان السالك الذكر في الواقع هي نفس مقام جمع الجمع الذي يمثل مرحلة حياته المتأهلة؛ لأن تلك الحقيقة الجامعة أضحت إمام الأئمة التي يقتدي بها جميع الشؤون السامية للنفس الإنسانية، و عندها تصل القوى السفلى بإمامة سائر القوى البارزة و عبر التوسل و الاستشفاع بها إلى المقام الرفيع للحياة الإنسانية و إن كانت هي مظهراً لله الداني في علوه و البعيد في قربهِ؛ «الحمد لله... الذي بعد فلا يرى و قرب فشهد النجوى»^١، و «الداني في علوه و العالي في دنوه»^٢، و بما أن السالك الذكر خليفة لله و الخليفة مظهر و آية للمستخلف عنه و المستخلف عنه واجد لمقام جمع الجمع و إمام للشؤون التي تحت إمرته، لا مناص من أن يكون الخليفة مثيله أيضاً.

الفصل الثاني: الذكر حياة

إن ذكر الله و ذكر أسمائه الحسنی و صفاته العليا بمنزلة نفخ الروح التي تهب الحياة و مصداقها التام نفخة المسيح عيسى عليه السلام التي آلت إلى إحياء الطير و غيره من الأموات بإذن الله، فللعنصر الحي أثر سواء أكان علماً أو عملاً و الميت لا أثر له، بل و له أثر سيء متعفن، فالفكر الميت أو العمل الميت لا أثر له سوى الضرر، و من هذا

١ . دعاء الافتتاح.

٢ . الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٧.

الباب ما ورد في بعض الروايات: «كل أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أتر»^١.
وكذا فإن ما ورد في خصوص الذبح أو النحر أو صيد الحيوان البري سواء كان من المواشي أو من الطيور من وجوب التسمية حين الذبح أو رمي السهم أو إرسال الحيوان للاستيلاء ليؤكد الحيوان المذبوح أو المنحور أو المصطاد ويمكن أكله ويخرج عن كونه ميتة وإن كان من الناحية الفقهية أمر تعبدي سوى أن لحكمته من حيث المعنى والباطن ظهور في جميع شؤون الإنسان العلمية والعملية، ومعنى ذلك أن كل عمل لم يذكر اسم الله عليه كان ميتة متعفنة ويظهر الأثر السيء لهذا التعفن في زمن معين.

وزبدة القول أنه من خلال دراسة أسرار الآيات القرآنية، مثل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾^٢، ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾^٣، ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾^٤، التي تجتمع على قاسم مشترك بينها وهو أنه إذا لم يكن الذابح موحداً أو لم يذكر اسم الله عامداً كان الحيوان ميتة لا يحل أكله وإن كان حجلاً أو قطاة أو غزالاً، يتضح أن اسم الله وذكره بمثابة نفخة المسيح التي هي خليفة نفخة الله وتجلت في قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^٥ الضامنة لإيجاد الحياة، وكل عمل لا يظهر فيه اسم الله وذكره فهو وإن كان في صحراء الخيال يتبختر كالغزال بيد أنه في وادي الحقيقة والعقل الواعي ميتة ليس إلا.

فالعالم التارك للعمل والعامل المتهتك والمفكر البعيد عن الفلاح والصلاح و

١. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٧٠، ح ٤.

٢. سورة الأنعام، الآية ١٢١.

٣. سورة الحج، الآية ٣٦.

٤. سورة المائدة، الآية ٤.

٥. سورة الحجر، الآية ٢٩.



النجاح أيضاً هو ميتة متحركة، كما أن التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لا يقيم معروفاً ولا ينكر منكراً بلسانه ويده وقلبه فهو حي في الظاهر وميت في الباطن كما قال عنهم علي بن أبي طالب عليه السلام: «وذلك ميت الأحياء»^١.

ملاحظة، الاختصار على الذكر المأثور

لا يراد بذكر الله خصوص كلمة بسم الله...، بل كل اسم من أسماء الله الحسنى سواء كان على وجه التسمية (بسم الله...) أو التهليل (لا إله إلا الله) أو التكبير (الله أكبر) أو التسبيح (سبحان الله) أو التحميد (الحمد لله) وأمثالها يكفي في حلية الحيوان المذبوح أو المنحور أو المصطاد كما يؤثر في صيانة الجهد العلمي أو العملي من أن يكون ميتة. علماً بأنه لو ورد هناك أمر خاص بذكر معين كما في الصلاة لا بد من امتثال وقراءة نفس ذلك الذكر المنصوص والمأثور، وسنبحث مسألة وجوب الاختصار على الذكر المأثور في فصل خاص.

الفصل الثالث: مراتب الذكر ودرجات الذاكر

ذكرنا في طليعة بحث الذكر بأن هناك مراتب للذكر ودرجات للذاكر وكلها مطلوبة بيد أن المرتبة العالية لها هي الهدف السامي للسلالك الذاكر ليصل عبر طيِّ المراحل السفلى إلى أوج الدرجة العليا. وأحياناً يكون الذكر ناظراً إلى نعمة الله وأخرى إلى اسم الله وثالثة إلى الله نفسه، مثل: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾^٢، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^٣ والنعمة أعم من المادية والمعنوية، و

١. نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٤.

٢. سورة الأعراف، الآية ٦٩.

٣. سورة الأحزاب، الآية ٩.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^١، ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾^٢، ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^٣، فالكلام في هذه المواضع عن ذكر اسم الله سواء كان اسمه الأعظم أم غيره وتحديد ذلك على عهدة السالك الذاكر كما أن اختيار النعمة في الذكر أيضاً منوط بدرجة الذاكر.

علماً بأن الجمع بين المواهب المادية والعطايا المعنوية كمال مطلوب، كما أن تحديد الاسم الأعظم الحاوي للأسماء العظيمة هدف عال. وكذلك الذكر في: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾^٤، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾^٥، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾^٦، و نظائرها هو ذكر «الله» لا ذكر نعمته أو ذكر اسمه وإن كان عنوان «الله» اسماً من أسماء الله الحسنی، وبما أن مقام الهوية المطلقة في السير الشهودي الذي لا يمكن أن يُعبر عنه بالمقام والمرحلة وما شابه ذلك أعلى من عنوان الله، تكون الآيات الدالة على ذكر تلك الهوية أعلى وأسمى من سائر الآيات كما في قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^٧، و قلما يرد مثل هذا التعبير في القرآن الكريم وهو مساق للآية الأخيرة من سورة «الفجر» المباركة التي يقع صاحب النفس المطمئنة فيها بعد إحراز مقام الرضا من قبله على جميع مراحل القضاء والقدر ورضا الله عنه مُحاطباً بمضمونها ليرجع إليها بعناية الهوية

١ . سورة الأعلى، الآية ١٤ - ١٥ .

٢ . سورة المزمل، الآية ٨ .

٣ . سورة الإنسان، الآية ٢٥ .

٤ . سورة الأنفال، الآية ٤٥ .

٥ . سورة آل عمران، الآية ١٩١ .

٦ . سورة النساء، الآية ١٠٣ .

٧ . سورة البقرة، الآية ١٥٢ .



المطلقة و يدخل في زمرة عباد تلك المرحلة السامية - التي يُعَبَّر عنها بالمرحلة مجازاً - و يدخل في جنته الخاصة التي هي أسمى من كل جنة متصورة: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾^١. علماً بأن الآيات التي تتحدث عن الهوية المطلقة في القرآن الكريم نادرة للغاية.

و الحاصل أن جميع مراحل الذكر الأربع المشار إليها باعتبار درجات المذكور، و إن كانت محمودة و ممدوحة سوى أن المرحلة الأدنى تعدّ سلماً للمرحلة الأعلى و الهدف الأسمى لمراحل الذكر هو ذكر الهوية المطلقة.

ملاحظة، اختلاف الخطاب في اختلاف المخاطب

بعد الإشارة إلى مراحل الذكر، نقول بأنه قد تكون دَعَوَات القرآن الكريم من مختلف الأشخاص و المخاطبين إلى الذكر ناظرة إلى هذه المراتب المختلفة. و توضيح ذلك أن جميع الأشياء و الأشخاص في عالم الإمكان صادرة من الله و لكنها ليست الصادر الأول بأسرها، كما أنها بأجمعها صائرة و راجعة إلى الله و لكنها ليست منتهية إليها و لا تصل كلها إلى مقام ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^٢، و لا إلى مرحلة ﴿وَ أَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُتَهَيِّئُ﴾^٣.

كما و أن الكلّ مأمور بذكر الله و لكن لا يُخاطب الجميع بذكر الهوية المطلقة ليزكروه من دون حجاب التعيين. فإن علامة اختلاف الخطابات يمكن استنباطها من اختلاف عناوين المخاطب؛ لأن البعض يُخاطبون بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، و البعض الآخر بـ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، و عدة بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، و جمع بـ ﴿أُولِي الْأَبْصَارِ﴾، و

١ . سورة الفجر، الآية ٢٧ - ٣٠.

٢ . سورة النجم، الآية ٨ - ٩.

٣ . سورة النجم، الآية ٤٢.

﴿أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، وزمرة بـ ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾، و بالتالي يتوجّه الخطاب الوحيد و التوجه الفريد لله الأحد إلى أولي العزم من الأنبياء و المرسلين لينتهي عبر ذلك إلى الخطاب الأوحد لعالم الإمكان و هو التوجه إلى مقام خاتم الأنبياء الذي يفوق الأنبياء و المرسلين بل و خصوص أولي العزم منهم في الفضل و العلو و النبل و الجمال و الجلال. علماً بأن المقصود من حصر الخطاب و قصر التوجه هو أن المخاطب محبوب و إلا فلا يوجد حجاب بين المتكلم و بين أي موجود آخر.

تنبيه، مراتب المذكور الأربعة للذاكر

تارة تكون رحمة الله الخاصة مذكورة و السالك الذاكر يتجه بذكره إلى خصوص رحمة الله، و أخرى تكون رحمة الله الخاصة هي الذاكر و المذكور لها هو العبد الخاص. و الحاصل أن المراحل الأربع التي مرّ ذكرها بالنظر إلى المذكور قد يتأتى تحليلها بالنظر إلى الذاكر أيضاً كما في الآية الثانية من سورة «مريم» حيث جاء فيها: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾، حيث تعلق ذكر رحمة الله الخاصة بذكرها بـ ﴿رَبِّكَ﴾ و وقع ذكرها بـ ﴿عَبْدَهُ﴾ مذكوراً و منظوراً و مرحوماً لهذه الرحمة الخاصة.

و من هذا المنطلق، يمكن استنباط أمرين من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^١، أحدهما هو أن الله أكبر من حيث المذكور و الآخر أنه أكبر من حيث الذاكر، أي أن الله إذا ذكر عبده كان ذكره أكبر من ذكر عبده له حين يكون مذكوراً، علماً بأن معناها الأدق هو أن ذكر الله أكبر من أن يوصف، لا أن ذكر العبد لله كبير و ذكر الله له أكبر، ففي جنب «بسيط الحقيقة كلّ الأشياء» لا يكون السالك الذاكر شيئاً فضلاً عن أن يكون ظلاً أو شيئاً، و على أي حال لا بأس من



إرادة كل هذه المعاني من الآية الكريمة المذكورة إذ يمكن استعمال اللفظ في أكثر من معنى ولا يوجد في ذلك إغضال يطرح لدى أصحاب البصر.

ملاحظة، نصوص التكبير

بما أن معرفة الموحدين لله سبحانه متفاوتة، فإن النصوص الواردة في التكبير مختلفة أيضاً، حيث ورد في بعضها: «الله أكبر من أن يوصف»^١، وفي بعضها الآخر: «الله أكبر من خلقه»، وفي أحاديث كثيرة: «الله أكبر من كل شيء»^٢، وإن ما ورد في القسم الأول من النصوص في غاية السداد والإتقان ولكنه متفاوت كذلك، حيث روي أنه قال رجل عند أبي عبد الله عليه السلام: الله أكبر، فقال عليه السلام: الله أكبر من أي شيء؟ فقال: من كل شيء، فقال أبو عبد الله عليه السلام: حددته، فقال الرجل: كيف أقول؟ فقال: قل الله أكبر من أن يوصف، وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «وكان ثم شيء فيكون أكبر منه»^٣ أي هل يوجد شيء حتى يكون الله أكبر منه؟.

الفصل الرابع: مراتب ذكر الله

إن واحدة من العناوين التي طُرحت في بداية بحث الذكر هي أن لذكر الله بالنظر إلى نية الذاكر والهدف المكنون في سريره مراتب؛ فإن ذكر الله كسائر العبادات الدينية تارة يكون خوفاً من النار وأخرى يكون طمعاً في الجنة وثالثة يكون شكراً للنعمة وحباً لله البعيد عن أي ضرب من ضروب الخوف والطمع.

وقد ذكرنا بأنه ما دام أصل الإخلاص و عنوان عبودية الذاكر ومولوية المذكور

١. بحار الأنوار، ج ٨١، ص ٢٥٤.

٢. بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢١٨.

٣. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٩١.



محفوظة ولم تتبدل إلى تعامل طرفين متقابلين متناظرين فإن أصل العبادة صحيحة يترتب عليها الأثر المطلوب، ولكن لا بد من الالتفات إلى أنّ المرحلة الأدنى تعتبر سلماً لرقى السالك الذاكر حتى يرقى من مرتبة الذكر خوفاً وطمعاً إلى مرحلة الذكر حباً وشكراً وفي الواقع إلى مرتبة الذكر حرّاً لأنها خاصة بعبادة الأحرار. فإن الأذكار المأثورة أو المجزّبة للنجاة من بعض ضروب البلاء والعداء أو للوصول إلى بعض أصناف الراحة والألفة لم تكن خارجة من دائرة الخوف والرجاء بيد أنّ الذكر الذي يكون لشهود الجمال المحض والجلال الصرف والذي يكون للقاء البهاء المحض والنور الصرف الإلهي يفوق نطاق الخوف والطمع ويعبّد الطريق لنيل المقام الذي لا يبقى فيه أثر للذاكر والذكر ولا يُلحظ فيه إلا المذكور حتى يتخلص من لوث التلث (الذكر والذاكر والمذكور) وينجو من روث و فرت التثنية (الذاكر والمذكور أو الذكر والمذكور) ويصل إلى اللبّ الخالص والنفيس للمذكور وهو التوحيد الأصيل.

ملاحظة، ذكر الذاكر محفوف بذكرين من الله

إنّ ذكر السالك الذاكر لنعمة الله يتسبب ذكر نعمة الله له كما أنّ ذكر البعد لله يؤدي إلى ذكر الله له أيضاً: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، ولكن كلّ ذكر يصدر من قبل العبد يكون محفوفاً بذكرين من قبل الله كما أنّ توبة العبد محفوفة بتوبتين من قبل المولى؛ فإن الله أولاً يهب للعبد توفيق ذكره وهذه الإفاضة في حدّ ذاتها تعدّ ذكراً لله بالنسبة إلى عبده، ثم يؤقّق العبد لذكر الله، فيذكره الله ثانية قبولاً لذكره ويحقّه بعنايته.

وهذه المسألة لطالما ذُكرت في بيان و بنان أصحاب النظر الصائب وأرباب البصر الثاقب أمثال العلامة الطباطبائي رحمته في أنّ توبة العبد محفوفة بتوبتين من قبل المولى



بالاستناد إلى الآيات القرآنية^١.

يبد أن الذي نظر حه في هذه الوجيزة هو أن السالك الذاكر سواء أكان ذاكر الله أو مذكوراً من قبل الله فهو في حال الذكر؛ لأن تلقى فيض ذكر الله من العبد و تلقى ذكر الحق للعبد مقرون في نفسه بالحضور و الظهور الإلهي و هذا الحضور ذكر و إن لم يكن على هيئة الذكر في الظاهر، و الشاهد على ذلك هو أن وظيفة السالك حين الاستماع إلى قراءة القرآن المجيد هو الإنصات: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^٢، و بما أن هذا الإنصات و الاستماع بأمر من الله سبحانه، فإن مثل هذا السكوت ذكر لله أيضاً و إن لم يقترن بالذكر اللساني. و على هذا تكون قراءة الآيات الإلهية و تلقيها بالإنصات و الاستماع كلاهما ذكر؛ أي أن الكلام ذكر و الاستماع ذكر كذلك، فمن تأهل على أثر ذكر الله أن يكون مذكوراً له أيضاً و ذكره الله سبحانه فقد اجتمعت على الحتم في سريرة نفسه و سويداء قلبه حالة الاستماع و الإنصات و تلقي حالة الذكر لله و تكون نفس هذه الحالة من الاستماع و الإنصات و التلقي و الانتظار ذكر لله و بالاستناد إلى هذا الأساس الرصين: «و لا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً و كرمًا»^٣، سيؤول نفس هذا الذكر المتسم بالتلقي إلى ذكر الله ثانية و عندها يكون مثل هذا السالك الذاكر الجامع دائم الذكر و بالتالي دائم الصلاة: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا بَ﴾^٤.

السكوت الإيجابي و السكوت السلبي

من خلال ما ذكرنا تتضح ميزة السكوت الإيجابي على السكوت السلبي؛ لأن

١ . الميزان، ج ١، ص ١٣٣.

٢ . سورة الأعراف، الآية ٢٠٤.

٣ . دعاء الافتتاح.

٤ . سورة الرعد، الآية ٢٩.

السكوت المنصت و المستمع و المتحرك في قبال قراءة الكتاب التدويني من أجل سماع النداء الإلهي بسمع الرأس، ذكر في ذاته و السكوت المخاطب و المنتظر و الباحث في قبال قراءة الكتاب التكويني من أجل سماع صوت تسبيح الملائكة و سائر المخلوقات في عالم الوجود بسمع القلب، ذكر و فكر و شكر لله أيضاً و أما السكوت الساكن و الراكذ و الواقف فلا يكون له أثر إيجابي سوى السهو و الذهول و النسيان.

تنبيه: يتضح مما مرّ أنّ ذكر الله بمعناه الشامل يكون معقولاً و موهوماً و متخيلاً و محسوساً، و في نشأة الحسّ أيضاً مشهود و مسموع؛ و على هذا فإنّ الآيات التالية: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَغْنِيَهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾^١، ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾^٢، و أمثالها الشاملة للحسّ الظاهر و الباطن تكون معقولة و مقبولة من دون تصرّف و حمل على المجاز.

الفصل الخامس: آثار ذكر الله

إن لذكر الله آثار إيجابية كثيرة نشير إلى جانب منها.

بما أن بين الذكر و الذاكر هناك اتحاد وجودي و ذكر الله مقرون بحضوره، لذلك يجد الذاكر نفسه في مشهد الله و يصيبه من كمال قرب و حضوره حظّ وافر فيحترز إثر الحياء عن كثير من الأفكار الشريرة و الأخلاق الذميمة و الأعمال السيئة: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾^٣، و يتغلّب في جهاده على شيطان الباطن و الظاهر الذي يدعوه إلى الهوى و يفتح أمامه باب الأنا بحيث أنه يصون نفسه عادلاً لدفع خطر اقتراف الذنب، و يسعى تائباً و منيباً لرفع المحذور المرتكب و الذنب المقترف: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ *

١. سورة الكهف، الآية ١٠١.

٢. سورة الزخرف، الآية ٣٦.

٣. سورة العلق، الآية ١٤.

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى^١، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^٢، فقد تكون الآية الأولى بصدد بيان مسألة دفع الذنب كما أن الثانية تكفي لتحليل مسألة رفع الذنب عبر التوبة والإنابة في ظل ذكر الله.

وبما أن الشيطان المؤذي إلى النسيان و المسبب للسهو عن الحق و الذهول عن
الصدق يُرجم بذكر الله، فيكون ذكر الله سبحانه مقروناً بأحد أثرين إيجابيين: أحدهما
أنه يسدّ باب السهو و الغفلة و في الاصطلاح يتم من خلاله دفع الخطر، و الآخر أنه
يستبدل النسيان الحاصل بواسطة التوجّه و الالتفات و في الاصطلاح يتحقق بواسطة
رفع الخطر: ﴿وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾^٢، ﴿وَإِنَّمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا
تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^٤، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَ
الْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يَصُدَّكُمُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^٥،
﴿اسْتَحْذَرُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَاَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾^٦، حيث عرّف الشيطان في مثل هذه
الآيات بأنه هو الباعث على النسيان، و آية: ﴿وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾^٧ تدل على أن
ذكر الله يسبب دفع النسيان و رفع الخطر.

ثم إن الشيطان لا يفتر عن التعدي على الإنسان مطلقاً لأنه عدوّ مبين ولا يُتَوَقَّع من العدوّ المبين سوى التعدي والتجاوز الدائم ومن هنا فلا بد من أن يستمر عامل

١. سورة الأعلى، الآية ١٤ - ١٥.

٢ . سورة آل عمران، الآية ١٣٥ .

٣. سورة الكهف، الآية ٦٣.

٤ . سورة الأنعام، الآية ٦٨ .

٥. سورة المائدة، الآية ٩١.

٦ . سورة المجادلة، الآية ١٩ .

٧. سورة الكهف، الآية ٢٤.

دفعه أو رفعه، ولذا أمرنا بالذكر الكثير سواء بصورة عامة، مثل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^١، أو بصورة خاصة، مثل: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾^٢، حيث أمر الله ذكرياً ﷺ بالخصوص بذكره كثيراً، وإن سائر الناس أيضاً مأمورون بالتأسي و الاقتداء بالهداية التي يتمتع بها أنبياء الله وأوليائه، إلا إذا أقيم دليل على اختصاص هذا الحكم، وفي مسألة الذكر الكثير لم يرد دليل على الاختصاص بل ورد دليل على التعميم.

أثر الإخلاص الخالص

إن للدوام على الذكر الإلهي تأثير كبير، غير أن أثر الإخلاص الخالص يفوق أثر كثرة الذكر، بل إن الذكر الخالص في الحقيقة هو نفس الذكر الكثير و الذكر العاري من الإخلاص ذكر قليل و إن كان كثيراً في الكمية، فقد روي في تفسير الآية: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالاً يُرَآؤْنَ النَّاسَ وَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^٣ عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «من ذكر الله في السر فقد ذكر الله كثيراً، إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية و لا يذكرونه في السر»^٤.

و عصاره هذا الحديث النوراني هو أن الدنيا متاع قليل و أهل النفاق يذكرون من أجل الدنيا التي هي رأس كل خطيئة لا للخلاص منها، لذا يكون ذكرهم قليلاً في الواقع و إن كان كثيراً في الكمية.

فإن الذكر كالسهم المرمي به صوب القلب الأسود لجيش الشيطان و عند هجوم

١ . سورة الأحزاب، الآية ٤١ .

٢ . سورة آل عمران، الآية ٤١ .

٣ . سورة النساء، الآية ١٤٢ .

٤ . وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٦٤، ح ٣ .



العدو من الخارج و تحامل الشيطان و مطالبة النفس الأمارة و توابث النفس المسولة من الداخل، لابد من الاستنصار بكثرة ذكر الله و الاستغاثة به كما ورد في الجهاد الأصغر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^١.

و بما أن أمر الله قد تعلق بكثرة الذكر و الامتثال الصرف لهذا الأمر نافع في حد ذاته، فقد وصف الله سبحانه الناجين و نعت المتقين بالذكر الكثير قائلاً: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾^٢، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^٣، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ... وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^٤.

ملاحظة، أثر ذكر مظاهر الله و آياته

إن لذكر مظاهر الله و آياته الخاصة دور هام في الغلبة على عدو الباطن أو الظاهر، و من هنا أمر الله نبيه الأكرم ﷺ للفوز و النجاح بذكر الأنبياء السالفين الذين يعد كل واحد منهم مظهراً لاسم من أسماء الله الحسنی و ذكر سنتهم و سيرتهم و سريرتهم: ﴿وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^٥، ﴿وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^٦، ﴿وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ

١ . سورة الأنفال، الآية ٤٥ .

٢ . سورة الشعراء، الآية ٢٢٧ .

٣ . سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

٤ . سورة الأحزاب، الآية ٣٥ .

٥ . سورة مريم، الآية ٤١ .

٦ . سورة مريم، الآية ٥١ .

صَادِقَ الْوَعْدِ^١، ﴿وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^٢، حيث أمر الله نبيه في هذه الآيات ونظائرها التي تكرّر ذكرها كثيراً في القرآن الكريم بذكر الأنبياء والأولياء الماضين فإنه مدعاة لإيجاد القوة والعزم في إيفاء عهد الرسالة، كما أن لأصل ذكر الله والإخلاص فيه والاستمرار عليه دور مؤثر في الغلبة على الطغاة، ولذا قال الله سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام حين الذهاب إلى فرعون وبطانته لدعوتهم: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تينيا في ذكري﴾^٣.

وكان قد اعتبر موسى الكليم عليه السلام الذكر الكثير أحد أهم الأهداف لطلب إشراك أخيه هارون عليه السلام وجعله وزيراً له: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾^٤، وإن التأثير الهام لذكر الله أدّى إلى أن الله تارة يأمر بالتزام القوة، مثل: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾^٥، ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾^٦، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^٧، وأخرى ينهى عن الوني والضعف كما في الآية المتقدمة: ﴿وَلَا تَيْنَا فِي ذِكْرِي﴾^٨.

وللاستمداد من هذه القوة الغيبية وهي الاستعانة بذكر الله والتوجّه إلى مظاهر ظهور قدرته وحضور قوته، أمر موسى الكليم عليه السلام بأن يُذكر أمته بأيام تجلي قدرة الله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ

١. سورة مريم، الآية ٥٤.

٢. سورة مريم، الآية ٥٦.

٣. سورة طه، الآية ٤٢.

٤. سورة طه، الآية ٣٢ - ٣٤.

٥. سورة البقرة، الآية ٦٣.

٦. سورة مريم، الآية ١٢.

٧. سورة الأنفال، الآية ٦٠.

٨. سورة طه، الآية ٤٢.



بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ^١.

فكل مرحلة يتجلى فيها فيض الله الغيبي، وتظهر فيها زاوية من أسرار العالم الخفية، ويُشاهد فيها جانب من الحقائق المستورة، تعدّ تلك المرحلة بحسبها يوماً من أيام الله الخاصة؛ وإن طبّقت هذه الآية على مسألة ظهور بقية الله ﷺ والرجعة والقيامة فهو من باب التمثيل وبيان المثل لا التبيين والحصر في المصاديق المذكورة.

خطر نسيان الله

يتضح مما مضى أن خطر نسيان الله والغفلة عن ذكره إنما يتم عبر الانكسار أمام تسويل عدوّ الباطن والظاهر: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^٢، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^٣.

ومن خلال التحليل العقلي لآثار نسيان الله السلبية والغفلة عن ذكره، يظهر أنّ الله سبحانه لم يعد خالق الإنسان وفاعله فحسب، بل هو مقوم هويته الربطية وقيوم لشخصيته الحرفية، بحيث أن معرفته لا تيسر من دون معرفة قيمه وهو الله؛ إذ لا يمكن معرفة المعنى الربطي والحرفي من دون معرفة معنى الذاتي والمستقل وهو الله، ونسيان ذلك المقوم والغفلة عن ذلك القيم، تُنسى هوية نفس الإنسان أيضاً، ونسيان المرء هويته يؤول إلى عدم الشعور بتأثراً بتداول الناهبين لهوية وجوده ولعدم إحساسه بالخطر لا يقوم بأي عمل يصدّه العدو المهاجم، وبالتالي تقع جميع شؤونه المدركة والمحركة في أسر الشيطان فيُحقّق الرغبات الناجمة من الطبيعة الفتاكة لذلك

١. سورة إبراهيم، الآية ٥.

٢. سورة طه، الآية ١٢٤.

٣. سورة النجم، الآية ٢٩.



الأمير الشرير والحاكم الظالم، ويعرف الأشياء من خلاله و يعمل على ضوء ذلك فيقلب المعروف عنده منكراً و المنكر معروفاً: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^١.

و قال البعض: إن نسبة الحديث المعروف «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^٢، مع الآية المذكورة هي نسبة أصل القضية مع عكس نقيضها، أي أن معرفة الله إن كانت ناشئة من معرفة النفس، يكون نسيان الله و عدم معرفته أيضاً ناجم من نسيان النفس و عدم معرفتها.

و على أي حال، فإن ذكر الله يوجب ذكر الهوية و تكاملها، و نسيان الله يُسبب نسيان الهوية و تركها في متناول المهاجمين و المجحفين و المتجافين، و في مثل هذه الحالة لا يبقى أثر للهوية الإنسانية، فيحلّ الآخر محلها و يفرض عليها جميع أمانته و أغراضه و غرائزه النفسانية و الشيطانية بوصفها حضارة و سعادة و كمالاً.

الفصل السادس: أفضل ذاكر و مذكور

بما أن ذكر الحق كمال و جودي و كلّ كمال و جودي ثابت لله بالنحو الأتم و الأكمل، تكون لله سبحانه و تعالى أتم مراتب ذكر الحق، و قد ثبت في بيان مبادئ بحث الذكر أن الله سبحانه جامع لكل المراتب من حيث الذكر و الذاكر و المذكور و كذا من حيث الخلو و الاستدامة و سائر الجهات الدخيلة في كمال الذكر، و لذا ورد في الأدعية الماثورة عن أهل البيت (عليه السلام) أن الله هو أفضل ذاكر و أفضل مذكور و يُعرض نماذج منها في دعاء «الجوشن الكبير»، ثم يُتبيّن ما ورد في «المناجاة الشعبانية» و «مناجاة الذاكرين» و «دعاء كميل»، من طلب كيفية الذكر و كميته من الله سبحانه.

١ . سورة الحشر، الآية ١٩ .

٢ . بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٢ .



فقد ورد في دعاء الجوشن الكبير عن الإمام السجاد عليه السلام عن آبائه الكرام عليه السلام عن النبي الأعظم ﷺ عن جبرائيل الأمين عليه السلام:

١- يا خير الذاكرين ٢- يا خير المذكورين ٣- يا من ذكره حلو ٤- يا من له ذكر لا يُنسَى ٥- يا من ذكره شرف للذاكرين ٦- يا أعزّ مذكور ذُكر ٧- يا خير ذاكر و مذكور.

ويُستنبط من هذه التعابير أنّ أحد أسماء الله الحسنَى هي «الذاكر» والأخرى هي «المذكور». وكون الله خير الذاكرين وخير المذكورين لا يتنافى مع التوحيد في الآثار والأفعال وكذا مع التوحيد في الصفات والذات؛ لأن ذكر غير الله إن كان ناجماً عن نسيان الله فهو ليس بذكر وإن كان مع ذكره فلا توجد غيرية في البين سوى آياته ومظاهره ومجاليه ومرائيه وأمثالها وذكر كلّ منها هو ذكر آية من آيات الله.

وقد مرّ في ثانياً الفصول السابقة السرّ في حلاوة ذكره وشرفه واستدامته، والذي يُبين هنا هو أنّ الذاكر لو كان الله سبحانه فلا سبيل للنسيان إلى ساحته: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^١، ولو كان الذاكر آياته التكوينية فإن نظام الكون بأسره في حال ذكر الله على الدوام ولا يفتر أيّ مخلوق عن الانقياد له وتسيّحه والسجود له والرجوع إليه لحظة واحدة ولذا صح أن يُقال: «يا من له ذكر لا يُنسَى»^٢.

استدامة الذكر

والآن حيث ثبت بأن ذكر الحق كمال وجودي (لأن الذكر غير الدعاء والسؤال) والله واجد لذلك بأنهم وجه، فإن السالك المتعبّد أيضاً يسعى لأن يتخلّق بالأخلاق الإلهية وأن يتصف بصفاته وأن يكون ذاكرآله، ولذا فإن من أهم ما نطلبه من الله في

١. سورة مريم، الآية ٦٤.

٢. من فقرات دعاء الجوشن الكبير.

دعائنا هو نفس ما أمر الله المؤمنين به وهو أصل الذكر وتكثيره والتوسل به والتوكل فيه واستدامته وإن كان الذكر واحداً لأن الاستدامة غير الكثرة.

وقد ورد في المناجاة الشعبانية: ١- إلهي وألمني ولهاً بذكرك إلى ذكرك ٢- وأن تجعلني ممن يديم ذكرك.

وفي دعاء كميل: ١- أتقرب إليك بذكرك ٢- تلهمني ذكرك ٣- لهج به لساني من ذكرك ٤- أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة ٥- وذكره شفاء.

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي: ١- اللهم أشغلنا بذكرك ٢- اللهم خصني منك بخاصة ذكرك (أي أن أذكرك وتذكرني بصورة خاصة).

حيث شملت هذه الموارد طلبات كثيرة حول ذكر الله، وإن من أكمل مراتب ذكر العبد لمولاه مضافاً إلى الاستدامة هو التوكل والوجد والهيام والشغف باسم الله وذكره.

أكمل صفات الذكر

علماً بأن مثل هذا الذكر يكون سبباً لإعمار العمر وترميم زمن العيش وعمران فترة الحياة؛ لأن العمر الذي يُقضى بالنسيان باثر والعيش الذي يمرّ بالسهو غامر، وأتم صفات الذكر مناجاة الذاكرين وهي من ضمن المناجيات الخمسة عشر المنسوبة إلى الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام حيث جاء فيها:

١. من أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا
٢. فآلهمنا ذكرك في الخلأ والملاأ والليل والنهار والإعلان والإمرار وفي السراء والضراء وأنسنا بالذكر الخفي

٣. إلهي بك هامت القلوب الوالهة وعلى معرفتك جمعت العقول المتباينة فلا تطمئن القلوب إلا بذكراك ولا تسكن النفوس إلا عند رؤياك

٤. و أستغفرك من كل لذة بغير ذكرك

٥. إلهي أنت قلت و قولك حق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ و قلت و قولك الحق: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ فأمرتنا بذكرك و وعدتنا عليه أن تذكرنا تشریفاً لنا و تفخياً و إعظاماً و ها نحن ذاكروك كما أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا يا ذاكر الذاكرين.

ملاحظة، كيفية الذكر

تارة يكون ذكر الله على هيئة الدعاء فهو إنشاء، و أخرى يكون على نحو وصف الله أو إقامة البرهان على وجوده و على عينية صفات الذات متحدة مع بعضها مع ذات الله فهو خبر و ليس من سنخ الإنشاء. و من هنا تتضح سعة دائرة الذكر بالنسبة إلى الدعاء، إضافة إلى أن لكل واحد من الذكر و الدعاء ميزة يمتاز بها عن الآخر، و إن كانت الجملة الخبرية قد يراد بها الإنشاء و تصطبغ بصبغة الدعاء، علماً بأن الدعاء هو نداء الله في قبال السؤال الذي هو طلب.

تنبيه، سكينة السالك الذاكر في نهاية الأمر

إن السالك الذاكر الذي يبدأ بذكر الله بلسانه و يحيه من بعد ذلك في قلبه، يتتابه ضرب من التشويش و الاضطراب لهيمنة المذكور على الذاكر و سلطنة حضوره، و هذا التذبذب و الوجل الممدوح يهيء الأرضية للوصول إلى السكينة و الاطمئنان، و لذا فإن السالك الذاكر يستمد من المذكور نفسه و ينهض بعبء اسمه و ذكره تحت ظل عنايته، لأن عطاياه لا يحملها سوى مطاياه.

و القرآن الكريم أيضاً خلال مدحه للمؤمنين الذاكرين الذين تنبض قلوبهم بذكر الله يتحدث عما يصلون إليه في نهاية المطاف من سكينة و طمأنينة قائلاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ^١، و قد نزل في شأن القرآن الكريم الذي هو ذكر الله كذلك كما سيئين فيما بعد: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ^٢﴾.

فالذي يُستنبط من هذه الآيات ونظائرها هو أن السالك في طليعة أمره يصيبه الوجل من ذكر الله و يستولي على قلبه خوف مقدس، ثم يزداد إيمانه شيئاً فشيئاً إثر أنسه بالمذكور و تلاوة كلامه و الاستماع إليه فيتسبب ذلك دخوله في الحصن الحصين و القلعة المأمونة و الحصار المنجي من الخوف و ما شابهه، و بالتالي يسكن ظاهره و باطنه و يطمئن قلبه و قالبه إلى ذكر الله. و لعل هذه الآية: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ^٣﴾ ناظرة إلى نهاية المآل، و إلا فإن السالك في بداية طريقه قد تصيبه الرعدة و القشعريرة، كما أن الغوص في المحيط قد يسبقه خوف بدوي، و إن كان بعض الغواصين الشجعان أيضاً قد يدخلون ضيوفاً على البحار في بداية اختبارهم و طليعة تمرينهم بقلب مطمئن، بيد أن هذه الشهامة لا تصيب إلا الأوحدي من الخائضين في غمرات البحار، و إن لذكر سيرة أولياء الله و سنتهم في وقائع التاريخ المرة و حلمهم و صمودهم أمام الأعداء دور مؤثر في إيجاد حالة الدعة و الاستقرار و يعود الذكر هذا إلى ذكر الله و هذا الصبر و الصمود و الاستقرار ناتج من ذكره عز اسمه.

ملاحظة، الخوف البدوي للقاسي و الساهي

إن الخوف الذي يستولي على قلب القاسي و الساهي إثر نسيان الله يختلف عن

١. سورة الأنفال، الآية ٢.

٢. سورة الزمر، الآية ٢٣.

٣. سورة الرعد، الآية ٢٨.



الوجل الذي ينتاب السالك الذكر في بداية طريقه، كما أنّ الراحة التي تصيب الناسي للغفلة عن الله تفتقر عن الطمأنينة التي يحصل عليها السالك في نهاية طريقه؛ فإن أحدهما صادق والآخر كاذب وأحدهما أجر والآخر عقاب.

وقال الله سبحانه في كتابه المجيد حول الأمن الصادق والكاذب والطمأنينة الصحيحة والباطلة: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^١، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^٢، وعلى هذا الأساس فإن أمن غير المؤمن إحساس كاذب ناجم عن إدراك الواهمة وأمن المؤمن شعور صادق نابع عن إدراك الفاهمة.

ملاحظة: أثر ذكر الله في القلب

ما لم يصبح ذكر الله ملكة نفسانية لا تحصل السكينة الصادقة؛ لأنّ مثل الذكر للساني كمثّل سقي غصن من أغصان الشجرة الذي لا أثر فيه سوى إزالة الغبار عن ذلك الغصن، بيد أن الذكر القلبّي كمثّل سقي جذور الشجرة الذي يؤوّل إلى نموّها وإثمارها لذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعاً وَخَيْفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^٣، فإنّ الذي يؤثر في إزالة الغفلة هو الذكر القلبّي المقترن بالتضرّع والبكاء.

وإنّ الأثر الإيجابي لمثل هذا الذكر هو أولاً: يسوق السالك الذكر إلى الإنتاج والعمل والاشتغال وتأمين متطلبات المجتمع الإسلامي وأمثالها لينجو من جميع أصناف الكسل وطلب الراحة بذريعة الزهد المذموم وثانياً: لا تلهيه أيّ تجارة مربحة

١. سورة الأعراف، الآية ٩٩.

٢. سورة الأنعام، الآية ٨٣.

٣. سورة الأعراف، الآية ٢٠٥.

عن ذكر الله ليرتك الكسب الحلال أو يلجأ إلى الحرام أو يخوض في فساد آخر فقد قال الله سبحانه: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^١.

فإن هؤلاء الأولياء و لرسوخ ذكر الله في قلوبهم لا يعترهم زهول في العبادات الجسدية كالصلاة بل و لا يغفلون عن العبادات المالية أيضاً و يؤدون زكاة أموالهم.

إن أفضل مسجد على وجه الأرض بعد المسجد الحرام هو مسجد النبي الأكرم ﷺ في المدينة، و سيد الأيام و عيد المسلمين هو يوم الجمعة، و قد وردت الصلاة بعنوان الذكر و خصوصاً صلاة الجمعة فقد وردت في سورة الجمعة بعنوان ذكر الله (كما سيأتي إن شاء الله)، و رغم ذلك ترى الجماعة التي ليس لها إلا الذكر اللساني و المحرومة من الذكر القلبي، عند الاقتداء بإمام لا و لن يضاهيه أحد في جميع الأعصار و هو خاتم الأنبياء ﷺ، تجدهم مع كل هذه المزايا و الجهات المشرفة و هي المعبد و العبادة و استماع الخطبة و الخطيب يتركون كل ذلك و يفرّون من الصلاة منفّذين إلى التجارة ليشتروا الأمتعة بأسعار أخفض أو يزيّدوا من أمتعتهم: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَ تَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَارَةِ وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^٢.

ذكر ما في الملتون الدينية

أمر الله سبحانه و تعالى لاقتران ذكره بالمعارف و الأحكام و الحكّم، بذكر ما في النصوص الدينية من محتوى فيما مضى و في الحال الحاضر قائلاً: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ

١ . سورة النور، الآية ٣٧.

٢ . سورة الجمعة، الآية ١١.



بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^١، ﴿وَ اذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾^٢، ومن أجل ذلك تم اختيار الفرص والأوقات المناسبة لتأمين ذكر الله: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمُشْعَرِ الْحَرَامِ وَ اذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾^٣.

و السرّ في عدم أو قلة تأثير بعض الأسماء الإلهية هو أن الفراغ الناشئ من ضعف التوجه بذكر الله يملؤه الغفلة عن ذكره و تأثير هذه الغفلة هو ترجيح الدنيا على الآخرة و ترك الرسول الأكرم ﷺ و أمثال ذلك، إذ أنّ للصفات النفسانية والأعمال الخارجية تأثير و تأثر متبادل، فكما أن الصلاة الحقيقية التي هي ذكر خالص لله: ﴿وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^٤، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإن ارتكاب الفحشاء والمنكر ينهى عن الصلاة و ذكر الله أيضاً.

التأثير المتبادل بين ذكر الحق ونسيان الباطل

إنّ عصارّة تأثير التوجه إلى الدنيا والابتلاء بغرورها في ضعف أو انحصار ذكر الله يمكن مشاهدته في الجوامع الروائية و لاسيّما في نهج البلاغة، قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «و اعلموا أنّ الأمل يُسهي العقل، و يُنسي الذكر، فاكذبوا الأمل فإنّه غرور و صاحبه مغرور»^٥، و قال أيضاً: «... أما و الله ليمنعني من اللعب ذكر الموت و إنه (عمرو بن العاص) ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة»^٦، و المراد من ذكر الموت

١ . سورة البقرة، الآية ٦٣ .

٢ . سورة الأحزاب، الآية ٣٤ .

٣ . سورة البقرة، الآية ١٩٨ .

٤ . سورة طه، الآية ١٤ .

٥ . نهج البلاغة، الخطبة ٨٦ .

٦ . نهج البلاغة، الخطبة ٨٤، الفقرة ٤ .

هو مسألة الحياة بعد الموت والحساب والجزاء والعقاب وهي الرجوع إلى الله الحسيب وسيُبحث بحثاً قصيراً في هذه المسألة.

والمثال الآخر للتأثير والتأثر المتبادل بين ذكر الحق ونسيان الباطل وذكر الباطل ونسيان الحق يمكن استنباطه من الحديث المعروف لأمر المؤمنين ﷺ حيث قال: «إنَّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان، اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصدّ عن الحق وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة»^١ فكما أن ذكر الحق مانع من حاكمية الهوى كذلك اتباع الهوى مانع من ذكر الحق وحكمته، وروي عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «أوحى الله إلى موسى: ... إن كثرة المال تُنسي الذنوب وإن ترك ذكرى يُقتسي القلب»^٢.

الفصل السابع: مصاديق الذكر

١- الإنسان الكامل

يعتبر ذكر الحق من أساء الله الحسنی وقد مرت طائفة من الأدلة الإثباتية على ذلك في الفصل السابق، وما يُطرح في هذا الفصل هو أنّ الذاكر لله يكون مظهراً لاسم الذاكر، وبين مظاهر هذا الاسم، يكون الإنسان الكامل ولا سيما أهل بيت العصمة والطهارة ﷺ وكذا الكتاب السماوي ولا سيما القرآن الكريم، المرآة الكاملة والآية التامة والجامعة لذكر الحق. ولذا فقد نعت الله سبحانه بعض الأشياء أو الأشخاص بالذكر قائلاً: ﴿... فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ

١. نهج البلاغة، الخطبة ٤٢، الفقرة ١.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٨٠، ح ١.



الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...^١، حيث يتمثل فيها انطباق عنوان الذكر على الرسول الأكرم ﷺ، أي أن كلمة الرسول بيان لعنوان «الذكر» لتدلّ على أن المراد بعنوان «الذكر» هو نفس النبي ﷺ، ولا يتنافى ذلك مع «الإنزال»؛ لأن الرسول الأكرم مقامه عند الله، وكما أنّ عنوان «الإرسال» ينطبق على رسالته، فإن عنوان «الإنزال» أيضاً ينطبق على نزوله وتجليه في عالم الطبيعة.

وقد استعمل عنوان الإنزال بنفس هذا المعنى في بعض الآيات الأخرى كما في الآية: ﴿... وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^٢، حيث بيّن الله فيها بأن القرآن (نور) نزل مع رسول الله ﷺ، وكلاهما قد نزلا من عند الله سبحانه، فالقرآن والإنسان الكامل معاً كان لديهما مقام عند الله وتنزلاً من تلك المرتبة. والحاصل أن عنوان «الإنزال» في سورة الطلاق لا يتنافى إطلاق الذكر على شخص النبي الأعظم ﷺ.

و الشاهد الآخر على مظهرية الإنسان الكامل لاسم الله الذاكر هو حديث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «ما اجتمع قوم في مجلس لم يذكروا الله عزّ وجلّ ولم يذكرونا إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة، ثم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إن ذكرنا من ذكر الله وذكر عدونا من ذكر الشيطان»^٣.

و السرّ في شهادة هذا الحديث على المدعى هو أنّ الإنسان الكامل لو لم يكن كأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام مظهراً لاسم الله وذكره، فإنّ ذكره لا يكون ذكراً لله على الإطلاق؛ لأن «الحق» هو الله وحده ولا يتحقق ذكر «الحق» إلا في اسمه وذكره والإنسان الكامل بما أنه مظهر ذكر الحق يكون اسمه وذكره ذكر لله. ولعله هذا من

١. سورة الطلاق، الآية ١٠ - ١١.

٢. سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

٣. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٥٣، ح ٣.

باب المظهرية التامة وكذا من باب فناء الإنسان الكامل في جمال الله وجلاله ومن هنا يُعلم نقل المرحوم الشيخ الصدوق على نحو الإرسال المسلّم: قال: «الصلاة على محمد وآله تعدل عند الله عزّ وجلّ التسبيح والتهليل والتكبير»^١.

وسند هذا التحليل وشاهد هذا البيان هو أن الله سبحانه كما أنه لا عدل له فإن التهليل أيضاً لا مثيل له كما ورد في بعض النصوص الإسلامية، ولو أن شيئاً كالصلاة على أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام) صار عديلاً للتهليل، فإنّ مآل ذلك يعود إلى أن الإنسان الكامل لا يملك لنفسه شيئاً بل لا يرى غير الله وأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ولذا فإنه لا يكون إلا اسم الحق وذكره، ومن هنا أصبحت الصلوات عدلاً لشيء لا عدل له، ومعنى ذلك أن الإنسان الكامل ليس غريباً و خارجاً عن أسماء الله فتأمل.

٢- ذكر الله التدويني

مما مضى علّمت مسألة إطلاق الذكر على الإنسان الكامل وهو كتاب التكوين لله الذاكر وباستمرارية البحث يمكن العثور على شواهد أخرى على هذا الإطلاق. والأنموذج الثاني لمصاديق الذكر هو كتاب الله التدويني بما فيه القرآن وغيره. فإن الصحيفة الإلهية فضلاً عن تكوينيتها التي تعد ذكراً عينياً لله، تعتبر من حيث المحتوى والدعوة والادعاء ذكر لفظي وكتبي وذهني لخير الذاكرين.

وقد عبّر الله عن الكتاب الذي نزل على الأنبياء السالفين كنوح وهود وغيرهما بهذا التعبير: ﴿أَوْ عَجَبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^٢، وعبر عن خصوص القرآن تارة بالذكر المطلق وأخرى بالذكر

١. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٩٤، ح ٨.

٢. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢٠٨، ح ١ و ٥.

٣. سورة الأعراف، الآية ٦٣.



الحكيم وثالثة بأنه ذكر للعالمين ورابعة بذى الذكر....

فعبّر عنه بالذكر في الآية ٦ و ٩ من سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، والآية ٤٤ من سورة النحل: ﴿... وَآتَزْنَا الْبَنَاتِ الذَّكْرَ لِبَيِّنٍ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وعبّر عن القرآن بالذكر الحكيم في الآية ٥٨ من سورة آل عمران: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾، وعبّر عنه بأنه ذكر للعالمين في الآية ١٠٤ من سورة يوسف: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، وعبّر عنه بذى الذكر في الآية ١ من سورة ص: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ إلى غير ذلك من الأمثلة المشهودة، وبما أن نداء القرآن ينسجم مع فطرة الإنسان والنظام العيني للعالم، فإن الله أعدّ هذا الكتاب لتذكّر المجتمعات البشرية لما يجدونه في باطنهم وما يفهمونه في خارجهم وقال في هذا الشأن: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^١.

ملاحظة: الذكر بمعنى المشهور والمعروف الذي يُطلق على الإنسان الكامل (الكتاب التكويني) وعلى الكتاب السماوي ولاسيما القرآن (الكتاب التدويني) له بحث خاص يُشار إليه عند الحاجة.

٢- الصلاة

النموذج الثالث لمصاديق الذكر البارزة، هي الصلاة ولاسيما صلاة الجمعة، وإنّ لها من الأهمية بمكان حتى نُعتت بأنها عمود الدين حيث سبب ذلك أن يكون لها موقع ممتاز ومكانة رفيعة في جميع المذاهب ومدارس أنبياء الله.

فقد أمر الله سبحانه أتباع موسى الكليم وعيسى المسيح عليهما السلام والنبي الأعظم ﷺ بالتمسك بالتوراة والإنجيل والقرآن والتزام الصلاة وجعلها مداراً

١. سورة القمر، الآية ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠.

للنجاة و ميزاناً للخلاص و معياراً للتحرر من كل خطر. و يظهر من هذا التعميم بأن رسالة الله العالمية لجميع الأمم هي أن معيار النجاة هو الاعتصام بكتاب الله و بالصلاة. هذا و إن كان الكتاب الإلهي بما فيه التوراة و الإنجيل و القرآن يشمل الصلاة أيضاً بيد أنها ذكرت بصورة مستقلة إلى جانب كتاب الله من باب ذكر الخاص بعد العام أو الجزء بعد الكل، و هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُتَسَكَّنُونَ بِالْكِتَابِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾^١ ناظرة إلى جميع الأمم في كل الأعصار و الأمصار، أي أن المتمسكين بالكتاب الإلهي و المقيمين الصلاة هم الصالحون و المصلون. و بما أن هذه الآية قد وردت خلال الحديث عن بني إسرائيل و ناظرة إلى المسلمين أيضاً فهي جامعة بين جميع الصحف السماوية.

ملاحظة، الفرق بين الإمساك و التمسك

الفرق بين الإمساك و التمسك (الاستمسك) هو أن بالإمساك يسان الشيء الممسك به من السقوط و بالتمسك ينجو الشخص المتمسك من الهبوط، فإن الله تمسك السماوات لكيلا تسقط: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا...﴾^٢، و الإنسان المتنسك و المتعبد بالقرآن و العترة و كلاهما ذكر الله، يتمسك و يستمسك بهما لينجو من السقوط. فإن الله حق مطلق و ذكر الحق يسبب سهو الباطل و نسيان الكذب و الزور و كل أمر قبيح آخر و الصلاة هي العروة التي لا انفصام لها بين العبد و مولاه و لذا شرعت لإيجاد هذه الأصرة.

و من هذه الآية: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^٣

١ . سورة الأعراف، الآية ١٧٠ .

٢ . سورة فاطر، الآية ٤١ .

٣ . سورة طه، الآية ١٤ .



يظهر جلياً أن الهدف الرئيس من إحياء الصلاة هو إحياء ذكر الله الذي يقذف كل أمر باطل في بقعة النسيان، وبما أن لصلاة الجمعة خصيصة لا توجد في الصلوات الأخرى ويستحب في الركعة الأولى وبعد فاتحة الكتاب قراءة سورة الجمعة فيها وفي الركعة الثانية وبعد سورة الحمد قراءة سورة المنافقون، فقد تم التعبير عن صلاة الجمعة في سورة الجمعة بذكر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^١، وفي سورة المنافقون أيضاً يُحتمل قوياً أنه تم التعبير عنها بذكر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^٢.

ملاحظة: كثير الذكر كثير الصلاة

مر في الفصل السابق بأن الصلاة ولا سيما صلاة الجمعة ذكر الله و لازم هذه القضية على نحو الموجبة الجزئية هو أن بعض ذكر الله صلاة و الدائمون على ذكر الحق في بعض حالاتهم في الصلاة، وليس على نحو الموجبة الكلية كل من كان في حال الذكر فهو في حال الصلاة، أو أن جميع حالات الذكر صلاة؛ لأن نقيض الموجبة الكلية موجبة جزئية، إلا إذا أقيم دليل معتبر على النقيض الكلي، فيكون نقيض الموجبة الكلية موجبة كلية كذلك؛ وهناك دليل مستقل يدل على أن جميع حالات الذكر هو حالة الصلاة و الحديث الذي ورد عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام بهذا المضمون: «لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله عز و جل قائماً كان أو جالساً أو مضطجعاً، إن الله عز و جل يقول: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾»^٣ الآية.

١. سورة الجمعة، الآية ٩.

٢. سورة المنافقون، الآية ٩.

٣. وسائل الشريعة، ج ٧، ص ١٥٠، ح ٥.

إذن فكثير الذكر كثير الصلاة و دائم الذكر دائم الصلاة، وكل أثر يترتب على دوام الصلاة يترتب على دوام ذكر الله أيضاً.

و أبرز أثر إيجابي لدوام الصلاة هو ما ورد في سورة المعارج الآية ١٩ - ٢٣: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلِيقٌ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، وإن كلمة المصلين في هذه الآية صفة مشبهة وليست باسم فاعل وذلك لوصفهم بالدوام على الصلاة. وعلى أي حال فإن دوام الذكر يستبطن دوام الصلاة أيضاً، علماً بأن ذلك يختص بالموارد التي يسوغ فيها التنزيل العام وعموم التنزيل هذا وإلا فبمجرد الذكر لا تُترك الصلاة، لأن لحكم الصلاة الفقهي محله وموضعه الخاص.

تنبيهه، صعوبة الذكر الكثير

إن كثرة الذكر أو دوامه يستلزم المراقبة والحضور والمحاسبة المستمرة وهو أمر عسير، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ثلاث لا تطيقهن الناس: ١- الصفح عن الناس ٢- ومواساة الأخ أخاه ٣- وذكر الله كثيراً»^١.

و المراد بصعوبة الذكر الكثير هو حضور القلب وذكر الله في الفؤاد وإلا فالذكر العلني لجلب أنظار الناس سهل و قليل وإن كان كثيراً، ولو كان دائماً فهو مؤقت؛ لأن متاع الدنيا قليل وما كان للدنيا فهو قليل كذلك، وهذا ما يمكن استظهاره من حديث أمير المؤمنين عليه السلام المنقول سابقاً: «من ذكر الله عز وجل في السر فقد ذكر الله كثيراً إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السر، فقال الله عز وجل: ﴿يُرَآؤُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾»^٢.

١ . وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٥٧، ح ١٢.

٢ . وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٦٤، ح ٣.



الفصل الثامن: طريق الوصول إلى علو الذكر

لا يمكن التحلي بالذكر بمعنى الشهرة و بعد الصيت من دون ذكر الحق؛ لأن الشيء العاري من الحق لا حصة له من البقاء و الدوام: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^١، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^٢، فمن لا تربطه صلة بالله و ذكره يقع في بقعة النسيان و يتبدل إلى حديث في التاريخ فيقال فيه: كان فيما مضى السلطان الفلاني و الأمير الفلاني و الحاكم الفلاني و...، و لا يوجد له أثر في الحال الحاضر، و إنما هو مدفون في ذهن التاريخ و بين طيات الأوراق، و قد عبر الله عن مثل هذه الطائفة بالأحاديث: ﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾^٣، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَ مَرَفْنَاهُمْ كُلٌّ مُمَزَّقٌ﴾^٤.

و من الواضح بأن الشيء الذي يقطعه الله و يمزقه لا يعود إلى حالته الأولى بتاتا؛ فلا يعلو ذكر شيء أو شخص إلا إذا كانت تربطه بالله و ذكره صلة وثيقة، و من هنا جاء حول رسالة الرسول الأكرم الذي له صلة بالله لا تنقطع أبداً بل هو مظهر اسم الحق و آية ذكر الله الكبرى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^٥.

و ليريب الله لنبيه ﷺ الشهرة و بعد الصيت فحسب، بل رفع ذكره كذلك، فكما أن للمؤمن درجة رفيعة و للمؤمن العالم درجة تفوق ذلك فقد رفع ذكر الرسول الأكرم ﷺ الذي طبقت شهرته الآفاق، و بما أن القرآن قد علا ذكره لاشتماله على ذكر الله فهو يسبب علو ذكر أتباعه الصادقين أيضاً فقد قال الله سبحانه في هذا الشأن:

١ . سورة النحل، الآية ٩٦.

٢ . سورة القصص، الآية ٨٨.

٣ . سورة المؤمنون، الآية ٤٤.

٤ . سورة سبأ، الآية ١٩.

٥ . سورة الانشراح، الآية ٤.



﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^١، فهذه الآية في الوقت الذي تدعو الناس إلى ذكر الحق، تبشّرهم بفيض علو الذكر و نعمة بعد الصيت أيضاً، كما ويمكن استنباط هذا المعنى من بعض الآيات الأخرى كذلك، لأن علو الذكر الصادق علامة على الارتباط بالله والارتباط بالحق.

ولذا فقد ورد في دعاء أبي حمزة الثمالي مسألة شرعية ناهضة من الوعي والبصيرة: «و أعلّ ذكرى»، كما رفعت ذكر النبي ﷺ، ومنشأ هذا السؤال هو أن أمة النبي ﷺ تتأسى به: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^٢، فتتغنم بالسعادة الدنيوية والفيض الإلهي، وإن كانت الفاصلة محفوظة بين الأصل والفرع و امتياز القائد عن التابع و تمايز المعصوم عن غير المعصوم و الفرق بين الكامل والناقص و أمثالها.

الفصل التاسع: ذكر الله شفاء

إن اسم الله دواء و ذكره شفاء: «يا من اسمه دواء و ذكره شفاء»^٣. و لابد للتداوي من الأمر تناول دواء معلوم و بمقدار معين و كيفية خاصة، كما أن للشفاء من المرض حدود معينة يؤول اجتيازها إلى الوقوع في الخطر؛ و من هنا فلا بد للسالك الذاكر لأجل الشفاء من أمراضه من الاقتصار على ذكر مأثور و بكمية و كيفية محدودة و إلا فلا ينتفع من الذكر العاري من النظم، إلا إذا كان من باب الذكر المطلق و رجاء الثواب فإن له بحث آخر و قد وردت نصوص في لزوم التجنب عن الزيادة أو النقيصة فيه نشير إلى طائفة منها.

١. سورة الأنبياء، الآية ١٠.

٢. سورة الأحزاب، الآية ٢١.

٣. دعاء كميل.



دليل توقيفية الذكر

١ - عن إسماعيل بن الفضل قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾، فقال: «فريضة على كل مسلم أن يقول قبل طلوع الشمس عشر مرات وقبل غروبها عشر مرات: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير»، قال: فقلت: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي، فقال: «يا هذا لا شك في أن الله يحيي ويميت ويميت ويميت ويحيي ولكن قل كما أقول»^١.

يظهر من هذا الحديث أنه لا ينبغي أن يدخل في دائرة الأذكار المأثورة كل ما عند الله ويتصف وينعت به سبحانه إلا ما ورد في القرآن الكريم الذي هو كلام خير الذاكرين أو في كلمات مظاهر أسماء الله الحسنى وهم الكُمَّل من الناس كالأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام الذين لا يصدر منهم من تعاليم إسلامية إلا بإرشاد غيبي من الله سبحانه لا من أنفسهم، ولذا جاء في الحديث المذكور: «لا شك في أن الله يحيي ويميت ويميت ويميت ويحيي ولكن قل كما أقول»، وهو أن الله يحيي ويميت.

٢ - عن العلاء بن كامل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ عند المساء: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي وهو على كل شيء قدير»، قال: قلت: بيده الخير؟ قال عليه السلام: «إنَّ بيده الخير، ولكن قل كما أقول لك عشر مرات: أعوذ بالله السميع العليم حين تطلع الشمس وحين تغرب عشر مرات»^٢.

١. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢٢٧، ح ٤.

٢. وسائل الشيعة، ج ٧، ح ٦.

فإن تمام الخير وإن كان بيد الله ولا يصل لغيره شيء إلا عبر قدرته، ولكن لا يلزم أو لا ينفع إضافة ذلك إلى هذا الذكر ومن أجل الوصول إلى هدف الذكر الخاص لا ينبغي إضافة شيء عليه.

٣- عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في وظيفة عصر غيبة بقية الله عليه السلام بعد نقله للدعاء المعروف «اللهم عرّفني نفسك...» الذي يُعدّ بمثابة البرهان الإلهي على النبوة والرسالة وحجة الزمان: «ستصيبيكم شبهة فتبقون بلا علم يرى ولا إمام هدى لا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق»، قلت: كيف دعاء الغريق؟ قال: «تقول يا الله يا رحمان يا رحيم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك، فقال: «إن الله عز وجل مقلب القلوب والأبصار ولكن قل كما أقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^١.

ملاحظة: يتناول هذا البحث مسألة الذكر لا الدعاء، وإن كان الدعاء يستبطن ذكر الله أيضاً، ولذا فإن ما ذكر في المثال الثالث يرتبط بمسألة الدعاء وخارج عن هذا البحث ونقله في مسألة توقيفية الذكر ليس إلا من باب التأييد.

الفصل العاشر: شمولية الذكر

سبق وأن ذكر في بداية بحث الذكر بأن كل ما يُحيي اسم الله وذكره فهو ذكر سواء كان على نحو الأذكار المتعارفة بين الذاكرين أو على هيئة الأفكار المتداولة بين العلماء؛ فإنّ حلقة الدرس مجلس الذكر، والمعلم والمتعلم كلاهما مشغولان بذكر الله، ويمكن استظهار هذه المسألة إضافة إلى تحليل معنى الذكر والاستنباطات العامة من بعض الأحاديث الواردة في هذا الباب أيضاً.



فقد ورد في الخبر: قال لقمان لابنه: «يا بني اختر المجالس على عينيك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإن تكن عالماً ينفعك علمك وإن تكن جاهلاً علموك، ولعل الله أن يظلمهم برحمة فتعمك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك وإن تكن جاهلاً يزيدوك جهلاً ولعل الله أن يظلمهم بعقوبة فيعمك معهم»^١.

و الظاهر أن المراد بذكر الله هو تذاكر العلوم الإلهية وذلك لقوله: فإن رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإن تكن عالماً ينفعك علمك وإن تكن جاهلاً علموك، وغيره من القرائن الواردة في الحديث. ولذا يقول صاحب وسائل الشيعة: قد فهم منه الكليني رحمه الله وغيره إرادة تذاكر العلم فأوردوه في هذا الباب (باب استحباب الجلوس مع الذين يذكرون الله ومع الذين يتذاكرون العلم)، ويقول أيضاً: كثيراً ما يستعمل الذكر بمعنى العلم في الأحاديث^٢.

تنبيهه، دائرة ذكر الله

بما إن الذكر بمعنى التذكر لا يختص باسم معين، ويعدّ التذاكر العلمي في المعارف والأحكام من المصاديق البارزة لذكر الله، ولذا فإن حوزة التعليم والتعلم تدخل في دائرة ذكر الله وكل ما يترتب على مطلق الذكر (لا الذكر الخاص) من أثر يترتب على التذاكر العلمي كذلك، فما ورد على سبيل المثال من مجالسة الله مع الذاكرين يشمل حوزة التعليم والتعلم أيضاً.

فقد روي عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «مكتوب في التوراة التي لر تغير أن موسى عليه السلام سأل ربه فقال: يا رب أ قريب أنت مني فأناجيك أم بعيد

١. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢٣١، ح ٢.

٢. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢٣١ و ٢٣٢.



فأناديك؟ فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى أنا جليس من ذكرني^١. وإطلاق الحديث يشمل كل ضروب الذكر سواء الذكر المناجاتي أو المناداتي أو الذكر العلمي و الحوار الفكري والديني.

ملاحظة: الانسجام بين ذكر الله والتفكير العلمي

إن بين ذكر الله والتفكير العلمي العميق انسجام كامل وكل يؤيد الآخر ويستمد من الآخر، فإن ذكر الله يُسبب تعزيز البنية العلمية وازدهار الفطنة والتذاكر العلمي يسوق الروح إلى الترتّم بذكر الله، وكلما أصاب أحدهما الخمول والأفول ساقه الآخر إلى الحيوية والنشاط، وإن كان المولى الرومي يعتبر الذكر بمثابة الشمس التي تسوق الفكر الخامل الآفل إلى النشاط والحركة:

يكفي القول و عليك بالفكر، فإن كان جامداً فالتزم الذكر

فإنه كالشمس ينشط الفكر و يُزيل عنه خموله^٢

و في الختام جدير أن يُقال: سبحان من جعل الاعتراف بالعجز عن الذكر ذكراً^٣.

اللهم أذك الشائقين التائقين حلاوة ذكرك.

* * *

١. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٤٩، ح ٢.

٢. بيتان بالفارسية في مثنوي معنوي، الكتاب السادس، وهذا نصها:

اين قدر گفتم باقي فکر کن فکر اگر جامد بود رو ذکر کن

ذكر آرد فکر را در اهتزاز ذکر را خورشید این افرده ساز

٣. هذا اقتباس مما ورد في الشكر (الصحيفة السجادية الجامعة، الدعاء ٦).

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الروايات

فهرس الأشعار

فهرس المصادر

فهرس الموضوعات



فهرس الآيات

الآية	الصفحة
● سورة الحمد (١)	
٦	٤١
٥	١٢٣
● سورة البقرة (٢)	
٢٨٤	٧١
٢٥	١١٨، ٧٢
٢١٤	٧٤
٦٣	٢٦٣، ٢٥٤، ١٠١
٢٣٨	١٠٤
١٧٩	١٠٥
١٩٤	١٠٥
١٨٣	١١٤
١٨٣	١١٩
١١٥	١٢١
٤٥	١٢٣
٢٥	١٣٣
٢٠١	١٩٤، ١٤١

● سورة الحمد (١)

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

● سورة البقرة (٢)

﴿وَأِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ ...﴾

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا ...﴾

﴿تُخَذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ ...﴾

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

﴿وَالْحُرْمَاتِ قِصَاصٌ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

﴿فَأَنبَأْنَا تَوَلَّوْا فَنَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ ...﴾



الآية	الصفحة
﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا...﴾	١٢٥
﴿وَلَا تَبْشِرُوهُمْ وَ أَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي ...﴾	١٨٧
﴿وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	١٧٤
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾	١٨٥
﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾	١٨٦
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾	٢٥٥
﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾	٢٠٠
﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا...﴾	٢٠٠
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾	١٥٢
﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ...﴾	١٩٨

● سورة آل عمران (٣)

﴿إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّبَعُوهُ...﴾	٦٨
﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ...﴾	١٧٠
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي...﴾	٣١
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾	١٩٢
﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾	٩٢
﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	١٥
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ...﴾	١٨
﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ...﴾	٣٧
﴿وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْتَظِرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ...﴾	٧٧
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾	١٠٣
﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَ...﴾	١٩١
﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا...﴾	١٣٥
﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾	٤١

الآية	الصفحة
● سورة النساء (٤)	
﴿إِذْ يَبْيُتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ...﴾	١٠٨
﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾	٤٢
﴿وَلَيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً...﴾	٩
﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾	٣٢
﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا...﴾	١٠٣
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ...﴾	١٤٢
● سورة المائدة (٥)	
﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ...﴾	١١٨
﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	٢٧
﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾	٦
﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا...﴾	٦
﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا...﴾	٤
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ﴾	٩١
● سورة الأنعام (٦)	
﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾	١٢٢
﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ...﴾	٧٥
﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ...﴾	١٥١
﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾	١٢٢
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾	٥٩
﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾	٥٤
﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ...﴾	١٢١
﴿وَأِمَّا يُنَسِّبَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ...﴾	٦٨
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...﴾	٨٣

الآية	الصفحة
● سورة الأعراف (٧)	
﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَ...﴾	١٨٥
﴿وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَ خِيفَةً...﴾	٢٠٥
﴿وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ...﴾	٢٠٠
﴿لَا تَعُدَّنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	١٦
﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	٣١
﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٥٦
﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا ...﴾	٢٧
﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ هُمْ...﴾	١٣٨
﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا...﴾	١٤٣
﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرَّعًا وَ خُفْيَةً﴾	٥٥
﴿لَا تُمْفَحْهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾	٤٠
﴿وَالْوِزْنَ بِوَمِيزِ الْحَقِّ﴾	٨
﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٦٩
﴿وَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ انصِتُوا...﴾	٢٠٤
﴿فَأَمِينُوا مَكَرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكَرَ اللَّهِ...﴾	٩٩
﴿وَ اتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أَنزَلْنَا مَعَهُ...﴾	١٥٧
﴿أَوْ عَجِزْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾	٦٣
﴿وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا...﴾	١٧٠

● سورة الأنفال (٨)

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ﴾	٥٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ...﴾	٢٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا...﴾	٤٥
﴿وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾	٦٠



الآية	الصفحة
● سورة التوبة (٩)	
﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾	٤٥
﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾	٤٤، ٤٢
﴿لَمَسْجِدَ أُسَسِّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ...	١١٠
﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾	١٠٨
﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ...﴾	٢٨
﴿وَإِنْ أَخَذَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتِجَارَكَ...﴾	٩٨
﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ...﴾	٦
	١٠٤
● سورة يونس (١٠)	
﴿أَنْتَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾	٣١
﴿وَمَا يَغْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ...﴾	١١٧
	٦١
● سورة هود (١١)	
﴿عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾	١٧
	٥٢
● سورة يوسف (١٢)	
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ...﴾	١٠٦
﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ...﴾	٢٠٤، ٨٢
	١٠٤
● سورة الرعد (١٣)	
﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	٢٨
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِعِقْدَارٍ﴾	٨
﴿طُوبَى لِمَنْ هَمَّ وَحَسُنَ مَا أَبِ﴾	٢٩
	٢٤٩



الآية	الصفحة
● سورة إبراهيم (١٤)	
﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ...﴾	٢٢
﴿فَأَجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ يَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾	٣٧
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا...﴾	٥
● سورة الحجر (١٥)	
﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾	٩٩
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ...﴾	٢١
﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾	٢٩
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩
● سورة النحل (١٦)	
﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾	٥٣
﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾	١٢٢
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ...﴾	٤٤
﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾	٩٦
● سورة الإسراء (١٧)	
﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ...﴾	١٠٢
● سورة الكهف (١٨)	
﴿وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾	٢٧
﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾	٥٠
﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾	١٠١
﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾	٦٣



الآية	الصفحة
● سورة مريم (١٩)	
﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا...﴾	٩٣
﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾	١٢
﴿أَلَمْ نَرِ أَنْتَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ...﴾	٨٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾	٩٦
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾	٦٤
﴿ذِكْرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾	٢
﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ...﴾	٤١
﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ...﴾	٥١
﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ...﴾	٥٤
﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ...﴾	٥٦
● سورة طه (٢٠)	
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ...﴾	١٠٧-١٠٥
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾	١٤
﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾	٢٦
﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾	٣٦
﴿كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَمْتُكُمْ﴾	٥٤
﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ...﴾	٩٧
﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾	٣٢
﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَ...﴾	٤٢
﴿كَيْ تَسْبَحَكَ كَثِيرًا * وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾	٣٤-٣٣
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ...﴾	١٢٤
﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي...﴾	١٤

الآية	الصفحة
● سورة الأنبياء (٢١)	
﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾	٦٨
﴿أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	٦٧
﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾	١٠٢
﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾	٢٦
﴿لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾	٢٧
﴿مَا هِيَ الشَّائِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾	٥٢
﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ...﴾	٨٧
﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ...﴾	١٠
● سورة الحج (٢٢)	
﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا...﴾	٣٧
﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾	٣٦
● سورة المؤمنون (٢٣)	
﴿فَاتَّبِعْنَا بَعْضَهُمْ بِعَضَا وَجَعَلْنَاهُمْ...﴾	٤٤
● سورة النور (٢٤)	
﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ...﴾	٣٧
● سورة الفرقان (٢٥)	
﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾	٧٤
﴿قُلْ مَا يَعْبُدُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ﴾	٧٧
● سورة الشعراء (٢٦)	
﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾	٢٢٧
	٢٥٣



الآية	الصفحة
● سورة النمل (٢٧)	
﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ...﴾	٤٩
﴿أَشْنَجُوبُ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ وَ...﴾	٦٢
﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾	١٤
● سورة القصص (٢٨)	
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	٨٨
● سورة العنكبوت (٢٩)	
﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾	٤٥
﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا...﴾	٦٠
● سورة لقمان (٣١)	
﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣
● سورة الأحزاب (٣٣)	
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ...﴾	٤١
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ...﴾	٣٣
﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾	٤
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾	٥٦
﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ...﴾	٤٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	٩
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾	٢١
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ... وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ...﴾	٣٥
﴿وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ...﴾	٣٤

الآية	الصفحة
● سورة سبأ (٣٤)	
﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَ مَا يُعِيدُ﴾	٤٩
﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَ مَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾	١٩
٥٤	٢٧١
● سورة فاطر (٣٥)	
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ...﴾	١
﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ...﴾	٤١
٩٢	٢٦٨
● سورة يس (٣٦)	
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ...﴾	٨٢
﴿وَ امْتَاذُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾	٥٩
﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٨٣
﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَ يَحْيِيَ الْقَوْلُ...﴾	٧٠
٢١	١٦٩
٢٧	
٥١	
● سورة الصافات (٣٧)	
﴿وَ مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾	١٦٤
١٢٥	
● سورة ص (٣٨)	
﴿هَمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ...﴾	٢٦
﴿جَنَاتٍ عَذْنٍ مُفْتَحَةٍ هُمْ الْأَبْوَابُ﴾	٥٠
﴿ص وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾	١
٨٩	٢٦٧
١٤٢	
● سورة الزمر (٣٩)	
﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوا خَالِدِينَ﴾	٧٣
﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾	٦٣
﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا...﴾	٢٣
١١٩، ٤١	
١٤١	
٢٦٠	



الآية	الصفحة
● سورة المؤمن (غافر) (٤٠)	
﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾	١٩
﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ...﴾	٧٦
﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ...﴾	١٧١
﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	١٩٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي...﴾	١٩٢
﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	١٩٣
● سورة فصلت (٤١)	
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ...﴾	١٨٠
﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾	٢٠١
● سورة الشورى (٤٢)	
﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ...﴾	١٧١
﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا...﴾	١٩٣
﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا...﴾	٢١٩
● سورة الزخرف (٤٣)	
﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾	٢٥٠
● سورة محمد ﷺ (٤٧)	
﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾	٧٤
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسْمَاهُمْ...﴾	٧٥
﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ...﴾	١٣٠

الآية	الصفحة	
● سورة الفتح (٤٨)		
١٨	٤٣	﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ...﴾
٤	٤٣	﴿أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٢٩	٥٤	﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾
٤	١١٧، ٧٨	﴿وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
● سورة الحجرات (٤٩)		
١	٩٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا...﴾
● سورة ق (٥٠)		
٢٢	٧٣	﴿فَبَصَّرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾
٣٠	١٣٤	﴿هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾
١٦	١٨٦	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ...﴾
● سورة الطور (٥٢)		
٢١	١١٦	﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ﴾
● سورة النجم (٥٣)		
٢-١	٤٢	﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ...﴾
٩-٨	٢٤٥	﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ...﴾
٤٢	٢٤٥	﴿وَأَنَّ إِلَهَ رَبِّكَ الْمُتَهَيِّلُ﴾
٢٩	٢٥٥	﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا...﴾
● سورة القمر (٥٤)		
٥٤	١٢٠	﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾

الآية	الصفحة
﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾	٥٥
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ ...﴾	١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠
	٢٦٧

● سورة الرحمن (٥٥)

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾	٢٩
﴿مُكَتِّبِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾	٥٤

● سورة الواقعة (٥٦)

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ ...﴾	٨٨-٨٩
﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ...﴾	٧٧-٧٩
﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾	٧٩
﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا ...﴾	٨٥

● سورة الحديد (٥٧)

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾	٣
--	---

● سورة المجادلة (٥٨)

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾	١٩
---	----

● سورة الحشر (٥٩)

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ ...﴾	١٩
---	----

● سورة الجمعة (٦٢)

﴿مِثْلَ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَا يُحْمِلُوهَا ...﴾	٥
---	---

الآية	الصفحة
﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَمَوْا انْفِصُوا إِلَيْهَا...﴾	١١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ...﴾	٩
● سورة المنافقون (٦٣)	
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَ...﴾	٩
● سورة الطلاق (٦٥)	
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ...﴾	١٢
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾	١٠
● سورة التحريم (٦٦)	
﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ...﴾	٨
● سورة الملك (٦٧)	
﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾	١
﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ...﴾	٢
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا...﴾	٣٠
● سورة الحاقة (٦٩)	
﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا لَآئِنَ غَسَلِينِ * لَا...﴾	٣٧-٣٦
﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾	١٨
● سورة المعارج (٧٠)	
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ...﴾	٢٢-١٩
﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾	٢٣



الآية	الصفحة
﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الدِّينِ﴾	٢٦
﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾	٢٧
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَائِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾	٣٢
﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾	٣٥

● سورة الجن (٧٢)

﴿وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾	١٥
--	----

● سورة المزمل (٧٣)

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَ...﴾	٦
﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾	٨

● سورة المدثر (٧٤)

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾	٣٨
--	----

● سورة الدهر (الإنسان) (٧٦)

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ ...﴾	٩
﴿وَنُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ...﴾	٨
﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	٢٥

● سورة النبأ (٧٨)

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾	١٩
--	----

● سورة النازعات (٧٩)

﴿أُمِّ السَّاءِ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا...﴾	٢٧-٣٣
---	-------

الآية	الصفحة	
سورة عبس (٨٠)		
﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾	١٦-١٥	١٧٧
سورة التكوير (٨١)		
﴿فَإِنَّ تَذْهَبُونَ﴾	٢٦	٤٢
سورة المطففين (٨٣)		
﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾	٢٦	١٥٥
سورة الأعلى (٨٧)		
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ...﴾	١٥-١٤	٢٥٠، ٢٤٤
سورة الفجر (٨٩)		
﴿فَإِذْخُلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾	٣٠-٢٩	١١٨
﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * أَرْجِعِي إِلَى...﴾	٣٠-٢٧	٢٤٥
سورة البلد (٩٠)		
﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ...﴾	١٢-١١	٨٦
سورة الليل (٩٢)		
﴿فَإِمَّا مَنَ أَعْطَى وَآتَى * وَصَدَقَ...﴾	٧-٥	١٢٣
سورة الانشراح (٩٤)		
﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾	٤	٢٧١، ٨٨
﴿أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا...﴾	٤-١	١٢٤



الآية	الصفحة
● سورة العلق (٩٦)	
﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾	١٤
٢٥٠	
● سورة القدر (٩٧)	
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	١
١٧٥	
● سورة العاديات (١٠٠)	
﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾	١١
٧٦	
● سورة التكاثر (١٠٢)	
﴿كَذَلِكُمْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ...	٨-٥
١١٠، ٦٢، ٢٤	
● سورة الهمزة (١٠٤)	
﴿وَيَلْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُزْةٌ﴾	١
٥٣	
﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ * فِي...﴾	٩-٨
١٤٢	
● سورة الماعون (١٠٧)	
﴿قَوْلٍ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ...﴾	٧-٤
٦٨	
● سورة الإخلاص (١١٢)	
﴿لَا يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	٤
١٦٣	

فهرس الروايات

الصفحة	الحديث
	● الرسول الأكرم ﷺ
١٨	«اعبد الله كأنك تراه، وإن كنت لا تراه ...»
١٦١، ٢٧	«لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»
٢٧	«لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»
٣١	«لا يشكر الله من لا يشكر الناس»
٣٥	«إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس
٣٧	«أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَشِقَ الْعِبَادَةَ فَعَانَقَهَا وَ...»
٤٧	«يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني و...
٥٧	«يا علي إذا أنا مت فغسلني وكفني ثم...»
٥٧	«أنتم المقهورون والمستضعفون من بعدي»
٥٨	«أنا والساعة كهاتين»
٥٩	«يا معشر الناس! إن أفضل الهدئ الهدئ هديّ محمد»
٦١	«من مات قامت قيامته»
٦١	«صَبَّحْتَكُمْ السَّاعَةَ، مَسَّيْتُكُمْ السَّاعَةَ»
٦١	«من ترك مالا فإلهه ومن ترك ديناً...»
٦٤	«يا علي نجا المخفون وهلك المثقلون»
٦٦	«أفضل الأعمال أحزها»
٦٩	«الإخلاص سرّ من سرّي أودعه في قلب من أحببته»



الصفحة

الحديث

- ٨١ «يخسر الله عز وجل أمتي يوم القيامة بين الأمم
- ٨٣ «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»
- ٨٩ «واعلموا أن الله تعالى أقسم بعزته...
- ٩٤ «أعني بكثرة السجود»
- ٩٥ «ظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخففوها...
- ٩٦ «المُصَلِّي يُناجي ربه»
- ٩٧ «من أتقى على ثوبه في صلاته فليس لله اكتسب»
- ٩٨ «زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه»
- ٩٩ «ما من صلاة يحضر وقتها إلا نادى ملك...
- ١٠٤ «إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء و...
- ١٠٨ «إن الله عز وجل يحب معالي الأمور و...
- ١١٣ «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن»
- ١١٤ «هل من مبشرات؟»
- ١١٤ «أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعاً...
- ١١٤ «يا أيها الناس إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم...
- ١١٥ «إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة»
- ١٢١ «لكل كبد حرّاء أجر»
- ١٢٤ «إن الله تبارك وتعالى وكل ملائكة بالدعاء...
- ١٢٩-١٣٠ «اليد العليا خير من اليد السفلى»
- ١٣٧ «من عرف الله وعظمه منع فاه من الكلام و...
- ١٣٨ «إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً و...
- ١٣٩ «استعن بيمينك»
- ١٤٦ «يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن...
- ١٤٦ «دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك»
- ١٤٩ «قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة»

الصفحة

الحديث

- ١٦١ «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَ طَهُوراً»
- ١٧١ «فَإِنَّ الْبَيْتَ إِذَا كَثُرَ فِيهِ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ كَثُرَ ...»
- ١٧٢ «نُورُوا بِيُوتَكُمْ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَلَا ...»
- ١٧٣ «شُدَّ مِنْ مَنْزِلِكَ إِلَى الْمَسْجِدِ حَبْلاً وَ احْضِرِ الْجَمَاعَةَ»
- ١٧٧ «حَمَلَةُ الْقُرْآنِ عَرَفَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ»
- ١٧٨ «لَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ شَيْطَانٌ ...»
- ١٨٠ «مَنْ قَرَأَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ ...»
- ١٨٢ «طَيَّبُوا أَفْوَاحَكُمْ فَإِنَّ أَفْوَاحَكُمْ طَرِيقُ الْقُرْآنِ»
- ١٨٣ «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةٌ لِلَّهِ فَتَعَلَّمُوا ...»
- ١٨٨ «وَ ارْفَعُوا إِلَيْهِ أَيْدِيَكُمْ بِالْدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ صَلَوَاتِكُمْ ...»
- ٢٠٠ «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعِمْ فَإِنَّهُ أَوْجِبَ لِلدُّعَاءِ»
- ٢٠٢ «إِنَّ الْيَتِيمَ إِذَا بَكَى اهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ»
- ٢٠٢ «فَاسْأَلُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ بَنِيَاتٍ صَادِقَةٍ وَ قُلُوبٍ طَاهِرَةٍ»
- ٢٠٣ «يَا أَبَا ذَرٍّ مَا زَهْدَ عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَثْبَتَ اللَّهُ»
- ٢١١ «وَ مَنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ ثَقُلَ اللَّهُ مِيزَانَهُ ...»
- ٢١٦ «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَ لَمْ يَصِلْ عَلَيَّ آلِي، لَمْ يَجِدْ ...»
- ٢١٦ «المرء مع من أحب»
- ٢١٨ «إِنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ وَ لَعْنَةَ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ ...»
- ٢١٨ «أَيُّهَا النَّاسُ مَا كُنَّا لِنَجِثَكُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا وَ عِنْدُنَا تَأْوِيلُهُ ...»
- ٢١٨ «أَلَا وَ إِنِّي أَنَا أَبُوكُمْ»
- ٢١٨ «أَلَا وَ إِنِّي أَنَا مَوْلَاكُمْ»
- ٢١٨ «أَنَا وَ عَلِيٌّ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ»
- ٢٢٠ «عَلِيٌّ مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ»
- ٢٢٠ «يَا عَلِيُّ، مَنْ قَتَلَكَ فَقَدْ قَتَلَنِي وَ مَنْ ...»
- ٢٢١ «حَرْبُكَ حَرْبِي»

الصفحة	الحديث
٢٢١	«إِنَّ حَلَقَةَ بَابِ الْجَنَّةِ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ...»
٢٢٢	«أَنَا مَدِينَةُ الْحِكْمَةِ وَهِيَ الْجَنَّةُ وَأَنْتَ يَا عَلِيُّ بَابُهَا»
٢٢٣	«عَلِيٌّ مَنِيٌّ وَأَنَا مَنِيٌّ عَلِيٌّ»
٢٢٣	«لَا يُوَدِّيْ عِنْدَكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ»
٢٢٣	«حَسِينٌ مَنِيٌّ وَأَنَا مِنْ حَسِينٍ»
٢٢٤	«لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...»
٢٢٤	«... كَرَارًا غَيْرَ فَرَارٍ، لَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ...»
٢٢٦	«أَيُّهَا النَّاسُ أَفِيكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ مِنْ أَهْلِهِ خَاصَّةٌ؟»
٢٢٦	«أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مَنِيٌّ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى...»
٢٢٧	«مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيُّ مَوْلَاهُ...»
٢٣٩	«ارْتَعَوْا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ...»
٢٥٦	«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»

● الإمام علي عليه السلام

١٧	«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ الْعِزُّ وَالْكَبرياءُ...»
١٨	«كَيْفَ يَجِدُ لَذَّةَ الْعِبَادَةِ مَنْ لَا يَصُومُ عَنِ الْهَوَى»
٢٦	«هُمْ مَوْضِعُ بَرِّهِ وَجَأْأُ أَمْرِهِ وَعَيْنُهُ عَلَيْهِ وَ...»
٢٨	«الظُّفَرُ بِالْحَزْمِ وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ وَالرَّأْيُ...»
٢٩	«الْمُؤْمِنُ يَتَقَلَّبُ فِي خَمْسَةِ مِنَ النُّورِ، مَدْخُلُهُ نُورٌ...»
٤٨	«... هِيَهَاتَ غَرِّيْ غَيْرِي، لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ...»
٤٩	«يَا صَفْرَاءُ يَا بَيْضَاءُ غَرِّيْ غَيْرِي»
٤٩	«كِلَاهُمَا عِنْدِي حَجْرَانِ فَاعْطِ الْأَعْرَابِي...»
٥٢	«مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مَذْأَرِيَّتَهُ»
٥٥	«وَصَيِّتِي لَكُمْ أَنْ لَا تَشْرَكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا»
٥٦	«... فَلَا تَضَيِّعُوا سُنَّتَهُ»

الصفحة	الحديث
٥٦	«أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين»
٥٦	«أنا بالأمس صاحبكم واليوم عبرة لكم و...»
٥٦	«تالله لابن أبي طالب آتس بالموت من الطفل...»
٢٢٧، ٥٨	«لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»
٦٣	«تخففوا تلحقوا»
٦٤	«بين نثيله ومعتلفه»
٧٣	«وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم...»
٨٧	«استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعموه!...»
٩٢	«يطير بهما في الجنة»
٩٤	«إنما يجمع الناس الرضا والسخط فمن رضي...»
٩٥	«ولا تباغضوا فأنها الحالقة»
٩٨	«زكاة الجمال العفاف»
٩٨	«زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله»
١٠٢	«تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا...»
١٠٣	«نعوذ بالله من سبات العقل»
١٠٥	«لا يمنع الضيم الذليل»
١٠٥	«ردّوا الحجر من حيث جاء، فإن...»
١٠٦	«فاعل الخير خير منه وفاعل الشرّ شرّ منه»
١٠٨	«وأقربهم منزلة منك وأخصّهم زلفة لديك»
١١١	«لا يُقاس بأل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد»
١١٥	«من ترك الشهوات كان حراً»
١١٦-١١٥	«إنّ هذا الدين كان أسيراً في أيدي الأشرار...»
١١٦	«ألا حرّ يدع هذه اللَّماظة لأهلها»
١١٧	«... أعضاؤكم شهوده وجوارحكم جنوده و...»
١٣١	«من وجد ماءً و تراباً ثم افتقر...»

الصفحة	الحديث
١٣٣	«هذه صدقة»
١٣٥	«و أحسن منه تبه الفقراء على الأغنياء...»
١٣٧	«إنَّ الفقر والغنى بعد العرض على الله»
١٣٩	«وضعتني في حجره وأنا ولد...»
١٤٦	«ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟»
١٤٧	«و قلبي بحبك متبياً»
١٦٥	«الصلاة قربان كل تقى»
١٧٣	«الشاذ من الناس للشيطان كما أن...»
١٧٤	«الزهد كله بين كلمتين من القرآن...»
١٧٤	«فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن...»
١٨٣	«صاحب المزامير وقارئ أهل الجنة»
١٩٠	«إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً و...»
١٩٠	«أنت كما أحب فأجعلني كما تحب»
١٩٥	«لا حجاب بينه وبين خلقه»
١٩٦	«اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها...»
١٩٦	«اللهم صن وجهي باليسار، و...»
١٩٨	«واجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك و...»
٢٠١	«بين الساء والأرض مدّ البصر ودعوة المظلوم»
٢٠٥	«كم من عثار وقته»
٢٠٦	«و أقبل عليّ إذا ناجيتك»
٢٢٧، ٢٠٧	«ما كنت أعبد رباً لراًه»
٢١١	«زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا»
٢١٤	«ليس في البرق الخاطف مستمتع لمن يخوض في الظلمة»
٢١٧	«... أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت»
٢١٨-٢١٧	«لا تبك يا أصبغ فإنها والله الجنة»

الصفحة	الحديث
٢٢٠	«ألا إني عبد الله وأخو رسوله...»
٢٢٤	«لا أبالي أدخلت إلى الموت أو خرج إلى الموت»
٢٢٤	«من استأسر من غير جراحة مُشخنة فلا يُفدى»
٢٢٥	«ما قلعت باب خير... بقوة جسدية...»
٢٢٦	«رضيت عن الله ورسوله»
٢٢٧	«ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق...»
٢٣٠	«و لولا الأجل الذي كتب الله عليهم لرتستقر...»
٢٣٠	«يا كميل، إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها»
٢٤٣	«و ذلك ميت الأحياء»
٢٧٠، ٢٥٢	«من ذكر الله في السرّ فقد ذكر الله كثيراً...»
٢٥٨	«إلهي وألهمني ولهاً بذكرك إلى ذكرك»
٢٥٨	«و أن تجعلني ممن يديم ذكرك»
٢٥٨	«أتقرّب إليك بذكرك»
٢٥٨	«تلهمني ذكرك»
٢٥٨	«لهج به لساني من ذكرك»
٢٥٨	«أن تجعل أوقاتي من الليل و النهار بذكرك معمورة»
٢٥٨	«و ذكره شفاء»
٢٦٣	«و اعلموا أنّ الأمل يُسهي العقل، و...»
٢٦٣	«... أما و الله ليمتني من اللعب ذكر الموت و...»
٢٦٤	«إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان...»
٢٧٢	«يا من اسمه دواء و ذكره شفاء»

● الإمام الحسن عليه السلام

١٦٤	«من سعى في حاجة أخيه المسلم فكأنما عبد الله...»
٢٠٢	«و أنا الضامن لمن لم يهجز في قلبه...»

الصفحة

الحديث

● الإمام الحسين عليه السلام

- ٥٧ «ما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف»
 ١٩٩، ١٠٩ «لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت...»
 ١٠٩ «... أني أحب الصلاة له»
 ١٧٣ «ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد...»
 ٢٢٥ «صبراً بني الكرام فما الموت إلا قنطرة...»

● الإمام السجاد عليه السلام

- ٢٩ «ما كان أطولك على المجرمين»
 ٣٥ «أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن...»
 ٥٥ «من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس...»
 ٩٤ «و أذقني حلاوة ذكرك»
 ٩٨ «ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج!»
 ١٠٩ «ألهتني عنها النار الكبرى»
 ١٣٠ «و هو يُطعم و لا يُطعم و يُجير و لا يُجار عليه»
 ١٤٨، ١٤٧ «اللهم و أنت جعلت من صفايا تلك الوظائف...»
 ١٦٩ «لومات من بين المشرق و المغرب لما استوحشت...»
 ١٧٦ «و تحيل ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب و...»
 ١٨١ «آيات القرآن خزائن فكلمها فتحت خزانة...»
 ١٩٥ «الحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي و...»
 ١٩٧ «و يحك أفي حرم الله أسأل غير الله...»
 ٢٠١ «إياك و ظلم من لا يجد عليك ناصرأ إلا الله»
 ٢٤١ «الداني في علوه و العالي في دنوه»
 ٢٥٧ «يا خير ذاكر و مذكور»
 ٢٥٧ «يا خير الذاكرين يا خير المذكورين»

الصفحة	الحديث
٢٥٧	«يا من له ذكر لا يُنسى»
٢٥٨	«اللهم أشغلنا بذكرك»
٢٥٨	«اللهم خصني منك بخاصة ذكرك»
٢٥٨	«من أعظم النعم علينا جريان ذكرك...»
٢٥٨	«فألهمنا ذكرك في الخلا والملا»
٢٥٨	«إلهي بك هامت القلوب الواهة وعلى معرفتك»
٢٥٩	«و أستغفرك من كل لذة بغير ذكرك»
٢٥٩	«إلهي أنت قلت وقولك حق»
٢٧٢	«و أعلِ ذكري»
٢٧٦	سبحان من جعل الاعتراف بالعجز...

● الإمام الباقر عليه السلام

٤٤	«اقرأ و ارقه»
٦٣	«يقول لك ربك يا محمد؛ ما أبغضت وعاء...»
٦٦	«نية المؤمن خير من عمله»
٨٠	صلى يوماً بأصحابه الفجر ثم جلس معهم...
٨٢	«المؤمن لا يُنجسه شيء»
٩٢	«ما من عبد من شيعتنا يقوم إلى الصلاة إلا...»
٩٣	«للمصلي ثلاث خصال: إذا هو قام...»
٩٧	«إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور...»
١٢٠	«اللهم إني أسألك من جمالك بأجمله...»
١٢١	«اللهم إني أسألك من نورك بأنوره...»
١٢١	«اللهم إني أسألك من جلالك بأجلته...»
١٦١	«بني الإسلام على خمس: على الصلاة و...»
١٨١	«يجري مجرى الشمس والقمر»



الصفحة	الحديث
١٨٧	«إن الله عزّ وجل خلق ابن آدم أجوف»
١٨٩	«الجنة يُشتم ريحها من مسيرة ألف عام»
٢١٥	«أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين»
٢٦٩	«لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في...»
٢٧٦	«أنا جليس من ذكرني»

● الإمام الصادق عليه السلام

٣٧	«هل الدين إلا الحب؟»
٣٨	«لا يجمع الله للمؤمن الورع والزهد في الدنيا...»
٤١	«ما من شيء أعزّ من اليقين»
٥٢	«ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف و...»
٦٥	«ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً...»
٦٧	«ما ضعف بدن عما قويت عليه النية»
٦٨	«ليس بين الإيمان والكفر إلا قلة العقل»
٦٨	«ما عبد به الرحمن واكتسبت به الجنان»
٦٩	«وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه...»
٨٣	«الكذبة تنقض الرضوء»
٩٠	«إذا صليت صلاة فريضة فصلّها لوقتها صلاة...»
٩١	«إنّ العبد إذا صلى الصلاة في وقتها وحافظ...»
٩٥	«عليك بطول السجود فإنّ ذلك من سنن الأوّابين»
٩٥	«إنّ أقرب ما يكون العبد من ربّ عزّ وجلّ و...»
٩٩	«يُحشر الناس على نياتهم»
١٠٠	«إن طاعة الله عزّ وجلّ خدمته في الأرض...»
١٠١	«قوة الأبدان والقلوب...»
١٠١	«أول ما يُحاسب به العبد عن الصلاة، فإذا...»

الصفحة	الحديث
١٠٣	«نبه بالتفكر قلبك، وجاف عن النوم...»
١٠٤	«ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه...»
١١٤	«لذة ما في النداء أزال تعب العبادة والعناء»
١٢٥، ١١٧	«الصوم لي وأنا أجزي به»
١٢٠	«للمصائم فرحتان، فرحة عند إفطاره و...»
١٢٠	«للمصائم فرحتان، حين يفطر وحين يلتقي...»
١٢٣	«إذا نزلت بالرجل النازلة والشديدة فليصم»
١٢٦	«أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى ﷺ: ما يمنعك...»
١٢٦	«ما أطيب ريحك وروحك، يا ملائكتي...»
١٢٩	«... الذي يُطعم ولا يُطعم»
١٣٠	«واجعلني ممن تنتصر به لدينك و...»
١٤٠	«النظرة سهم من سهام إبليس»
١٤٤	«صانع المناق بلسانك واخلص وذك للمؤمن و...»
١٥٤	«ورفض الشهوات فصار حرّاً»
١٦١	«لا اعتكاف إلا بصوم»
١٧١	«لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها...»
١٧٢	«إنها يتصفّحهم في مواقيت الصلاة...»
١٧٤	«... قال: لبيك...»
١٧٧	«الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة...»
١٧٨	«إن الذي يُعالج القرآن ويحفظه بمشقة منه...»
١٧٨	«ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلّم القرآن...»
١٧٩	«القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء...»
١٧٩	«النظر في المصحف عبادة»
١٩٣	«أن لا تكون بها في يدك أو ثقت منك...»
١٩٥	«ليس من مؤمن يقبل بقلبه في صلاته إلى الله إلا...»



الصفحة	الحديث
١٩٧	فقال: «ربي وربك... من ينجيك...»
٢٠٠	«تبَحَرُوا قُلُوبَكُمْ فَإِنْ أَنْقَاها اللهُ مِنْ حَرَكَةِ الْوَاجِسِ...»
٢٠٢	«القلب السليم الذي يلقي ربه و...»
٢٠٤	«إذا أراد أحدكم أن لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه...»
٢١٠	«لا تجتمع الرهبة والرغبة في قلبٍ إلا وجبت له...»
٢٢٣	«إنه من نفسي وأنت ابني»
٢٢٣	«وسد الأبواب إلا بابه»
٢٢٩	«إن من عبادي من يتصدق بشق تمر...»
٢٢٩	«نعم الشفيع أنا وأبي لحرمان بن أعين...»
٢٤١	«كل أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أتر»
٢٤٧	«الله أكبر من أن يوصف»
٢٦٥	«ما اجتمع قوم في مجلس ليرذكروا الله عز وجل و...»
٢٧٠	«ثلاث لا تطيقهن الناس:...»
٢٧٣	«فريضة على كل مسلم أن يقول قبل طلوع...»
٢٧٤	«ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يرى و...»

● الإمام الكاظم عليه السلام

٢٦	«لا يشغله شأن عن شأن»
٧١	«إن العيد إذا همّ بالحسنة خرج نفسه...»
١٢٢	«إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا...»
١٩٥	«احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور»

● الإمام الرضا عليه السلام

٤١	«لربط بنو آدم أفضل من اليقين»
١٠٤، ٥٥	«لك الحمد إن أطعته، ولا حجة لي»

الصفحة	الحديث
٨١	«إِنَّ عِلَّةَ الْوُضوءِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا صَارَ عَلَى الْعَبْدِ...
١٨٢	«أَفْوَاحُكُمْ طَرَقَ مِنْ طَرَقِ رَبِّكُمْ فَنَظَّفُوهَا»
٢٠٠	«وَ اغْفِرْ لِمَنْ فِي مِشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا...
٢٢٨	«وَهُوَ بِحَيْثُ النُّجُومِ مِنْ أَيْدِي الْمُتَنَاولِينَ وَ...
٢٣١	«لَا أُرَاكَ تَقْدِرُ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى الْمَدِينَةِ...
٢٦٦	«الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ...

● الإمام الحسن العسكري عليه السلام

١٠٣	«إِنَّ الْوُصُولَ إِلَى اللَّهِ سَفَرٌ لَا يُدْرِكُ إِلَّا...
٢١٤	«بَلْ قُلُوبُنَا أَوْعِيَةٌ لِمَشِيَّةِ اللَّهِ»

● المنسوب إلى الإمام المهدي عليه السلام

١٣١	«يُهْلِكُ مَلُوكًا وَيَسْتَخْلِفُ آخَرِينَ»
٢٤١	«الْحَمْدُ لِلَّهِ... الَّذِي بَعْدَ فَلَا يَرَى وَ...
٢٤٩	«وَلَا تَزِيدُهُ كَثْرَةُ الْعِطَاءِ إِلَّا جُودًا وَكِرْمًا»

● المعصومون عليه السلام

٣٧	«بِمَحَبَّتِكَ يَا أَمَلَ الْمُشْتَاقِينَ»
١٣٥	«مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعِ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ...
١٤٢	«دَائِمُ الْفَضْلِ عَلَى الْبَرِيَّةِ»
١٦٦	«قَلْبُ الْمُؤْمِنِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ»
١٩٢	«حَسْبِيَ مَنْ سَوَّالِي عِلْمُهُ بِحَالِي»
٢٧٥	«يَا بَنِي اخْتَرِ الْمَجَالِسَ عَلَى عَيْنِكَ...

فهرس المصادر

- الأربعون حديثاً: أبو الفضائل محمد بن الشيخ حسين العاملي، المعروف بالشيخ البهائي (ت ١٠٣١ هـ)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- إرشاد القلوب: محمد الديلمي، من أعلام القرن السابع، تحقيق السيد هاشم الميلاني، منشورات الأسوة، ١٤١٧ هـ.
- الاختصاص: الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تصحيح علي أكبر غفاري، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العربية، بيروت.
- الإشارات والتنبيهات: أبو علي سينا (٣٧٣ - ٤٢٧ هـ)، مع شرح الخواجة نصير الدين الطوسي و شرح الشرح لقطب الدين الرازي، طبعة الحيدري، ١٣٧٧ هـ.
- الأمالي و المجالس: ابن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٠ هـ.
- إقبال الأعمال: السيد بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، دار الحجة، قم، ١٤١٨ هـ.
- الأمالي: الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)، ترجمة حسين أستاذولي، مؤسسة الدراسات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (١٠٣٧ - ١١١٠ هـ)، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- تفسير البرهان: السيد هاشم البحراني (ت ١١٧٠ هـ) مؤسسة دار التفسير إسماعيليان، قم، ١٤١٧ هـ.

- تفسير البيضاوي: أسرار التنزيل و أسرار التأويل، القاضي ناصر الدين البيضاوي (ت ٧٩١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ.
- تفسير صدر المتأفين: محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي، (ت ١٠٥٠ هـ)، منشورات بيدار، قم، ١٤٠٨ هـ.
- تفسير العياشي: محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي، من أعلام القرن الثالث، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، ١٣٨٠ هـ.
- تفسير مجمع البيان: أبو علي أمين الإسلام الطبرسي (٤٦٨ - ٥٤٨ هـ)، عشرة أجزاء في خمسة مجلدات، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ.
- تفسير محي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ): وهو نفس كتاب التأويلات للمولى عبد الرزاق الكاشاني، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت.
- تفسير نور الثقلين: ابن جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢ هـ)، تصحيح رسولي محلاتي، إسماعيليان، الطبعة الثانية، قم.
- تهذيب الأحكام: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، بيروت، ١٤٠١ هـ.
- التوحيد: الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق علي أكبر غفاري و السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: شيخ الفقهاء محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦ هـ)، دار إحياء التراث الإسلامي، الطبعة السابعة، بيروت.
- الخصال: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تصحيح علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الخامسة، قم.
- روضة المتقين: شرح من لا يحضره الفقيه، المولى محمد تقي المجلسي (١٠٠٣ - ١٠٧٠ هـ)، تحقيق السيد حسين الموسوي الكرمانی، مؤسسة كوشانور للثقافة الإسلامية.
- سر الصلاة: الإمام الخميني رحمته الله، مؤسسة نشر و تنظيم تراث الإمام، الطبعة الثانية.
- سفينة البحار و مدينة الحكم و الآثار: المحدث الخبير، الشيخ عباس القمي، منشورات الأسوة، ١٤١٦ هـ.
- سيرة ابن هشام: دار إحياء التراث العربي، بيروت.



- شرح غرر الحكم و درر الكلم: عبد الواحد الأمدي (ت ٥١٠ هـ)، الشارح جمال الدين محمد الخوانساري، منشورات جامعة طهران، ١٤١٥ هـ.
- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (٥٨٦ - ٦٥٦ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٥ هـ.
- شذرات المعارف: آية الله محمد علي الشاه آبادي، حركة النساء المسلمات، رجب ١٤٠٢ هـ.
- صحاح اللغة: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد بن عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤١٠ هـ.
- علم اليقين: الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، تحقيق محسن بيدارفر، منشورات بيدار، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- الغارات: ابن هلال الثقفي، من أعلام القرن الثالث، تحقيق السيد عبد الزهراء الحسيني، مؤسسة دار الكتب الإسلامية، ١٤١٠ هـ.
- فلاح السائل: العلامة السيد علي بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، مركز نشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم.
- الكافي: الأصول و الفروع و الروضة، محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت ٢٣٨ هـ)، تحقيق علي أكبر غفاري، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٤٠١ هـ.
- كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال: العلامة علاء الدين علي المتقي (ت ٩٧٥ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥ هـ.
- مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية.
- المحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤ هـ)، تحقيق السيد مهدي الرجائي، المركز العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ.
- المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء: المولى محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، تصحيح علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، قم.
- مستدرك الوسائل: الحجاج الميرزا حسين النوري (١٢٥٤ - ١٣٢٠ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، الطبعة الثالثة، ١٤١١ هـ.
- معاني الأخبار: الشيخ الصدوق، ابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، تصحيح علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي.

- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، ابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، دار التعارف، بيروت.
- النهاية: ابن الأثير الجزري (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- نهج البلاغة: السيد الرضي، محمد بن حسين بن موسى (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ)، تحقيق صبحي الصالح.
- وسائل الشيعة: الشيخ الحرّ العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت للدراسات والبحوث، قم، ١٤١٤ هـ.

فهرس الموضوعات

١٥	مقدمة الناشر
٢١	المقدمة
٢١	حكمة العبادة و ثمرتها
٢١	١ - كلّ معلول في نظام التكوين عبد لعلته
٢٢	٢ - الموجود المفكر في نظام التشريع مختار في اختيار طريقه
٢٢	نطاق نظام التشريع أضيق من دائرة التكوين
٢٣	٣ - لكل اسم من أسماء الله الحسنى اقتضاء
	بارئ عال الإمكان منزّه عن الهدف غير أنّ للعالم هدف يتوخاه
	هدف الإنسان و الجنّ تكاملهم في العبادة
٢٤	٤ - بعض درجات العبادة هدف أوسط و بعضها الآخر هدف أخير
	العلم الحسولي كمال علمي لكنه وسيلة بالنسبة للعلم الحضورى
	يمكن اعتبار اليقين الشهودى الهدف النهائي من الحلقة
	العلم الشهودى يجعل العارف الواصل مظهرًا لـ «العليم» و «القدير»
	ثمرة ظهور الذات معرفة الإنسان السالك بالغيب المطلق بمقدار وسعه
٢٥	٥ - الذى يظهر عبر شهود عقل النظر و انبعاث عقل العمل قد يدخل في عداد حكمة العبادة ...
	دور الفقه الأصغر و الأوسط و الأكبر في وصول السالك إلى حكمة العبادة
	سبب تقدّم السرّ على الجهر و الليل على النهار
	إذا أصبح السالك الواصل مظهرًا للحق، يكون ليله و نهاره و سرّه و جهره متحدة
٢٧	٦ - الشروط الطولية للعبادة من أسرارها لا الشروط العرضية

الشرط الطولي لقبول الطهارة والصلاة هو التقوى والتقوى رهن ولاية الإنسان الكامل
حقيقة الإنسان الكامل هي الحكمة لكل عبادة

٧- للوصول إلى السر الغائي للعبادة لابد من التعقل واليقظة في الحفاظ على حرم القلب الآمن ٢٨

٨- تاريخ الكتاب الحاضر والجو الحاكم في زمن صدره ٢٨
السر في سرعة انقضاء شهر رمضان على المؤمنين وطوله على المجرمين

شكر وتقدير ٣١
لا يمكن تصوّر أي إحسان ولطف من قبل غير الله
شكر مظاهر فضل الله حمد لوليّ النعمة

القسم الأول: العبادات وحكمتها ٣٣

الإنسان وحكمة العبادات ٣٣

للعبادات أسرار باطنية يُحشر الإنسان معها
حكم الصلاة وأسرارها غير آدابها

حكمة ألقاب المعصومين (عليه السلام) وأوصافهم ٣٤
لماذا كنّي رسول الله بأبي القاسم؟

المعصومون (عليه السلام) يكلموننا على قدر عقولنا

الإمام السجاد وحكمة العبادة ٣٥

معنى قول الإمام (عليه السلام): أنا ابن مكة ومنى
من هو ابن منى؟

حكمة التضحية هي التقوى الذي يصل إلى الله
التضحية في عصر الجاهلية

عنصر العشق والمحبة في حكمة العبادات ٣٦

سبيل الوصول إلى حكمة العبادات هو أن لا يرى العابد إلا المعبود
العارف بشأش يسام ناج من الماضي والمستقبل

العشق والشوق ٣٧

هدف الأئمة من عبادة الله



- معنى الشوق و الأمل
 الفرق بين الشوق و العشق
 أفضل الناس من عشق العبادة
 المعنى اللغوي للعشق
 حكمة أفلو ذكر بعض الوقائع و خلود بعضها الآخر
 ثمرة اجتماع الزهد و الورع في المؤمن
 أولياء الله و دار العبرة ٣٩
 بعض صفات أولياء الله
 أولياء الله أهل الذكر و مجرى الفيض و سبب نزول البركة
 زكريا بن آدم و كتاب الإمام الرضا عليه السلام إليه
 عنصر اليقين في حكمة العبادات ٤٠
 معنى أنّ الصراط أدق من الشعرة و أحد من السيف
 صعوبة الوصول إلى حكمة العبادات
 ما من شيء أعز من اليقين
 الوصول إلى اليقين هو السر لكل العبادات و نيل الكمال
 حيرة الكافر و المنافق ٤٢
 معنى الشك و التردد
 العابد عارف بالطريق و المقصد
 الإنسان كالمسافر الذي طوى بعض العوالم و أمامه عوالم أخرى
 المؤمن في قرار و الكافر في تردد و لا يصل إلى المقصد
 العبادة سلم الترقى ٤٣
 يتكو العارف للوصول إلى اليقين على العبادة
 ترك العبادة يؤدي إلى السقوط
 كيفية ظهور العبودية في يوم القيامة
 درجات الآخرة و ليدة الأعمال في الدنيا
 إذا شعرنا بالطمأنينة فقد وصلنا إلى حكمة العبادة



اعبد الله لأنك تُحِبّه

٤٥ نعمة المعرفة و الشهود

مثال أهل اليقين في القرآن، إبراهيم الخليل

إبراهيم الخليل و رؤية ملكوت العالم

حثّ القرآن على الوقوف على أسرار العالم و رؤية الملكوت

٤٧ الأنبياء و باطن العالم

عدم تطمیع أيّ واحد من الأنبياء

تهديد الإمام الخميني و عدم تطميعة

تهديد النبي صالح

من شهد باطن العالم لم يتعلق بالدنيا

الدنيا هي كلّ ما يحجب الإنسان عن الله

٤٨ أولياء الله و باطن الدنيا

الدنيا جيفة و طلابها كلاب

إعراض علي عليه السلام عن الذهب و الفضة

الحكومة و إجراء الحق و العدالة ليست بدنيا

جانب من باطن الدنيا في كلام علي عليه السلام

التهذيب طريق الوصول إلى الأسرار

٥٠ الفرق بين المدرستين

الفرق بين الإسلام و الشيوعية

يقول أهل المعنى: أطبق عينيك لترى

طريق الاستماع إلى صوت الملكوت سدّ الأذن عن الكلام المحرّم

٥١ عالم الملك و الملكوت

الفرق بين الملك و الملكوت كالفرق بين الظاهر و الباطن

أداء الدين لله سبحانه يتيسر عبر الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

القول من دون عمل ناقص و العمل متمم للقول

٥٢ الحرمان من رؤية الملكوت



- الواصل إلى الملكوت لا يصاب بالشك
كيف هي عبادتنا؟
الأتباع الصادقون لإبراهيم الخليل
- محاسبة النفس ٥٣
عناية القرآن بحركة الشفاء أيضاً
إذا قام الإنسان بما يعين الباطل فهو في تلك اللحظة غافل عن دين الله
الشیطان يخادع الإنسان عبر حباله الخاصة بالتكاثر
الإنسان طيلة حياته إما أن يكون مشغولاً بتربية الأشواك أو غزل الحرير
دعاء الإمام الرضا عليه السلام و الدروس التي يحملها لنا
اقتراف الذنب قيام على المحبوب و باطن الذنب ليس إلا النار و الدنس
- الوصية بالتوحيد ٥٥
وصية أمير المؤمنين بحفظ الرسالة
لا توجد نعمة أعلى من نعمة التوحيد و لا ذنب أسوء من الشرك
الوصية بإقامة عمودي التوحيد و النبوة
- الدار الباقية و اشتياق اللقاء ٥٧
اشتياق أمير المؤمنين و الحسين بن علي عليهما السلام إلى لقاء الله
جانب من حُكم حالة الاحتضار للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله
علوم المعصومين عليهم السلام ليست من العلوم المتواجدة في المدرسة البشرية
- النبي و أسرار القيامة ٥٨
كان النبي إذا ذكر الساعة تغیر وجهه
معنى قول النبي: «أنا و الساعة كهاتين»
من اعتادت عيناء على رؤية ما لا يوجد في يوم القيامة يُحشر أعمى
طعام من يأكل الحرام في الدنيا «غسلين»
باطن الذنب نار
- ضغطة الموت و عارضة النسيان ٥٩
يتم السؤال في يوم القيامة عن أبسط المسائل الدينية و لكن الكثير يصابون بالنسيان

ذكر الله لا يتحدّد بزمن و عدد

بعض الناس لا يتذكر اسم النبي حتى بعد أحقاب من العذاب

تعامل النبي عند الإخبار عن القيامة

يدخل الإنسان عبر الموت فجأة في عالم لا يوجد له ارتباط بعالم الدنيا

في ليلة بدر حيث كان الجميع في قلق واضطراب كان النبي مشغولاً بالدعاء حتى الصباح

يرى النبي نار جهنم لوصوله إلى مقام علم اليقين

طريق الوصول إلى حكمة العبادات و أسرار العالم ٦٢

الشعور بالعظمة في شهر رمضان يحول دون التلوّث بالذنب

لا شيء أبغض عند الله من البطن المלאئي

لا سبيل للوصول إلى حكمة العالم إلا إذا كان الإنسان مُحَقَّقاً في سريره

تخفيف الحمل عامل على الوصول و الإيصال

تتلخص حياة البعض بين المطبخ و بيت الخلاء

القسم الثاني: النية و حكمتها ٦٥

أفضلية النية على العمل ٦٥

كيفية العمل هي المطلوبة لا كميته

العمل الخالص هو الذي لا يُطلب الحمد عليه

النية الصالحة خير من عملها

إخلاص العمل لله و تطويع النفس و شيطان الباطن أمر عسير

حقيقة النية ٦٦

النية هي انبعاث الروح و طيرانها لا مجرد الإخطار الحسولي و المفهوم الذهني

صحة العمل مشروطة بالنية و للصحة تبعاً للنية مراتب

العباد ثلاثة طوائف

تأثر الإنسان بالنية ٦٧

العمل الظاهري الصوري تابع للقصد القلبي وجوداً و عدماً

قوة النية تقوّي البدن الضعيف و ضعف النية يسبب ضعف البدن القويّ



- ٦٨ الإخلاص و الرياء
 العقل نور يُعرف و يُعبد به الله و قد يؤول إلى الكسوف
 المخلص عاقل و المرائي غير عاقل
 اتباع النبي ﷺ يسبب محبوبة الله
 لا يصل إلى الحكمة الملكوتية للإخلاص الذي هو أساس النية إلا من كان محبوباً لله
 دخول الرياء و السمعة في متن العمل العبادي يُبطل العمل
 ذكر عمل الخير يحذ من طراوته
 من اتخذ في المسائل التوصلية طابعاً عبادياً و راءئ فيها فقد أوقع نفسه في الهاوية
 الإنسان معرض دوماً لهجوم وساوس الشيطان
 لا تكفي الاستعاذة اللفظية حين هجوم الوسواس
- ٧١ الملائكة و استشمام النية
 علم الملائكة بالنيات من خلال الرائحة الطيبة و المنتنة
 علم الإمام علي عليه السلام بالأسرار الباطنية لدى الأشخاص
 أهل النار يتأذون من ريح العالم التارك لعلمه
- ٧٣ يوم تبلى السرائر
 لا يوجد في يوم القيامة موضع يختبئ فيه الإنسان الخجل
 كرامة النبي و المؤمنين محفوظة في يوم القيامة
 هل أن ظاهرنّا و باطننا متحدان؟
 أهل النار في الرؤية القرآنية هم أهل الخزي و العار
- ٧٤ المنافق و سوء النية
 النفاق مرض قلبي كامن في النفس و قد يُخرجه الله
 مجرّد الاقتداء بالنبي من دون المشاركة في جهاد لا يكفي لدخول الجنة
 إذا نزلت سورة أو آية في القتال و الجهاد أثقل البعض و أظهروا ضعفهم
 يقول الله سبحانه: قد نسد على المنافق طريق الفرار و الهزيمة من الطرفين ثم نخزيه
 معيار المنافق و ملاكه هو الناس
 لا يخفى على الله شيء



يتضح في يوم القيامة أن الله كان خبيراً و مطلعاً على الدوام

القسم الثالث: الطهارة و حكمتها ٧٧

الله يحب الطهارة ٧٧

المتعلق بالدنيا لا يصل إلى الله

السّر من العبادة هو طهارة الروح الإنسانية

الطهارة توجب محبة الله و عالم الخلق يطيع من كان محبوباً لله

عالم الوجود بأسره جند لله و الله يحفظ حبيبه

الله يحب الطاهرين ٧٨

لا يكون له نصيب من فيض القرآن العظيم إلا من كان طاهراً

المطهرون الحقيقيون هم أهل بيت العصمة و الطهارة

حكمة الطهارة في الرؤية القرآنية ٧٩

المراد بالطهارة التي تمثل حكمة العبادة هو الطهارة المعنوية

شرح الآية المتعلقة بالوضوء و الغسل و التيمم

التيمم نعمة لا بد من شكرها

حِكْم الوضوء في كلام النبي ﷺ ٨٠

أدب مراعاة النوبة في كلام النبي ﷺ

حكمة غسل الوجه و اليدين في الوضوء

حكمة مسح الرأس التطهر من الخواطر الباطلة و من المشي إلى الذنوب

حكمة المضمضة، طهارة الفم لذكر الله

أثر الوضوء في يوم القيامة

حِكْم الوضوء في بيان الإمام الثامن عليه السلام ٨١

حكمة العبد هي قيام العبد بين يدي الله بجوارح طاهرة

لا يمكن الوقوف على حقيقة العبادات كحقيقة القرآن إلا للمطهرين

لا بد أن يكون العبد طاهراً من الرأس إلى القدم ليلتذ بالعبادة و يصل إلى حكمتها

الطهارة من الرجاسة و النجاسة ٨٢

حكمة الوضوء هي من الرجس المعنوي و الشرك الباطني

معنى أن الكذبة تنقض الوضوء

للجهاد كسائر العبادات روح و جسم

إن الله سنّ كلّ عبادة على هذا الأساس و هو أن يكون الإنسان عبداً

لا عدوّ الدّ من عدوّ الباطن و لا نجس أشدّ من رجس النفس

القسم الرابع: الصلاة و حكمتها ٨٥

اطمئنان القلب ٨٥

ذكر الله يظهر عبر الصلاة و يؤدي بالقلب إلى الاطمئنان

حكمة الصلاة في سورة المعارج

المصليّ يقوم بإحياء الفطرة و قمع الطبيعة

المواظبة على الصلاة و الإنفاق ٨٦

كان الإمام الرضا عليه السلام عند الطعام يبعث بحصة منه إلى المساكين

لا بد أن يكون الإنفاق من الأفضل

من مهام الحكومة الإسلامية الاهتمام بجميع الفقراء حتى ولو لريكن مسلماً

لا يتقبل الله إنفاق المنافقين لأنهم اتّخذوه مغرماً

يربي الله إنفاق من يتخذه مغنماً

زهد النبي ﷺ ٨٨

السييل إلى معرفة قيمة الدنيا

الصلاة و الإيمان بيوم القيامة ٨٩

ذكر المعاد يطهر الإنسان

إن الله تعالى أقسم أن لا يعذب المصلّين و الساجدين

إذا صليت صلاة فريضة فصلّها صلاة مودّع

المصليّ و العهد و الشهادة ٩٠

المصلي يتمسك بعهوده و يثبت على ما يشهد به من وحدانية الله و الرسالة

المحافظة على أوقات الصلاة ٩١

- الصلاة في أول وقتها ترتفع بيضاء نقيّة
للصلاة حقيقة حية وروح خالدة تدعو للمصلي و عليه
إكرام الله المصلّين ٩١
- «الكرامة» تعبير لطيف
الكرامة صفة الملائكة
المصلّون في الجنة مكرّمون
الحشر مع الملائكة ٩٢
- ظهور أسرار العبادة والإطاعة قد يكون هو الطيران مع الملائكة
اقتداء الملائكة بالمصلي من الشيعة
ثلاث خصال للمصلي في كلام الإمام الباقر عليه السلام
الشیطان بالمرصاد للأعمال الصالحة
ما هو البر؟
لو يعلم المصلي من يناجي ما انقتل عن الصلاة
تواضع الإنسان في السجود ٩٤
- النبي: أعني لاستجابة الدعاء بكثرة السجود
قد يصدر العمل الصالح من الآخرين و الإنسان يُشرك في عملهم
الضعيفة و المباغضة تحلق الدين و تقلعه من الأساس
إن أقرب ما يكون العبد من الربّ و هو ساجد بالک
علاقة طول السجود بتخفيف الأوزار
حكمة سلام المصلي ٩٦
- المصلي يناجي ربّه فإن عاد من الحضرة الإلهية و دخل في جمع الناس سلّم عليهم
من لم يرجع أثناء الصلاة كيف يسمح لنفسه أن يسلم في آخر الصلاة
أدب الصلاة ٩٧
- القيام للصلاة بشباب نقية طاهرة
الباطن المثالي للصلاة ٩٧
- تظهر الصلاة على هيئة صورة بهية تحفظ المصلي من يمينه في القبر

- زكاة العلم و الجمال و الشجاعة
باطن الإنسان متّحد مع باطن أعماله
كلُّ يُحْشَر على نيّته
الباطن المثالي لبرّ الإخوان و ولاية أهل البيت عليه السلام
النيران المتّقدة و كوثر الصلاة ٩٩
الذنوب و الكلام السيء و الانحراف عن الصواب كلها نيران متّقدة في يوم القيامة
البعض يكون بنفسه حطباً لجهنم و الصلاة كوثر يطفئ نيران جهنم
خاصية الصلاة المذكورة في القرآن
بركات صلاة النبي زكريا ١٠٠
تنزل الرحمة الإلهية في أحسن حال و هو الصلاة
بُشِّر زكريا بيحيى و هو في حال الصلاة
أخذ يحيى الشهيد الكتاب السماوي بقوة العقل و البدن
الصلاة و طهارة الروح ١٠١
الصلاة ميزان قبول الأعمال و ردّها
الصلاة تستجلب للإنسان الكثير من الفضائل و تردع عنه الكثير من الرذائل
الصلاة توجّه قلوب المؤمنين إلى المصلي
لا يأخذ الإنسان بزمام قلبه في الصلاة إلا إذا سيطر على جوارحه خارج الصلاة
حكمة صلاة الليل ١٠٣
عُقِدَ اليوم مُحَلَّ بصلاة الليل
الوصول إلى الله سفر لا يُدرك إلا بامتطاء الليل
وصية الأنبياء بالصلاة ١٠٣
أفضل شيء يُقَرَّب العبد إلى الله بعد المعرفة، الصلاة
صلاة الظهر و رحمة الله الواسعة ١٠٤
الميزة الخاصة لصلاة الظهر
أول صلاة أذاها رسول الله هي صلاة الظهر
كان الإمام الرضا عليه السلام يدعو للجميع

- عند الزوال تفتّح أبواب الرحمة ويُستجاب الدعاء
استحباب البدء بالحرب بعد الزوال
الرضوخ للظلم ذلّ ولا يمنع الظلم الذليل
سبب كراهة البدء بالحرب قبل الزوال
- ١٠٦..... الإنسان السهاوي
إذا ارتفع العمل ارتفع العامل لأنّهما لا ينفصلان
فاعل الخير خير منه
فاعل الشرّ شرّ منه
لطيفة في تفسير البيضاوي حول لغة «تعالوا»
١٠٧..... الميل إلى الطبيعة
تشبيه صدر المتألهين الإنسان المنغمس في الطبيعة بالشجرة المدسوسة في التراب
لا يعلو إلا من جعل عقله وسيلة لعقال شهوته و غضبه
لا تقارن نفسك بالفاسقين بل قارنها بالشهداء والصالحين
لا بد من علو الهمة
إنّ الله يُحبّ معالي الأمور ويكره سفاسفها
غلب الخوف في مدرسة الإمامة
١٠٩..... حبّ باطن الصلاة
قال الإمام الحسين عليه السلام: إني أحب الصلاة
الإمام السجاد عليه السلام والصلاة
ألهتني عنها النار الكبرى
باطن الذنب، النار و باطن الثواب، الجنة
الفضل لمن يرى نار جهنم لا لمن يستدلّ عليها
وقوف بعض تلامذة المعصومين عليه السلام على أسرار العبادة
لا يُقاس بآل بيت النبي أحد
١١٣..... القسم الخامس: الصوم و حكمته

- ١١٣..... ذم البطنة
ما من أحد يصل عبر كثرة الأكل إلى المقصد
البطن الملائى تغلق طريق الفهم
الإكثار من الأكل يزيد في الكسل و النوم
ذم التجشؤ
طعام أمير المؤمنين عليه السلام البسيط
- ١١٤..... قيمة الحرية في الإسلام
لذة ما في النداء يزيل تعب العبادة و العناية
الاستغفار يحزّر الإنسان من السجن
لا شيء في الإسلام يضاهي قيمة الحرية
الطريق لمعرفة الرقية و الحرية
الطريق للحرية هو الاستغفار
الهدف من الثورة الإسلامية هي أن نكون عباداً لله
اندلعت الثورة الإسلامية لتحرير الدين من الأسر
تم التعبير عن الدنيا في الروايات باللماسة
شهر رمضان هو شهر التحرر
- ١١٧..... الصوم و جزاء الصائم
الله هو الذي يجزي بالصوم
جميع الأشياء و الموجودات في عالم الإمكان لله
كل ما في العالم يذكر الله
مراتب الصوم
كلام المجلسي عليه السلام حول حديث «الصوم لي و ...»
- ١١٨..... كيفية الجزاء
جزاء البعض جنة اللقاء و جزاء البعض الآخر جنات
الفرق بين جزاء الصوم و جزاء سائر العبادات
كلام ابن الأثر حول حديث «الصوم لي و ...»



- درجات التقوى و لقاء الله ١١٩
- الصوم للوصول إلى التقوى و للمتقي درجتان: نعيم الجنة و المقام عند الله
للصائم فرحتان
لا تتعلق بها هو معرض للزوال
الصائم يطلب من الله الجمال المطلق
إفطار غير المسلم و الوقف للكافر
- قيمة الإنسان ١٢٢
- أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تتبعوها بغيرها
أفضل طريق للوصول إلى الله هو الصوم
باطن الصوم يظهر بصورة لقاء الله
- دور الصوم في حل الصعاب ١٢٣
- إذا نزلت بالرجل النازلة و الشديدة فليصم
إن الله يُيسر الأعمال لمن يسير في الصراط المستقيم
الصوم قوي بدرجة يجعل الإنسان مهيمناً على عالم الطبيعة
- الملائكة و الدعاء للصائم ١٢٤
- الملائكة موكلون بالدعاء للصائم و دعاؤهم مستجاب
بطائن فُرش الجنة من حرير و إستبرق
لرئيس حرير فرش الجنة بواسطة دودة القز بل نسجه الصوم و الصلاة
الفرق بين صوم العوام و الخواص و الأخص
- طيب فم الصائم ١٢٦
- الصوم يُعطر الإنسان في يوم القيامة
باطن الصوم يجعل الإنسان مخاطباً لله
الملائكة يضربون البعض عند الموت
لماذا يضرب الملائكة البعض على وجوههم و أدبارهم؟
- رمضان شهر الله ١٢٧
- شهر رمضان شهر الله، و رجب شهر الولاية، و شعبان شهر الرسالة

- وجه تسمية شهر رمضان
- البركة هي الخير الدائم
- شهر رمضان أفضل الشهور
- الأمر العام والخاص في شهر رمضان
- شهر رمضان والتخلق بأخلاق الله ١٢٩
- الصائم ضيف رب يطعم ولا يطعم
- من غرر كلمات رسول الله أن «اليد العليا خير من اليد السفلى»
- طلب التوفيق من الله لنصرة الدين وحفظه
- شهر رمضان وطلب كرامة ١٣١
- الكرامة هي النزاهة عن الدناءة والحفارة
- الدعوة إلى الإنتاج والابتعاد عن البطالة
- استدلال أمير المؤمنين في تحقير الثروة وتكريم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
- الكرامة لا تُحدّ بحدود الاعتبارات الدنيوية
- يقرن القرآن أصحاب العلم والمعرفة والتوحيد بالملائكة وأصحاب الأكل و... بالأندعام
- قبول العمل وتقبل الصالح ١٣٣
- التنفس في هذا الشهر بمثابة قول «سُبَّوح قَدَّوس»
- قبول العمل مقدمة لأن يتقبل الله الإنسان نفسه
- الصالح هو الصالح في جوهر ذاته
- تقبل الله الكريم مريم
- الصوم والإيمان بيوم القيامة ١٣٤
- اذكروا بجوعكم وعطشكم في شهر رمضان جوع يوم القيامة وعطشه
- التصدق والإطعام ١٣٥
- الفقر ليس بذل والخزي والفضة أمر مشين
- عدم اعتناء الفقراء بالأغنياء اتكالا على الله
- اقتران التصدق بالاحترام وقصد القرية لا بالتحقير والترحم
- إفطار الصائمين



- تدليس معاوية و ترويح مذهب الجبر
 جواب الأحنف بن قيس لمعاوية و أنه خلط بين المفاهيم
 ١٣٦..... توقير الكبار و العطف على الصغار
 توقير من هو أعظم منزلة
 ١٣٧..... حفظ اللسان
 لابد من حفظ اللسان طوال شهر رمضان لا خصوص النهار
 من عرف الله حفظ لسانه من كل كلام باطل
 لا تسيء إلى من تحبه
 نفس الإنسان أحب الأنفس إليه
 أولياء الله أهل التأمل و التفكر
 ١٣٨..... قيمة اكتساب العلم
 لمرستفد أحد من النبي بمثل علي
 كان علي ملازماً للنبي في كل مكان
 البعض نورانيون، كلامهم و عملهم و سلوكهم نور
 لا يوجد شيء في ليالي القدر يضاهي اكتساب العلم
 العلم هو الذي يهيء الأرضية للوصول الإنسان إلى العقل
 ١٤٠..... الابتعاد عن النظر المحرم و التوجه إلى الدعاء
 النظرة إلى غير المحارم سهم من سهام إبليس
 أفضل حالة للدعاء هي حالة الصلاة و التعقيبات التي تليها
 ١٤١..... المفتاح و المغلاق
 مفاتيح السماوات و الأرض بيد الله
 تم التعبير عن تدبير الله و ربوبيته بالمفتاح
 أبواب الجنة مفتوحة على الدوام و أبواب جهنم تغلق بعد دخول أهل النار فيها
 إغلاق أبواب جهنم بذاته ضرب من العذاب
 المراد بإغلاق أبواب النيران في شهر رمضان هو قلة غضب الله و سخطه في هذا الشهر
 ١٤٣..... أسباب تعزيز أسس الدين

- الحنان بمثابة الملاط الذي يستند إليه بناء الإسلام و الإيمان
لا تظلموا أيتام الناس حتى لا تُظلم أيتامكم
الأموات يزورون أهاليهم بما تقتضيه حالاتهم
لا بد أن تكون الروح الحاكمة على المجتمع الإسلامي روح الأخوة و المحبة مع جميع طبقات المجتمع
موقع الشيطان في شهر رمضان ١٤٤
- الشياطين مكبلون بالأغلال في هذا الشهر
الشيطان مأمور بالنجاح على حد الوسوسة
الشيطان لا يقوم بفعل إلا بإذن الله
يتسلط الشيطان على الكفار كالكلب المعلم
الشيطان من الجنّ و كان يعيش مع الملائكة
قوانا النفسانية آلة بيد الشيطان
- الورع ١٤٦
- أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله
للورع درجات: ورع أهل التوبة و ورع أهل الصلاح و ورع أهل التقوى
أعلى درجات الورع ورع الصديقين
وداع شهر الله ١٤٧
- شهر رمضان من أفضل النعم الإلهية
للعارف في كلّ نفس عيدين
ضيافة الله يتبعها لقاء الله
شهر رمضان من نعم الله الخاصة على المسلمين
لا يتحقق الوداع إلا لمن كان مانوساً بشهر رمضان
أفضل ما يُنتفع من شهر الله ١٤٩
- لريربح أيّ تاجر بمثل ما ربحه المؤمن في هذا الشهر
أولّ السنة لأرباب السير و السلوك هو شهر رمضان
أنين الفراق ١٥٠
- وداع مع عزيز عزّ فراقه



- كفى بالصوم فضلاً أن يرتقي الإنسان إلى ذروة الشبه بالملائكة
توديع هذا الصديق العزيز ومشايته
السلام عليك يا عيد أولياء الله
- ١٥١..... رمضان وتعليم الدعاء
السلام عليك من شهر عرفنا فيه ما نريد
المهاجرون المسلمون وطلب الرزق من الله
الوداع من صفاء الباطن والنشاط :..... ١٥٢
قرين أفجع فقده وأكر فراقه
نشاط هذا الشهر مفقود في سائر الشهور
- ١٥٢..... القلوب الرقيقة والأفكار الصافية :.....
مجاورة هذا الشهر يؤدي إلى رقة القلوب وقلة الذنوب
الأفكار الصافية تنبع من القلب وتنتشر عبر البيان والبنان
لقب الإمام المهدي عليه السلام والعالم بالماء المعين لأنه ينبع كالعين الصافية
شهر السيطرة على الشيطان :..... ١٥٣
الغلبة على الشيطان في البعد السلبي والإيجابي
- ١٥٤..... التحرر من قيد الشهور ونيل السعادة :.....
لا نعمة أفضل من الحرية والتحرر
ستارية الستار تهيء المجال لمغفرة الغفار
شهر رمضان ما أطوله على المجرمين
- ١٥٥..... المنافسة مع سائر الشهور :.....
شهر رمضان لا تنافسه الشهور
- ١٥٥..... التطهير والتغسيل لا التعب والنصب :.....
في الفترة التي كنت بضيا فتألمت شعراً بعداً ومشقة
وفدت علينا بالبركات وغسلت عنا دنس الخطيئات
- ١٥٦..... الوداعات الأخيرة :.....
كم من سوء صرف بك عنا



السلام عليك و على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر
أنت ولي ما آثرتنا به من معرفته و هديتنا له من سنته و قد تولينا بتوفيقك صيامه و قيامه على تقصير
اللهم فلك الحمد إقراراً بالإساءة و اعترافاً بالإضاعة
أجر لنا من صالح العمل ما يكون دركاً لحقك

- القسم السادس: الاعتكاف و حكمته ١٥٩
- من شؤون العبادة ١٥٩
- للعبادة شؤون مختلفة و قد لا يشترط فيها الحركة
الاعتكاف هو الإقبال على الشيء مع تعظيم
أبرز مصداق للعبادة ١٦٠
- الاعتكاف عدل للطواف و مثيل للركوع و السجود
مسألان مهمتان في الاعتكاف ١٦٠
- ١- الاعتكاف ليس كالصلاة حتى يمكن الإتيان به في أي مكان
٢- الصوم الذي هو من أركان الدين المهمة يعتبر من شرائط الاعتكاف
- الاعتكاف الباطل ١٦٢
- يقوم البعض بالعكوف و التعظيم أمام الصنم و العجل
نهي أنبياء الله و منهم إبراهيم الخليل عليه السلام الناس عن الخضوع للأصنام
- الاعتكاف عبادة مستقلة ١٦٣
- الاعتكاف عبادة مستقلة كالصوم و الحج و الصلاة
اعتكاف الصالحين ١٦٣
- أي اعتكاف لا يضاهي اعتكاف عباد الله الصالحين
أقل مدة للاعتكاف ثلاثة أيام
- الاعتكاف و قضاء حاجة المؤمن ١٦٤
- للمتعكف أن يخرج من المسجد للمشاركة في صلاة الجمعة و قضاء حاجة المؤمن
من سعى في حاجة أخيه المسلم فكأنها عبد الله تسعة آلاف سنة
الدعاء و المناجاة في حال الاعتكاف ١٦٥



الاعتكاف في أيام البيض من شهر رجب
 الإنسان المعتكف قريب من الله من جهات عدة
 لا يرد الله سبحانه المعتكف خائباً
 ما هي الأدعية التي ينبغي للمعتكف الدعاء بها؟
 مشاركة النساء في الاعتكاف
 المساندون للاعتكاف

القسم السابع: تلاوة القرآن وحكمتها ١٦٩

مع القرآن ١٦٩

لو أصبح العالم بأسره كافراً وكان القرآن معي لما استوحشت
 علينا أن لا نلوث محيط عملنا وبيتنا بالغفلة عن الله

ضياء البيت ١٧٠

البيت الذي يُقرأ فيه القرآن يضيء لأهل السماء
 سميت فاطمة بالزهراء لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء

ظلمة غير المؤمن ١٧١

الملائكة وحلة العرش يستغفرون للمؤمنين
 لا يرى الملائكة غير المؤمنين

يستطيع الإنسان أن يربّي نفسه حيث أراد
 إن عزرائيل عليه السلام يتصفّح البيوت في كلّ يوم خمس مرات
 نوروا بيوتكم بتلاوة القرآن
 أهمية الحضور في الاجتماعات والمساجد

تجلي الله سبحانه ١٧٣

لا فصل إلّا حكمة التلاوة إلّا إذا شاهدنا المتكلّم في كلامه
 الزهد كلّ بين كلمتين من القرآن
 قول لبيك عند تلاوة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾
 كما أنّ يد المؤمن يد الله فإنّ كلام المؤمن كلام الله أيضاً

١٧٥	معنى تجلّي القرآن	تجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه
	التجلي غير التجاني	
	معنى تنزل القرآن و نزوله	
١٧٦	تجلي ملك الموت	تجلي ملك الموت للمحتضر
	تجلي الله لموسى الكليم عليه السلام	
١٧٦	فضل حملة القرآن	حامل القرآن يُحشر مع الملائكة
	خطر اليهودية في عدم العمل بالقرآن و التأدّب بأدابه	
	يمرّ القرآن في يوم القيامة على صفوف مختلفة حتى ينتهي بالله	
١٧٧	تعليم القرآن و تعلّمه	من سهل عليه حفظ القرآن و تعلّمه فله أجر واحد و من شقّ عليه ذلك فله أجران
	للإنسان في الجهاد مع الجهل و العدو الباطني ثلاث حالات	
	لكل أحد شيطان يصحبه	
	من مات على فراش المرض مؤمناً بأحكام الله فقد مات شهيداً	
١٧٩	الاعتصام بالعهد الإلهي	النظر في المصحف عبادة
	أهمية تلاوة القرآن في شهر رمضان	
	القرآن حبل الله	
	القرآن سدّ منيع لا يأتيه الباطل من بين يديه و من خلفه	
	لا يصل الإنسان إلى حكمة التلاوة إلا إذا رأى من الذي مسك بيده الطرف الآخر من الحبل	
	آيات القرآن خزان إلهية ليس لها انتهاء	
	القرآني يجري مجرى الشمس و القمر	
١٨١	فهم و شعور الكائنات	اختلاف فهم المفسرين لبعض الآيات

- لجميع الأشياء فهم و شعور
الحجر الأسود يشهد في يوم القيامة
طيبوا أفواهكم فإن أفواهكم طريق القرآن
القرآن مآذبة الله الحاضرة
- لسان أهل الجنة ١٨٣
- تأثير الباطن في الصورة واللفظ والكلمات في القرآن
النبي داود عليه السلام قارئ أهل الجنة
- القسم الثامن: الدعاء وحكمته ١٨٥
- آداب الدعاء ١٨٥
- ما الذي نطلبه من الله؟
الدعاء بصوت هادئ
- القرب الإلهي ١٨٦
- الآيات الدالة على قرب الله
المراد من حيلولة الله بين المرء و قلبه
ابن آدم أجوف
- النداء أم التجوئ؟ ١٨٨
- إذا قرب الإنسان من الله استبدل النداء بالتجوئ
ارفعوا أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم
استحباب مسح اليد على الرأس والوجه بعد الدعاء
الجنة يُشتم ربها من مسيرة ألف عام ومن الناس من يُحرم ذلك
- هدية العجز والذل ١٨٩
- إذا تشرف العبد بخدمة مولاه لا ينبغي له إلا تقديم الضعف والعجز والابتهاال
الدعاء والقضاء والقدر ١٩٠
- إشكال مشترك بين الدعاء والصدقة وصلة الرحم
جميع الأمور منتظمة منذ الأزل ولكن تم تنظيم كل أمر بعلة وأسبابه



- الدعاء في دائرة لوح المحو و الإثبات فما دون لا في عالم اللوح المحفوظ
- ١٩٢..... التسليم و الإخلاص في الدعاء
أولياء الله لا يدعون إلا لكون الدعاء عبادة و هم تسليم محض
الحث على الدعاء و ذمّ المعرضين عنه
كل عبادة دعاء و كل دعاء عبادة لا بد أن تتم بإخلاص
علامة الزهد أن يثق الإنسان بها في يد الله أكثر مما في يده
إن الله يستجيب دعاء المؤمنين لأنه عن إخلاص
- ١٩٣..... الدعاء في أرض منى
طلب حسنات الدنيا و الآخرة من الله
الطائفة التي لا تطلب إلا زخرف الدنيا و زبرجها تخلو صفقتها من المعنويات
نماذج من أدعية أولياء الله
- ١٩٤..... طلب النبي إبراهيم من الله أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلى ذريته
طريق المحبوبة بين المؤمنين
ما هو الصراط المستقيم؟
لا حجاب بين الله و بين خلقه إلا حجاب النفس
- ١٩٦..... العلو و الرفعة في الدعاء
اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها من كرائمي
اللهم صن وجهي باليسار و لا تبذل جاهي بالإقتار
اطلب من الله الكرامة فإنّ المال إن اجتاز عن حدّه صار وبالاً
عظمة النبي ﷺ
- ١٩٦..... الإنسان الكامل يتحلّى بروح الكرم
الإمام السجاد عليه السلام: أ في حرم الله أسأل غير الله
- ١٩٧..... علو الهمة في الدعاء
اجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك و أقربهم منزلة منك
إنّ الله يحبّ معالي الأمور
و الله لو لم يكن في الدنيا ملجأ و لا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية



- ١٩٩.....التوسّع في الدعاء
استوسع رحمة الله و ادع لجميع الناس
ادع لأربعين مؤمناً عند السحر يعني اقض في اليوم حاجة أربعين مؤمناً
إذا دعا أحدكم فليعم فإنه أوجب للدعاء
- ٢٠٠.....الدعاء المستجاب
تبخروا في قلوبكم فإن وجدتموها خالية مما سوى الله فادعوه
بين السماء والأرض مدّ البصر ودعوة المظلوم
إياك و ظلم من لا يجد عليك ناصر إلا الله
لا يكون الإنسان موحدًا في الدعاء إلا إذا رأى جميع الوسائل عديمة التأثير
مقام الملك و السلطنة هو الذي يُقرر في مسألة ظلم اليتيم
- ٢٠٢.....صفاء الباطن
القلب الذي لا يحمل في مكنونه سوى رضا الله و إحياء دينه فهو قلب طاهر
«الأنا» تحرم الإنسان من الفيض
أخبروني في عالم الرؤيا بأن عدوك نفسك ليس إلا
يُبصر الله الزاهد بعيوب الدنيا و دوائها و دوائها
- ٢٠٣.....فضيحة الشرك
كيف يجتمع الإيمان مع الشرك؟
- ٢٠٤.....المضطر و المجيب
غير المضطر لا يفهم أن الأمور بيد من تكون
يقول الموحّد: أشكر الله على أن حلّ مشكلتي عبر هذا الطريق
- ٢٠٥.....حقيقة الدعاء
لا ينبغي أن نطلب من الله غير الله
حقيقة الدعاء هو أن يزور العبد ربه فيستضيفه الله و يُقبل عليه
- ٢٠٦.....الشاهد و المشهود
لا يصل الإنسان إلى سرّ العبادة إلا إذا شاهد المعبود
الدرجات البدائية و النهائية لمشاهدة المعبود

وصل على ﷺ إلى المرحلة النهائية للعبادة

- القسم التاسع: التولي والتبري وحكمتها ٢٠٩
- الجابذة والدافعة في المخلوقات ٢٠٩
- الجبذ والدفع مودعان في المؤمن بركة
- الجبذ والدفع في النباتات
- يظهر الجبذ والدفع في الحيوانات على هيئة شهوة وغضب وفي الإنسان بصورة محبة وعداء
- إن ازداد رقة ولطافة ظهر على صورة التولي والتبري
- حرم الله ٢١٠
- قد يجعل الإنسان الله وسيلة للوصول إلى الجنة وهذا ناجم من الهمم الدنية
- لا تجتمع الرهبة والرغبة في قلبٍ إلا وجبت له الجنة
- تولي رسول الله ﷺ ٢١١
- كل ظاهرة تقاس بميزان خاص
- أعمال الإنسان وعقائدهم توزن في يوم القيامة بميزان «الحق»
- ثقلوا ميزان أعمالكم بالصلاة على النبي
- الصلاة باقة ورد نهدبها إلى رسول الله من روضته
- معنى الصلاة على النبي ﷺ ٢١٢
- اجعل دعاءك وحاجاتك محفوفة بالصلاة
- الإمام السجاد ﷺ وطريقة دعائه وطلب حاجته
- يصل المؤمن إلى مرتبة يحظى بصلاة الله سبحانه والملائكة عليه
- إن صلاة الله التي تعتبر من صفات فعله إنما هي الإدخال إلى النور
- البرق الخاطف لا ينفع المسافر الذي ظل طريقه في غسق الليل
- الإنسان الطالب للدنيا لا ينفعه النور الذي يبرق في قلبه ثم يطفأ
- قلوب الأولياء أوعية لمشية الله
- أهل البيت يمثلون مجرى الفيض والرحمة الإلهية للعباد
- الصورة البهية للولاية ٢١٤

- الصور الست التي تدخل مع المؤمن في قبره
بعد التعارف تقول الصورة التي هي أبهى هيئة: أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين
حكمة محبة أهل بيت النبي تتجسم بصورة نورانية
أفضل دخر في الحياة ٢١٥
- قيمة كل امرئ بمقدار حبه وكلُّ يُحْشَرُ مع محبوبه
الصلاة على آل محمد من واجبات التشهد وهي تقع في وسط العبادة
حكمة المحبة ٢١٦
- المراء مع من أحب والمحبة الخالية من الطاعة ليست بمحبة
الساعات الأخيرة من عمر النبي ﷺ وبكاء بعض الأصحاب لفقدان المحبوب
أنت مع من أحبيت ولك ما اكتسبت
حديث بين الوالد وولده ٢١٧
- الأصيص بن نباتة وبكاؤه على شهادة مولى المتقين
قول أمير المؤمنين للأصيص: لا تبك يا أصيص فإنها والله الجنة
آخر حديث لعلي عليه السلام للأصيص بن نباتة بطلب منه
لعنة الله على من انتمى إلى غير أبيه
النبي أبوكم ومن ليرتبط بهذا الأب فقد شملته لعنة الله
أجرة النبي ليست إلا المودة لأهل بيته
المودة وليدة المعرفة والمعرفة وليدة الطاعة
تقبّل الولاية من أعماق القلب ٢١٩
- المحبة غير الطاعة القانونية
حب الحسين بن علي عليه السلام هو الذي يحفظ البلاد
سفر الحسن بن علي عليه السلام إلى مكة وتورّم قدميه
طلب الرجل البدوي من الإمام عليه السلام: ادع الله أن يرزقني ذكراً سوياً يحكم أهل البيت
المظهر الأتم للولاية المطلقة ٢٢٠
- أصبح آدم مسجوداً للملائكة لتكريم الولاية المطلقة
علي بمثابة نفس النبي

- صاحب الجنة ٢٢١
- طنين حلقة باب الجنة «يا علي» .
- كلام العلامة الطباطبائي في شرح الحديث
- مدينة الحكمة ٢٢٢
- النبي مدينة الحكمة و علي بابها
- الدخول في مدينة الحكمة و هي الجنة لا يمكن إلا عبر الاستمداد بالولاية
- فضائل علي عليه السلام في كلام سعد بن أبي وقاص ٢٢٢
- لأن تكون لي واحدة منهن (من أربع خصال) أحب إلي من الدنيا و ما فيها
- ١- علي من النبي و النبي من علي ٢٢٢
- نزول سورة براءة و القيام بالمهمة بواسطة علي عليه السلام
- كلام الإمام الصادق عليه السلام لولده عبد الله
- ٢- سدّ الأبواب إلى باب علي عليه السلام ٢٢٣
- ٣- حامل الراية في خير علي عليه السلام ٢٢٤
- علي عليه السلام لا يهاب الموت
- لا تخلطوا الأحاسيس و العواطف في المسائل العسكرية
- أي الأسراء يمكن أن يُخصص لهم مقدار من بيت المال لإطلاق سراحهم؟
- ما الموت إلا قنطرة للعبور إلى عالم الآخرة
- قلعت باب خير بقوة ملكوتية و نفس بنور ربها مضيئة
- البدن تابع لقوة الإرادة
- ٤- حبيب قلب النبي ﷺ ٢٢٥
- علي خليفة النبي في المدينة في معركة تبوك
- أنت مني بمنزلة هارون من موسى
- شريك القرآن ٢٢٦
- لغة «الشريك» و معنى أن المعصومين عليهم السلام شركاء القرآن
- علي عليه السلام ناطق بالقرآن
- ٥- خليفة النبي ﷺ ٢٢٧



واقعة غدِير خم عن لسان سعد بن أبي وقاص

بيان المقام الرفيع للإمام عليه السلام ٢٢٧

مقام الإمامة موهبة لا وراثة

كلام محمد بن الحنفية حول الإمامة والوراثة

الحسين بن علي عليه السلام في كلام محمد بن الحنفية

قرأ الحسين عليه السلام الوحي قبل أن ينطق

الإمام بمثابة النجم لا تناله الأيدي ولا تدركه العقول

وفاة الإمام الخامس وتعزية سائر بن أبي حفصة وأصحابه للإمام الصادق عليه السلام

الإمام الصادق ينقل عن الله بلا واسطة

الأئمة والمتخرجون من مدرستهم ٢٢٩

الإمام الصادق عليه السلام والمقام الشامخ لحرمان بن أعين

لولا الأجل الذي كتب الله على أوليائه لم تستقر أرواحهم في أجسادهم

شعور شهداء كربلاء أمام نبأ الأعداء

اشتياق المتقين للحلوق بذلك العالم

تلامذة الأئمة لم يكونوا على درجة واحدة

محمد بن أبي نصر البزنطي وضيافة الإمام الرضا عليه السلام له

سورة هل أتى بيان لمقام الأبرار وأهل البيت قد نالوا مرتبة المقربين

صوم أهل البيت وإطعامهم الطعام للمساكين واليتيم والأسير

القسم العاشر: الذكر وحكمته ٢٣٣

ذكر الله ٢٣٣

تجلي عبادة الله بالذكر

تقسيم الذكر إلى أنحاء متعددة

تقسيم الذكر إلى القلب والقالب

الذكر في قبال الغفلة والسهو والنسيان والذكر في قبال الخمول والحمود

الذكر اللساني ٢٣٤

الذكر اللساني في قبال الذكر الفعلي و العملي	
الفعل الذي يُذكر بالله يُسمى ذكراً	
المواطن التي يكون السكوت فيها بحد ذاته ذكراً لله	
أقسام الذكر	٢٣٥
تارة يُقيم الذكر بلحاظ المذكور و أخرى بلحاظ الذاكر و ثالثة بلحاظ الكمية و الكيفية	
بحث في العناوين الأربعة لمظاهر أسماء الله و صفاته	
العناصر المحورية للذكر	٢٣٦
تعود العناصر المحورية للذكر إلى تحليل حقيقة الذكر من حيث المبدأ الفاعلي و الغائي و القابلي	
لا ينبغي تبديل الأذكار الماثورة في الفرائض العبادية أو النوافل الخاصة	
أساس بعض النوافل و المستحبات يتتبي على تعدد المطلوب لا كلها	
جوهر الذكر و الدعاء و السؤال	٢٣٧
قد يتحقق الذكر من دون اقترانه بالدعاء أو الطلب	
منزلة الذاكرين تختلف عن منازل سائر العابدين	
المراد بالذكر القلبي المؤثر هو الذكر التصديقي و الإياني المستلزم لنسيان أو تناسي الباطل	
الذكر الخططوري و التصوري ينسجم مع الاشتغال بالباطل	
إن لر يصل العلم في العقل النظري إلى الإياني في العقل العملي لا يكون منشأ للأثر	
قد لا يحول مانع أمام العقل النظري لمعرفة الحق، بيد أن العقل العملي يشكل عليه الإياني	
الفصل الأول: الذكر و العقل النظري و العملي	٢٣٨
كل ما يؤدي إلى حضور الله و أسائه و صفاته فهو ذكر لله	
يمكن امتثال الأمر بكثرة الذكر بدوام الاشتغال بالعلوم الإلهية	
الطوائف الداخلة في زمرة الذاكرين كثيراً	
المتعارف من حلق الذكر في حديث النبي هي حلق الدرس و التعليم	
إقبال المستمع و ظهور استعداد المتعش بمثابة امتصاص اللبن الذي ينبع من قلب المعلم و الأستاذ	
على السالك الذاكر إخضاع كل قواه المدركة تحت قيادة العقل النظري	
السالك الذاكر خليفة لله و الخليفة مظهر و آية للمستخلف عنه	
الفصل الثاني: الذكر حياة	٢٤١

- الفكر الميت أو العمل الميت لا أثر له سوى الضرر
كل عمل لم يذكر اسم الله عليه كان ميتة متعفة ويظهر الأثر السيء له في حينه
اسم الله وذكره بمثابة نفخة المسيح التي هي خليفة نفخة الله
العالم التارك للعمل والعامل المتهتك والتارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أموات متحركون
ملاحظة: الاختصار على الذكر المأثور ٢٤٣
كل اسم من أسماء الله الحسنى سواء كان على وجه التسمية أو التهليل أو التكبير أو التسييح أو
التحميد يُؤثر في صيانة الجهد العلمي أو العملي من أن يكون ميتة
الفصل الثالث: مراتب الذكر ودرجات الذاكر ٢٤٣
للذكر والذاكر درجات والمرتبة العالية لها هي هدف السالك
الذكر بالنظر إلى نعمة الله وإلى اسم الله وإلى الله نفسه
الجمع بين المواهب المادية والمعنوية كمال مطلوب وتحديد الاسم الأعظم هدف عال
بما أن مقام الهوية المطلقة أعلى من عنوان «الله» تكون الآيات الدالة على ذكر تلك الهوية أعلى
الهدف الأسمى لمراحل الذكر هو ذكر الهوية المطلقة
ملاحظة: اختلاف الخطاب في اختلاف المخاطب ٢٤٥
قد تكون دَعَوَات القرآن المتنوعة ناظرة إلى مراتب الذكر
الكل مأمور بذكر الله ولكن لا يُخاطب الجميع بذكر الهوية المطلقة
تنبيه: مراتب المذكور الأربعة للذاكر ٢٤٦
قد تكون رحمة الله الخاصة هي الذاكر والمذكور لها هو العبد الخاص
الله أكبر من حيث المذكور والذاكر في سورة العنكبوت
في جنب «بسيط الحقيقة كل الأشياء» لا يكون السالك الذاكر فيثاً فضلاً عن أن يكون ظلاً
ملاحظة: نصوص التكبير ٢٤٧
بما أن معرفة الموحدين لله متفاوتة فإن النصوص الواردة في التكبير أيضاً مختلفة
الفصل الرابع: مراتب ذكر الله ٢٤٧
ذكر الله تارة يكون خوفاً من النار وأخرى طمعاً في الجنة وثالثة شكراً للنعمة
الذكر الذي يكون لشهود الجمال المحض والجلال الصرف يفوق نطاق الخوف والطمع
ملاحظة: ذكر الذاكر محفوف بذكرين من الله ٢٤٨

- الذكر يكون محفوفاً بذكرين من قبل الله كما أنّ توبة العبد محفوفة بتوبتين من قبل المولى
السالك الذاكر سواء أكان ذاكر الله أو مذكوراً من قبل الله فهو في حال الذكر
قراءة الآيات الإلهية وتلقيها بالإنصات والاستماع كلاهما ذكر
- ٢٤٩..... السكوت الإيجابي والسكوت السلبي
- السكوت المنصت والمستمع للكتاب التدويني والسكوت المخاطب والمتنظر للكتاب التكويني،
ذكر وفكر وشكر الله
- السكوت الساكن والراكد لا يكون له أثر إيجابي سوى السهو والذهول والنسيان
تنبيه: ذكر الله بمعناه الشامل يكون معقولاً ومحسوساً
- ٢٥٠..... الفصل الخامس: آثار ذكر الله
- يجد الذاكر نفسه في مشهد الله فيحترز عن الأعمال السيئة
يسعى الذاكر تائباً لرفع الذنب المقترف
- الذكر يسدّ باب السهو والغفلة ويستبدل النسيان بالتوجّه والالتفات
لا يتوقع من الشيطان سوى التعدي والتجاوز الدائم فلا بد من أن يستمر عامل دفعه أو رفعه
- ٢٥٢..... أثر الإخلاص الخالص
- أثر الإخلاص الخالص يفوق أثر كثرة الذكر
أهل النفاق يذكرون من أجل الدنيا لا للإخلاص منها
عند هجوم العدو لابد من الاستنصار بكثرة ذكر الله والاستغاثة به
- وصف الله سبحانه الناجين والمتقين بالذكر الكثير
- ٢٥٣..... ملاحظة: أثر ذكر مظاهر الله وآياته
- أمر الله نبيه الأكرم ﷺ بذكر الأنبياء السالفين
- ذكر الله والإخلاص فيه والاستمرار عليه له دور مؤثر في الغلبة على الطغاة
التأثير الهام لذكر الله أدّى إلى أن الله تارة يأمر بالتزام القوة وأخرى ينهى عن الوني والضعف
- أمر موسى الكليم ﷺ بأن يُذكر أمته بأيام تجلي قدرة الله
كل مرحلة يتجلّى فيها فيض الله الغيبي فهي يوم من أيام الله الخاصة
- ٢٥٥..... خطر نسيان الله
- التحليل العقلي لآثار نسيان الله السلبية والغفلة عن ذكره

- لا يمكن معرفة المعنى الربطي و الحرفي من دون معرفة معنى الذاتي
معرفة الله إن كانت ناشئة من معرفة النفس يكون نسيان الله أيضاً ناجم من نسيان النفس
- ٢٥٦..... الفصل السادس: أفضل ذاكِر ومذكور
ورد في الأدعية الماثورة أن الله هو أفضل ذاكِر ومذكور
أحد أسماء الله الحسنى «الذاكر» و الأخرى «المذكور»
كون الله خير الذاكرين و خير المذكورين لا يتنافى مع التوحيد في الآثار و الأفعال
- ٢٥٧..... استدامة الذكر
السالك الذاكر يسعى لأن يتخلّق بالأخلاق الإلهية و أن يكون ذاكرآ له على الدوام
من أكمل مراتب ذكر العبد لمولاه في الأدعية مضافاً إلى الاستدامة هو الوجد و الهيام بذكر الله
أكمل صفات الذكر.....
- ٢٥٨..... أتمّ صفات الذكر مناجاة الذاكرين
ملاحظة: كيفية الذكر.....
- ٢٥٩..... تارة يكون ذكر الله على هيئة الدعاء و أخرى على نحو وصف الله أو إقامة البرهان على وجوده
تنبيه: سكينه السالك الذاكر في نهاية الأمر.....
- ٢٥٩..... السالك في طليعة أمره يصيبه الوجل من ذكر الله ثم يزداد إيمانه شيئاً فشيئاً إثر أنسه بالمذكور و
يطمئن قلبه و قاله إلى ذكر الله
- ٢٦٠..... ملاحظة: الخوف البدوي للقاسي و الساهي
الخوف الذي يستولي على قلب القاسي يختلف عن الوجل الذي ينتاب السالك الذاكر في بداية طريقه
رأي القرآن حول الأمن الصادق و الكاذب
- ٢٦١..... ملاحظة: أثر ذكر الله في القلب
ذكر الله يسوق السالك الذاكر إلى الإنتاج و العمل و تأمين متطلبات المجتمع الإسلامي
أولياء الله و لرسوخ ذكر الله في قلوبهم لا يغفلون عن العبادات المالية أيضاً
يتركون النبي قائماً
- ٢٦٢..... ذكر ما في المتون الدينية
لاقتراح ذكر الله بالمعارف و الأحكام
السّر في عدم أو قلة تأثير بعض الأسماء الإلهية

- ٢٦٣..... التأثير المتبادل بين ذكر الحق ونسيان الباطل
في الجوامع الدينية و لاسيما نهج البلاغة
كما أن ذكر الحق مانع من حاكمية الهوى كذلك اتباع الهوى مانع من ذكر الحق و حكومته
- ٢٦٤..... الفصل السابع: مصاديق الذكر
- ٢٦٤..... ١- الإنسان الكامل
الإنسان الكامل و لاسيما أهل البيت و كذا الكتاب السماوي و لاسيما القرآن الكريم، المرأة الكاملة و الآية الثامنة لذكر الحق
القرآن و الإنسان الكامل كان لدهيها مقام عند الله
شاهد آخر على مظهرية الإنسان الكامل لاسم الله الذاكر
لو لريكن الإنسان الكامل مظهراً لاسم الله و ذكره فإن ذكره لا يكون ذكراً لله على الإطلاق
كما أن الله ليس له عديل فإن التهليل أيضاً ليس له مثيل
- ٢٦٦..... ٢- ذكر الله التدويني
إطلاق الذكر على الكتاب الذي نُزل على الأنبياء السالفين و على القرآن أيضاً
ملاحظة: الذكر بمعنى المشهور و المعروف يُطلق على الإنسان الكامل و على الكتب السماوية
- ٢٦٧..... ٣- الصلاة
رسالة الله العالمية لجميع الأمم هي أن معيار النجاة هو الاعتصام بكتاب الله و بالصلاة
ملاحظة: الفرق بين الإمساك و التمسك
تشريع الصلاة لإيجاد الأصرة بين العبد و مولاه
- ٢٦٩..... ملاحظة: كثير الذكر كثير الصلاة
جميع حالات الذكر هي حالة الصلاة
كل أثر يترتب على دوام الصلاة يترتب على دوام ذكر الله أيضاً
أبرز أثر إيجابي لدوام الصلاة
- ٢٧٠..... تنبيه: صعوبة الذكر الكثير
المراد بصعوبة الذكر الكثير هو حضور القلب و ذكر الله في الفؤاد
- ٢٧١..... الفصل الثامن: طريق الوصول إلى علو الذكر
لا يمكن اكتساب الشهرة من دون ذكر الحق لأن الشيء العاري من الحق لا حصه له من البقاء و

الدوام

وهب الله لنبيه الشهرة ورفع الذكر

القرآن الكريم يُسَبِّحُ علو ذكر أتباعه الصادقين

الفصل التاسع: ذكر الله شفاء ٢٧٢

على السالك الذكر للشفاء من أمراضه الاقتصار على ذكر ماثور

دليل توقيفية الذكر ٢٧٣

١ - حديث إسماعيل بن فضيل عن الإمام الصادق عليه السلام ٢٧٣

٢ - حديث العلاء بن كامل عنه عليه السلام ٢٧٣

٣ - حديث زرارة عنه عليه السلام ٢٧٤

ملاحظة: يتناول هذا البحث مسألة الذكر لا الدعاء وإن كان الدعاء يستبطن ذكر الله أيضاً

الفصل العاشر: شمولية الذكر ٢٧٤

كل ما يُجِيبُ اسم الله وذكره فهو ذكر سواء كان من حلقات الدرس أو جلسات الذكر

حديث لقمان في تأييد هذه المسألة

كثيراً ما يُستعمل الذكر بمعنى العلم في الأحاديث

تنبيه: دائرة ذكر الله ٢٧٥

حوزة التعليم والتعلم تدخل في دائرة ذكر الله بدليل قول الإمام الباقر عليه السلام

ملاحظة: الانسجام بين ذكر الله والتفكير العلمي ٢٧٦

بين ذكر الله والتفكير العلمي العميق انسجام كامل وكل يؤيد الآخر ويستمد من الآخر

يعتبر المولى الرومي الذكر بمثابة الشمس

الفهارس ٢٧٧